

(المختارات)
دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر
شاعر الملك فيصل هافه ٢٠٢٩٥
الرياض، المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
تجارتها فنيش تعريتها : تحفد الجايس

(الأسرة) (الأسرة)
٤٨ رداً للأفراد و١٠٠ رداً لغير الأفراد
الإعلان: ينفق عليها مع الإدارة
من الأ: ٨ رداً لالات

ج ٧ و ٨ س ١٦ محرم وصفر ١٤٠٢ - تشرين ، كانون (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨١

من ذكريات الرحلات

- ١ -

أعيد القول بأن القارىء لا يجد فيها أكثر من أفكار ضحلة ، لا تضيف شيئاً إلى معلوماته ، وقد تصور له بعض أحاسيس الكاتب ونظراته الخاصة ، في مرحلة من مراحل عمره قبل أربعين عاماً .

أحببت القاهرة منذ أول وهلة رأيتها ، فهي أول مدينة شاهدت كل ما فيها متغيراً عما ألفته من مناظر الصحراء ، إنها تبدو من حيث العمران من أجمل ما شاهدته عينا إنسان ، ثم هي ذات مياه جارية ، ومراعٍ تزدان بالخضرة والانساع ، بحيث لا يجدنا البصر ، ثم هذا النهر العظيم الذي يجترقها وتطل على جوانبه بأبنيتها الشامخة .

وفضلاً عن كل ذلك فقد كانت موطن العلم والعلماء ، ومهوى أفئدة المثقفين من أبناء الأمة العربية في كل مكان .

كانت أول زيارة لها في سنة ١٣٥٨ سافرت إليها بحراً في إحدى بواخر (شركة البوستان الحديوية للملاحة) وكان لتلك الشركة باخرتان (الطائف) و(تالودي) تزدان بين السويس وجدة في كل أسبوع .

وكانت الرحلة في الباخرة (الطائف) ، والرفيق فيها أحد الإخوة المبشرين من (مطبعة أم القرى) للتمرن على أمور الطباعة ، ويدعى (محمد سلطان) وأتذكر أنني رأيته قبل عام يعمل موظفاً في عمل لا صلة له بالطباعة .

وكان الركوب في الدرجة الثانية .

وقد وقفت بنا الباخرة في ميناء ينبع ، ثم في ميناء الوجه ، ثم في ميناء الطور في موضع يدعي (الشيخ أبو زَيْمَة) ثم في السويس ، والرحلة لم تزد على ثلاثة أيام .

ولا أزال أذكر أنني عند نزولي من الباخرة تَقَدَّمت إليَّ عجوزٌ كانت من ركاها فقالت لي : إنَّ معي حاجة صغيرة ، أريد منك أن تساعدني في حملها ، حتى نخرج من دائرة الرسوم (الجمرك) فقلت : هَاتِيهَا فَأَخْرَجَتْ من داخل ثوبها قِطْعَةً صغيرة ، كانت تربطها بحبل في رقبها وربطت الحبل في ذراعها — أي المعجوز — ففككت الحبل ، وأرجعته لها وَأَخَذْتُ القِطْعَةَ وكانت بحجم الكَفِّ الصغير ، فوضعتها في جيب ثوبي ، وحملت حقيبتَي يدي ، وعند مروري بالموظف الذي يقوم بتفتيش الحقائق وكنت لابساً عباءة متينة (مشلح شمال) إذ الجوّ كان بارداً فرفع رأسه يسألني : هل معي شيء ؟ فأشرت إلى الحقيبة ولما انحنيت لفتحها يظهر أنني ضغطت على القِطِيعَةِ فثَاوَهَتْ بِشِدَّةٍ وماءت : (ناو .. ناو ١١) فالتفت الرجل إليَّ قائلاً : (إِيه يا شيخ العرب في بطنك قُطُط) !؟ فَأَدْخَلْتُ يدي في جيبِي وَأَخْرَجْتُ القِطْعَةَ وقلت : لا والله ليس في بطني ولكن في جيبِي ، وها هي ، وتلك صاحبها وأشرت إلى المعجوز التي كانت ترقبني عند باب الخروج . فأخذها وقال : لا يسوغ إدخال الحيوانات إلّا بعد عرضها على (الطب البيطري) .

كنتُ قد مُتُ القاهرة لطلب العلم ، ولم تَبْعَثِ المعارفُ تلك السنة سوايَ ، ولها بعثة في القاهرة ٦٣ طالباً وكان مراقبُ البعثات في ذلك العهد السيّد وليّ الدين أسعد ، من أول بعثة قدّمت القاهرة هو والسيّد أحمد العربي ومحمد نايل دوايدار — في سنة ١٣٤٧ هـ .

وكان مقرُّ البعثة في (الحليمية الجديدة) بقرب مسجد كان يتلو فيه القرآن في ذلك العهد الشيخ محمد رفعت — رحمه الله — على مقربة من (درب الجواميز) الذي تنتشر فيه المكتبات ذلك الزمان .

من عادة القادم إلى القاهرة تلك الأيام من خارج مصر ، الحضور في صبيحة اليوم الثاني من قدومه إلى أقرب مركز صحي للمكان الذي نزل فيه ، لإجراء الكشف الطبي ، فذهبت في الصباح أنا وصاحبي محمد سلطان مع بواب دار البعثة إلى المركز

الصحي ، وبعد جلوسنا برهة من الزمن وقف أمامنا رجل وقال : (من فيكم شنب الدين ومن هو دقن الدين) ؟ كنت قد تركت شعيرات لحيتي تنمو ، فظننت الرجل يسخرني فصرخت في وجهه : (أتهزأ بلحيتي) ؟ فما كان من صاحبي إلا أن هبَ واقفاً وقال : أنا محمد سلطان شنب الدين ، فتراجعت قائلاً : لا مؤاخذه ما دام صاحبي شنبُ الدين فسَمَّي (دقن الدين) وانتهى الأمر بابتسامة من الجميع .

كنت أحمل كتاباً من مدير المعارف السيد محمد طاهر الدباغ لمراقب البعثات ، لكي يسعى لإدخالني إحدى كليات الأزهر أو (دار العلوم) وما كنت راغباً في دخول واحدة منها ولكن المعارف وقد اطلعت على نتيجة دراستي القديمة وأتني متخرج في (قسم التخصص في القضاء) في (المعهد السعودي) أوضحت لي أنه لا يمكن ابتعالي إلا لدخول إحدى الكليات المذكورة فوافقت ، غير أنني بعد وصولي إلى القاهرة أوضحت للمراقب رغبتي في دخول كلية الآداب فأنع ، وبالحاح مني أبرق للسيد طاهر ، فأجابه بأن أدخل أي كلية أرغبها وأقبلُ فيها .

وفي صباح يوم من الأيام ذهبت معه إلى كلية الآداب فقابلنا عميدها الأستاذ محمد شفيق عربال فقال : إنني حديث العهد بالعمل ، ويحسن استشارة الدكتور طه حسين في مسألة القبول وها هو عنوانه ورقم هاتفه .

وبعد الاتصال به حدد الزيارة الساعة الرابعة مساءً ، وكان الاجتماع به في الوقت المحدد في منزله ، وكان في الزمالة ، ولما أوضح له السيد ولي الدين رغبتي في دخول كلية الآداب سأل كم عدد أعضاء البعثة السعودية فأجاب ٦٢ فقال اثنان وستون لا يدخل كلية الآداب سوى واحد ؟ فبدت من السيد هفوة إذ قال : وذلك بغير رغبتنا ، لأننا نريد طلاب علم في الدين واللغة . سألتني طه حسين عما قرأته من كتب الأدب القديم والحديث فسردت عليه أسماء ما حضرني ومنها مؤلفات الراجحي ومن بينها كتاب (تحت راية القرآن) فابتسم ووجه الكلام إلى المراقب : من السهل جداً قبول الأخ . ثم أخرج بطاقته وقدمها للسيد قائلاً : يحسن أن تتصلوا بالأستاذ إبراهيم مصطفى في شارع المساحة رقم (٧) ورقم هاتفه كذا وكذا ، وأن تقدموا له هذه البطاقة وأنا سأتصل به لأكلمه في الموضوع .

كان الأستاذ إبراهيم مصطفى ، قد زار الحجاز وشاهد آثار الطائف ، واحتفي به ، وزار المعهد وعرف اتجاه الدراسة فيه وهو من بيت (الفقيه) ابن عم للشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي في ذلك الحين ، فتوقعت منه من حسن الاستقبال خلاف ما وقع .

ذهبت مع المراقب صبيحة اليوم الثاني إلى كلية الآداب لمقابلة الأستاذ إبراهيم مصطفى ، وكان مدرساً فيها وهو صاحب كتاب «إحياء النحو» فقد حدد الزيارة في ذلك الوقت في الكلية لا في بيته ، فما كان رحمه الله عند الاستقبال بلطف العميد ولا الدكتور طه حسين ، كان أن بدأ في الكلام عن صعوبة الانتساب إلى كلية الآداب وأنه لا بد لمن يرغب ذلك أن يكون على جانب كبير من معرفة علم النحو بحيث يكون درس الفية ابن مالك وشروحها لابن عقيل وابن هشام وغيرهما واسترسل في كلام مبني لهي ، قال المراقب إلى ما قال ، ولكنني قلت إنني مستعد للاختبار فوجدتها فرصة يتخلص بها مِنَّا فقال : إذن تخضر بعد أسبوع صباحاً في هذا المكان ، لامتحانك في النحو والأدب والتاريخ ثم قدم لنا ورقة مطبوعة فيها جملة من المواد العامة في العلوم المذكورة .

لا أدري كيف جُزْتُ ذلك الامتحان بنجاح ، وإنما الذي أدريه أنني بعد أيام من ابتداء الدراسة قَدِمْتُ بعثة كويتية هي أول بعثة قدمت إلى مصر للدراسة فقال لي أحد الأخوان : لنذهب لزيارة هؤلاء الإخوة ، وكانوا قد أنزلوا في رواق من الأروقة المخصصة لطلبة العلم في الأزهر ، على أساس دخولهم فيها يلائمهم من كلياته ، وفي أثناء الزيارة قلت لأحدهم ويدعى (يوسف مشاري) : لماذا لا يدخل أحد منكم في كلية الآداب ؟ فأبدي خوفه من عدم القبول فيها ، ولكنني قلت له : إنهم سيختبرونك اختباراً سهلاً وأنا واثق من أنك ستجتاز ذلك الاختبار ، فدعني أذهب معك إلى الأستاذ أحمد أمين وكان هو رئيس اللجنة التي تولت اختبرائي لقد أجاب الأخ بالموافقة ثم اجتاز الاختبار بنجاح .

ليس كل طلاب البعثة في بيت واحد ففهم طلاب متزوجون يسكنون مع أهلهم ، وآخرون لهم أقارب سكنوا عندهم ، وفي دار البعثة طلاب يدرسون على حسابهم أذكر من بينهم اسماعيل ابن الشيخ عبد الله كاظم مدير البريد العام ، وحسن ابن الشيخ محمد سرور الصبان .

حول نوادر المهجري :

(الذكاة) : وَالْعَبْتُ بِالْثَرَاثِ !!

— ٢ —

١٦٤ — ص : ١٥٩ — :

مَيْضُ فَكَمْ مِنْ مَثَرٍ قَدْ تَرَكْنَهُ بِهِ رُبْعُ رَخْصُ الْعِظَامِ جَهِيضُ
في مطبوعة صاحبنا : (من منزلة) و(جيهض) فكسر وزن البيت .

١٦٥ — ص : ١٥٩ :

جَهِيضٌ عَلَى عَرَضِ الْفَلَاحِ رَمَتْ بِوَيْ قَلُوصُ بِأَجَوَازِ الْفَلَاحِ نَهْوضُ
وفي المطبوعة : (جيهض) و(عوض) .

١٦٦ — ص : ١٥٩ :

وَالْأَيُّغِيْبُ الدَّفْعَرُ بَعْلٌ مَلِيحَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا اسْتَبَدَلَتْ بَعْدَهُ بَعْلًا

ومن طلاب البعثة في ذلك العهد الأستاذة عبدالله عبد الجبار وأحمد بن علي آل مبارك ، وأحمد جمال عباس ، وعبدالله الحنيال ، وإبراهيم السؤيل ، وعبدالله الملحق ، وأحمد عبد الحميد الخطيب ، وأخوه فؤاد ، وسميح أحمد ، وسليمان بن محمد السليمان التركي وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم .

وكانت الأمور في الدار على درجة حسنة من التنظيم ، من حيث النظافة والعناية بالأكل ، وكان الإشراف على العمل فيها يناط كل يوم بأحد الطلاب ، وكان الطالب يُخَيَّرُ بين أن يأكل في الدار ثلاث وجبات ، وبين أن تُدْفَعَ لَهُ عنها سبعة قروش ونصف ويأكل كما يريد ، فكنت أنا وبعض الإخوة نأخذ القروش فنصرف جزءاً منها في الأكل ، ونُوَفِّرُ كُلَّ يَوْمٍ نَحْوَ ثَلَاثَةِ قُرُوشٍ .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

حول نوادر المهجري :

(الذكاترة) : وَالْعَبَثُ بِالْثَرَاثِ !!

— ٢ —

١٦٤ — ص : ١٥٩ — :

مَيْضُ فَكَمْ مِنْ مَثَرٍ قَدْ تَرَكْنَهُ بِهِ رُبْعُ رَخْصُ الْعِظَامِ جَهِيضُ
في مطبوعة صاحبنا : (من منزلة) و(جيهض) فكسر وزن البيت .

١٦٥ — ص : ١٥٩ :

جَهِيضٌ عَلَى عَرَضِ الْفَلَاقِ رَمَتْ بَوِ قُلُوصُ بِأَجَوَازِ الْفَلَاقِ نَهْوضُ
وفي المطبوعة : (جيهض) و(عوض) .

١٦٦ — ص : ١٥٩ :

وَالْأَيَغْيَبُ الدَّفْعَرُ بَعْلٌ مَلِيحَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا اسْتَبَدَلَتْ بَعْدَهُ بَعْلًا

ومن طلاب البعثة في ذلك العهد الأستاذة عبدالله عبد الجبار وأحمد بن علي آل مبارك ، وأحمد جمال عباس ، وعبدالله الحنيال ، وإبراهيم السؤيل ، وعبدالله الملحق ، وأحمد عبد الحميد الخطيب ، وأخوه فؤاد ، وسميح أحمد ، وسليمان بن محمد السليمان التركي وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم .

وكانت الأمور في الدار على درجة حسنة من التنظيم ، من حيث النظافة والعناية بالأكل ، وكان الإشراف على العمل فيها يناط كل يوم بأحد الطلاب ، وكان الطالب يُخَيَّرُ بين أن يأكل في الدار ثلاث وجبات ، وبين أن تُدْفَعَ له عنها سبعة قروش ونصف ويأكل كما يريد ، فكنت أنا وبعض الإخوة نأخذ القروش فنصرف جزءاً منها في الأكل ، ونُوَفِّرُ كُلَّ يَوْمٍ نَحْوَ ثَلَاثَةِ قُرُوشٍ .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

في المطبوعة : (بَعْدَ مَلِيحَةٍ) .

١٦٧ ص : ١٦ — : (تَحْتَ صَلَيفِي الْعُنُقِ ، لَا عَظْمَ فِيهَا) .

في المطبوعة : (الْأَعْظَمُ) .

١٦٨ — ص : ١٦٠ — : لا يُعَوَّلُ صاحبنا في تحديد المواضع إلا على أضعف المصادر ، وأكثرها أخطاءً ، وهو «مراصد الإطلاّع» ولا يكلف نفسه عناء الرجوع إلى أصله «معجم البلدان» ولهذا نقل عنه في الموضوع أخطاء شنيعة ، ومنها قوله : مَرَّانُ : قرية بينها وبين مكة ١٨ ميلاً ، وهي قرية غَنَاءٌ ، وذكر الجزء والصفحة — ومعروف أنَّ الاحالة إلى المعاجم — المرتبة على حروف المعجم — يكتفي بذكر الاسم أو الكلمة ، فيما وَرَدَ في موضعه ، وذكر رسم الكلمة أو الاسم فيما عدا ذلك .

ولعدم الاطمئنان إلى دِقَّةِ نقل (الدكتور) رَجَعْتُ إلى مَصْدَرِهِ فَوَجَدْتُ فيه : (مَرَّانُ : — بالفتح والتشديد وآخره نون — : على أربع مراحل من مكة إلى البصرة . وقيل : بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً . وقيل : قرية غَنَاءٌ كَثِيرَةُ الْعُيُونِ وَالْأَبَارِ وَالنَّخْلِ قيل : لبني هلال) .

وذكرني فَعِلُ صاحبنا (الدكتور) الحمادي بموقف ياقوت صاحب «معجم البلدان» مع مَنْ رَغِبَ اختصار كتابه وقوله : (واعلم أنَّ المختصر لكتاب كَمَنْ أ قدم على خَلْقِي سَوِيٌّ فَقَطَعَ أطرافه) ثم إيراده كلام الجاحظ : (إِنَّ الْمُصَنِّفَ كَالْمُصَوِّرِ) ووصف ما يحدث في الصورة من تشويه عند حَذْفِ شَيْءٍ من سِمَاتِهَا .

وأخونا الحمادي تَرَكَ أولَ تَعْرِيفِهِ أوردته صاحب «المراصد» وهو أوضح ما ذكر ، وأوردَ قولاً ينطبق على (مَرَّ) الوادي المعروف الآن باسم (وادي فاطمة) .

ومَرَّانُ لا يزال معروفاً — قرية ذات نخل وماء من عين ضعيفة ، والمسافة بينه وبين مكة أَرْبَعُ مراحل بسير الإبل — لا ثمانية عشر ميلاً .

١٦٩ — ص : ١٦١ — : لم يورد المحقق حاشية في الأصل عن كلمة (الجزبان) الواردة في شعر ذي الرُّمَّةِ ونصها : (الجزبان : جمع حَزْبَاءَ ، وحَزَائِي وجزبان) ،

وهي في الغالب كأكثر الحواشي — من كلام المهجري ، وهو ممن تؤخذ عنه اللغة .

١٧٠ — ص : ١٦٤ — :

لَحَى اللَّهُ نَجْدًا كَيْفَ يُتْرَكُ ذَا النَّدَى بِخَيْلًا ، وَحَرَّ الْقَوْمُ تَحْسِيَهُ عَبْدًا

ورد هذا البيت في عمل صاحبنا بصورة من التحريف تحول دون إقامته .

١٧١ — ص : ١٦٤ — :

وَنَجْدًا إِذَا جَادَتْ بِهِ رِهْمُ الْحَيَا رَأَيْتَ بِهِ الْمَكْنَانَ وَالنَّفْلَ الْجَمْعَدَا

صاحبنا لا يعرف المكَّانَ والنَّفْلَ ، لأنه لم يشاهد رياضَ نَجْدٍ حينَ يَجُودُهَا الْحَيَا ، فَتَزْدَهِرُ وتزدان بأنواع النَّبَاتِ كَالنَّفْلِ وَالرُّوضِ وَالْحَرْفِ وَالْمَكْنَانِ ، ولهذا أورد الاسمين مُصَحِّقِينَ : (المكَّان) و(النفل) .

١٧٢ — ص : ١٦٥ — : وأنشدني لبعض بني ضَيْئَة :

إِخْدَى بِنِي خَوَيْلِدِ بْنِ جَعْفَرٍ أَوْ مِنْ بَنِي الْحِجَّاجِ أَهْلُ الْأَبُورِ

ورد اسم ضَيْئَة (ضَيْئَة) بالياء مُصَحَّفًا إِذْ بَنُو ضَيْئَة مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ ، وكذا بنو الْحِجَّاجِ المذكورون هنا . وَالْأَبُورُ — لا (الأبر) كما في المطبوعة — من مياهم .

١٧٣ — ص : ١٦٥ — :

تَرْمِي الْجِمَارَ بِحَصَى مُقَصَّر

— لا مُقَصَّر — كما أورد صاحبنا . وقد شرح المهجري كلمة مُقَصَّر بقوله : (لضعف

يدها) .

١٧٤ — ص : ١٦٦ — : للمحقق أن يُبْلِي آراءَهُ فَمَا يورده من نصوص المتقدمين

ولكن لا يسوغ له أن يُغَيِّرَ تلك النصوص بالتقديم أو التأخير في مواضعها كما فعل

صاحبنا . فهو يعد أن أورد الرجز المتعلق ببني الحجاج ، اعترضته جُمْلَةٌ : (الحجاج

وَبِرةُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نُمَيْرٍ) . فحذف خبر هذه الجملة — ابنا وما بعدها —

وكتب في الحاشية : (وردت هذه الزيادة : ابنا عبدالله بن الحارث بن نُمَيْرٍ — خطأ ،

وهي تابعة لرقم ٣٠٥) ما هذا العبث ؟ بل ما هذا الجهل المركب ؟

١٧٥ — ص : ١٦٦ — :

فَثُمَّ إِذَا مَرَّتْ سَمَاءٌ مَطِيرَةً بِفَيْهَةِ بَرْكٍ جَاءَنِي سَبْلُ الْقَطْرِ
قرأها صاحبنا وأثبت (بفيه بؤل) في البيت وفي شرحه ، لأنه لا يَدْرِي ما هو بَرْكُ ،
وأنه من أعظم الأودية التي تحترق عارض البمامة — جبل طويق — .

١٧٦ — ص : ١٦٧ — : حبوتن — تصحيف حبوتن — ويعرف الآن باسم حُبُونًا من
أشهر أودية نَجْرَان ، وليس من أودية البمامة — كما نقل صاحبنا عن مصدره الوحيد .

١٧٧ — ص : ١٦٨ — :

وَأُوجِدَ مَسَّ الْجَرَاحِ وَطَعْمَهَا وَرِيحًا لَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ صَافِيَا
كلمة (ظلة) وحركات كثير من الكلمات في المطبوعة من الأخطاء .

١٧٨ — ص : ١٦٩ — : كلمة (علوان ويحلم) صوابها : (علوان ، وَيَحْكُمُ) .

١٧٩ — ١٧٠ — ليس شعر ميمون بن الحارث من بحر البسيط ، كما ذكر المحقق ،
بل من بحر الكامل ، ومنه :

فُتِحَا لِحَاجِبِهِ الْأَزْبُ كَأَنَّهُ هُلْبُ أَسْتِ نَابٍ تَسْلَحُ الْقَلَامَا

١٨٠ — ص ١٧٠ — وردت كلمة (الْقَلَامُ) وهي اسم نبات معروف ترعاه
الإبل ، في مطبوعة صاحبنا (الغلام) وشرحها شرحاً يتيح للقارئ شيئاً من الراحة من
جفاف الموضوع قال لا فُضُّ قُوهُ : (الغلام لم يرد هذا الجمع ، بل ورد الغلمة وغلیم :
الشديد الشهوة ، والغلام : الطائر الشارب ، والجمع أغلمة وغلان) انتهى الكلام على
إيضاح سَلَحِ الناقة !!

١٨١ — ص ١٧١ — :

أَلَا أَيُّهَا السَّارِي إِلَى بَيْتِ شَيْظُمٍ .
لا كما في المطبوعة : (على بيت شَيْظُم) .

١٨٢ — ص ١٧٢ —

فَلَوْلَا صَوَادٍ مِنْ جَزَالَاءِ دَلَّحُ وَهَذَا الثَّرِيًّا مَا وَجَدْنَا لَكُمْ ذَنْبًا
أُورِدَ الْبَيْتَ صَاحِبِنَا :

فَلَوْلَا سَوَادٌ مِنْ جَزَالَاءِ دَلَّحُ

وَعَفِلَ عَمَّا ذَكَرَ الْمَجْرِيُّ قَبْلَهُ أَنَّهُ فِي وَصْفِ نَخْلٍ جَزَالَاءَ ، وَأَنَّ الصَّوَادِي هِيَ النَّخْلُ
الطَّوَالُ الَّتِي لَا تَشْرَبُ الْمَاءَ ، وَاحِدَتُهَا صَادِيَّةٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

بَنَاتٌ بَنَاتِنَهَا وَبَنَاتٌ أُخْرَى صَوَادِي مَا صَلَيْنَ وَقَدْ رَوَيْنَا
وَالدَّلْحُ — بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ — جَمْعُ دَالِحٍ : النَخْلَةُ الْمُثْقَلَةُ بِالْحَمْلِ .

وَجَزَالَاءُ قَرْيَةٌ فِي الْعَرَضِ — عَرْضُ الْقَوْنِيَّةِ — لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً وَالْأَيَّاتُ الَّتِي قَالَ
عَنْهَا الْمُحَقِّقُ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْهَا فِي الْمَصَادِرِ الْأَدْبِيَّةِ أُورِدَ مِنْهَا الْهَمْدَانِيُّ بَيِّنَتَيْنِ فِي كِتَابِ «صِفَةِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» — ص ٣١٠ مِنْ مَنَشُورَاتِ (دَارِ الْإِمَامَةِ) فِي الْكَلَامِ عَلَى جَزَالَاءَ ،
وَالْهَمْدَانِيُّ يَمُنُّ اجْتَمَعَ بِالْمَجْرِيِّ فِي مَكَّةَ ، فِي أَوَّلِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ .

١٨٣ — ص ١٧٤ :

تَرْجُمُ عِنْدَ عَرَكِ اللَّكَاكِ
بِمَنْكِبٍ مَا هَمَّ بِانْفِرَاكِ

غَيْرَ صَاحِبِنَا الْبَيِّنِينَ هَكَذَا :

تَرْجَمُ عِنْدَ عَرَكِ اللَّكَاكِ
بِمَنْكِبٍ مَا هَمَّ بِانْقِرَالِ

وَقَالَ — لَا فُضَّ قُوَّةُ — : (فِي أ — ب : بِانْفِرَالِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَالْقُرْلُ
الصَّلَابَةُ ، وَأَرْضُ قُرْلَةٍ : سَرِيعَةُ السَّيْلِ إِذَا أَصَابَهَا الْغَيْثُ) . فَأَعْجَمَ الْبَيِّنِينَ ، وَعَعَى
مَعَانِيهِمَا .

١٨٤ — ص : ١٤٧٤ : (وَالْعَصْدُ — أَيْضًا — ضِيخَامُ الْقُصُورِ ، وَمَا يَعْصِدُهُ

العايضُ مِمَّا جَلَّ ، يصلح لِلْعَالَةِ والحَيمة .

غيرَ كلمة (جَلَّ) إلى (جَعَلَ) لأنه لا يفهم أن تلك الغصون الجليلة تُرْفَعُ وتسقف بها الْعَالَةُ ، وهي شبه الظِّلَّة والحَيمة ، تقوم على أغصانٍ قَوِيَّةٍ .

١٨٥ - ص : ٢١٧٧ - :

تَدْفَعُ أَيْدِيهَا يَدًا ثُمَّ يَدًا
لَعَنَ اللَّبْيَنِيَّ الْهَيْدَ الْمُعَقَّدَا

أوردَ صاحبنا كلمة (لَعَنَ) محرفة كما في المخطوطة ، (لَعَلَنَ) . وفسَّرَ (الهيْدَ) بأنه الحنظل ، وهذا تفسير خاطئ ، فالهيْدُ حَبُّ الحَنْظَلِ ، والذي يُلَعَنُ هو الهَيْدُ بعد معالجته بطَرُق تُزِيلُ عنه المرارة ، ثم طحنه ، وطبخه حتى يختر كاللبن ، ثم يُلَعَنُ ، وقد وَصَفَ أبو حنيفة الدَّبْنَوْرِيُّ طريقةَ معالجة الهَيْدِ ، فيما وصل إلينا من كتابه «النبات» الذي نشره أحد المستشرقين .

١٨٦ - ص ١٧٨ - :

فلَمَّا بَدَأَ الشُّورَانِ ، شَوَّرَ بِهِ الرَّدَى وَشَوَّرَ بِهِ الْقَلْعَانِ ، كَرَبْنَا جَبْرَ
حذف صاحبنا كلمة (شور) الأولى ، فاختلَّ وَزْنُ البيتِ ومعناه .

١٨٧ - ص ١٨١ - :

نَسَابِعُ أَرْسَالًا كَأَنَّ غُبَارَهَا دُخَانُ الْقَضَا وَالنَّارُ طَلٌّ وَقُودُهَا
قَرَأَهَا (الدكتور) وكتبها : (يُتَابِعُ) و(الْقَضَا) .

١٨٨ - ص ١٨٢ - :

وَيَجْنِبُهُ مُوسَى إِلَى مَتْنٍ عَرْمَسٍ يَوْمُ بِهِ الْعَوْلَيْنِ عَوْلِي مُتَالِغٍ
لم يُدْرِكْ صاحبنا معنى (يَجْنِبُهُ) فجعلها : (ويجْنِبُهُ) .

١٨٩ - ص ١٨٢ - :

نَظَرْتُ بِحِلْيَةٍ إِلَى أُمِّ صِنِّي تُزْفِقُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ شَهْوَةِ التَّمْرِ

كانت كلمة (القر) في الأصل مكتوبةً خارج السطر، وهي إلى السطر الثاني أقرب، فأورد صاحبنا البيت ناقصاً بدون قافية، ووضع كلمة التمر في غير موضعها هكذا: (جَلِيْتُ: جِلْبَ بَيْنَ ضَرِيَّةَ وَالْحَزِيْزِ، حَزِيْرَ رَامَةً، يَخْرُجُ الثَّمَرُ مِنَ الْحَزِيْزِ، وَيَنْشَبُ حِمَى ضَرِيَّةَ). والصواب: (يخرج من الحزير، وينشب في حِمَى ضَرِيَّةَ).

١٩٠ — ص ١٨٣ —: (قال أحمر الرأس:

وَلَا فَأَرْ مِسْكٌ رُضٌ أَصَوَارُهُ رُضًا

زاد صاحبنا كلمة (السيبي) وحذف كلمة (رُض). ورحم الله الأمانة في النقل، والمحافظة على النصوص.

١٩١ — ص ١٨٣ —: (وسأله عن الأذهمين فقال: هُمَا حَزْمَانِ اسْفَلَ مِنَ الدَّيْنِيَّةِ، شَرْقِيًّا تَحَوَّ بَرِيدٍ، وما أشبهه).

لم يُذكر صاحبنا أن البريدَ مقياسٌ مُحدَّدٌ للمسافات — كالفرسخ والميل — فكذلك الدهن حتى فتح الله عليه بما أسعفه به مصدره الوحيد «مراصد الاطلاع» فكتب: (بريدة — هكذا وَرَدَتْ — ماءً لبني حبيشة (كذا) وهم ولد جعدة بن غني).

ولن أنحف القاريء بشيء من مثل هذه التعليقات الطريفة الظريفة التي تجلُّ عن أن تسمع لها صفحات صحيفة قليلة الصفحات.

١٩٢ — ص ١٨٤ —:

لِأُونَسَ مِنْ أَمْسَى الْجَرَارِ مَحَلَّةٌ وَمُسْتَأْنِسٌ عِنْدَ الْعَشِيَّةِ نَازِحٌ فِي الْمَطْبُوعَةِ (أَمْس) وَ(مَحَلَّة).

١٩٣ — ص: ١٨٥ —: وأنشدني لِعَطِيَّةَ بْنِ الْمَلِجِ الْأَرْطُويِّ، فِي جَارٍ لَهُ عُقْبَلِيٍّ، وَخَانَ:

أَجَرْنَا الْعُقْبَلِيَّ الَّذِي جَاءَ خَائِفًا فَخَانَ، وَعِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ السَّرَائِرِ
لَمْ يُخَيِّنْ صَاحِبِنَا جَمَلَةً (وَخَانَ) فَحَدَقَهَا

ولا تَيَّاسًا أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ هَجْمَهُ مُبَرَّنَةً الْأَلْحَى ، وَنَهْدِيَّةً سُمَرًا
فيها البرثنان ، وَسَمَّ ثَلَاثَةَ أَغْلَاطٍ هَذِهِ صَفْنَهَا (↓) فِي حَدِّ الْبَعِيرِ ، سِمَةً لِبَنِي
نَهْدٍ ، وَلِبَنِي الْحَارِثِ .

الْأَلْحَى — جَمَعَ لِحْيٍ — وَلَكِنْ صَاحِبُنَا جَعَلَهَا (الْأَحْي) .

وقال في الهامش : (الْعِلَاط : وَسَمَّ يَكُونُ عَلَى عُنُقِ الْبَعِيرِ — انظر «نظام الغريب»
— (١٥٠) لأنه لم يفهم الْأَلْحَى ، وَأَنْ ذَلِكَ الْوَسْمُ يَكُونُ فَوْقَهَا . ثُمَّ أَضَافَ لَا فُضَّ
فَوْهُ : (وقال الجاسر : الصواب : مثل بُرْثَنٍ الطائر — «أبو علي الهجري» — (٣٧٨) .

لَا أَدْرِي كَيْفَ غَفَلَ فَذَكَرَ هُنَا اسْمَ كِتَابِي الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ جُلٌّ مَا أَتَى بِهِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ
صَحِيحَةٍ عَنِ الْمَجْرِي ، وَلَكِنَّهُ أَغْفَلَ ذَكَرَهُ وَحَرَصَ عَلَى أَنْ يَتَجَاهَلَهُ ، لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ
الْحَاشِيَةَ مِمَّا نَسِيَ الْأَخُّ إِزَالَةَ اسْمِ الْكِتَابِ مِنْهَا — كَمَا أَزَالَهُ مِنْ غَيْرِهَا —

حَقًّا لَقَدْ عَلَّقْتُ عَلَى كَلَامِ الْمَجْرِي فِي وَصْفِ الْبُرْثَنِ — الْبَرْتَانِ — بِذَلِكَ الْكَلَامِ
وَرَسَمْتُ فِيهِ الْبَرْتَنَ ، لِأَنَّ الرِّسْمَ الْمَوْضُوعَ فِي مَخْطُوطَةِ الْأَصْلِ ثَلَاثَةَ خُطُوطٍ مَصْفُوفَةٍ ، وَمَا
هَكَذَا الْبَرْتَنَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَطَّاءَ مِنَ النَّاسِخِ الَّذِي يَخْطِئُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ . وَقَدْ
ذَكَرَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ أَنَّ الْبُرْثَنَ سِمَةً لِلْإِبِلِ ، كَالْبَرْتَانِ بِالْكَسْرِ يَكُونُ عَلَى هَيْئَةِ مَخْلَبِ الْأَسَدِ .
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْبَرْتَانُ مِنَ السَّبَاعِ وَالطَّيْرُ بِمَنْزِلَةِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَلَا يَزَالُ الْبُرْثَنُ
مَعْرُوفًا عِنْدَ أَهْلِ نَجْدٍ ، لِلطَّائِرِ . وَهُوَ كَمَا رَسَمْتُ (↓) .

١٩٥ — صَاحِبُنَا إِذَا لَمْ يُعْجِبْهُ النَّصْرُ الْوَاضِحُ فِي الْأَصْلِ غَيْرُهُ ، وَوَضَعَ غَيْرَهُ ،
وَأَوْضَحَ ذَلِكَ ، عَلَى حَدِّ الْمَثَلِ النَّجْدِيِّ : (مِنْ زَيْتِنَا قَوَابِي عَيْنَهَا) ! وَلَهُ عَلَى هَذَا أَمْثَلَةٌ
كَثِيرَةٌ — فِي ص ١٨٩ (الشيخ ملف) غَيْرَ الشَّيْخِ فَعَجَّلَهَا (السَّيْح) وَاتَّهَمَ الْأَصْلَ
بِالتَّصْحِيفِ .

(وَقَفَزَ فِي عِلْمَانِهِ) ص ١٩٠ : (وَقَفَزَ فِي عِلْمَانِهِ)

وَقَدْ نَشِبَتْ بَنِي غَشِيَّةً مَا مَلَكَتْهَا وَقَدْ مَرَّ عَصْرٌ وَهِيَ بِي مَا تَجَلَّتْ

لم يحسن الأخ قراءة (مَرَّ) فجعلها (من وكتب) في الهامش : (في ب : مضى — تحريف) .

١٩٧ — ص : ١٩١ و ١٩٢ — تكررت كلمة (هوذان) وهو هردان — بالراء بدل الواو — كما في ص ٢٢٤ — .

١٩٨ — ص : ١٩٢ —

إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَفْنَمًا فَحَوِيَّتُهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَمْنَى الْأَمَانِيَا
جاء في المطبوعة (فَهَوِيَّتُهُ) بالهاء بدل الحاء — و فرق بين معنى الكلمتين .

١٩٩ — ص : ١٩٤ — وأنشدني لأبي ثُمَامَةَ يقولها لأخيه ، وتنازعاً إمارة الفلج ،
وهما من بني جَعْدَةَ :

وَدَاوَرْتَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ تَحْشَلِي وَقَدْ لَاحَ شَيْبُ فِي الْمَفَارِقِ وَالطَّرِ

في المطبوعة : (وقد تنازعا) بزيادة (قد) و (الفلج) و (دابرت) و (الضرر) وكلها
أخطاء .

٢٠٠ — ص : ١٩٥ —

كَأَنَّ أَخِي وَرَقَاءَ إِذْ يَطْرُدُونَهُ قَعُودُ بَرَجْلَيْهِ الْحِدَاجَةُ نَاقِبُ
البيت من مقطوعة قافيتها (باء) ولكن الناسخ غيرها إلى (نافر) بالراء وقال في المحقق
في الهامش : (هكذا ورد البيت) وحسناً فَعَلَّ . والناقِبُ الذي أصابه النَّقَبُ وهو رُقَّةُ
الأخفافِ بحيث يؤلمه المشي في الأرض الجَلْدِ . وأتى للمحقق أن يُدرِك هذا .

٢٠١ — ص : ١٩٥ —

فَإِنَّ الْعَيْنَ يَوْمَ فِرَاضِ حَجَرٍ بِذَنْبٍ قَدْ عَلِمَتْ بِهِ تَرَائِ
غيرَ صاحبينا كلمة (ترائ) فجعلها (نواك) وفسر فراض حجر تفسيراً كعادته في
الإغراب والإعجاب .

٢٠٢ — ص : ١٩٧ —

وَأَشْرَفْتُ فِي عَيْطَاءَ مِنْ رَمَلٍ قَرَقَرَى بَعِضُ الْبَيْتِ سَهْلُهَا وَجِبَالُهَا
لِأُونَسَ مِنْ بُشْرَانَ رُكْنَا كَأَنَّهُ مِنَ الْبُحْتِ خُرُوجُ عَلَيْهَا جِلَالُهَا

غيرُ المُحقَّق كلمة (بِغِيض) إلى كلمة (بِغِيض) في البيت الأول .

وغيرُ في البيت الثاني (مِنْ الْبُحْتِ) فجعلها : (من التَّجِب) .

٢٠٣ — ص : ١٩٨ —

هَلْ يُرْجِعَنَّ لَكَ الصَّبَا فِي عَهْدِهِ طُولُ الْعَضِيضِ عَلَيْهِ بِالْأَيْهَامِ

كلمة (العضيض) وردت في المطبوعة : (الغضيض) كذا .

٢٠٤ — ص : ١٩٩ — (الْعُدَى جَمْعُ عُدْوَةٍ الْوَادِي) .

وزيادة الباء في المطبوعة (بالوادي) خطأ .

٢٠٥ — ص : ٢٠٠ — (تَقَمَّ الْجَمَلُ : إذا امتنع من الخطم) وليس (يغتم) كما في المطبوعة .

٢٠٦ — ص : ٢٠٠ —

إِذَا أَوْرَدُوها بِالْحِجَالِ تَشَتَّتْ لَهَا حَرَبَاتٌ غَيْرُ خُرْسٍ الْجَلَاغِلِ

كذا ورد البيت في الأصل . وقال المحقق إنه لم يجد للبيت ذِكْرًا في المصادر المتوفرة . انتهى .

وَالْهَجْرِيُّ ذَكَرَ أَنَّهُ لِمُطِيعِ الْهَذَلِيِّ ، وَشِعْرٌ مُطِيعٍ مَنشُورٌ فِي كِتَابِ « شَرْحِ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ » مِنْ ص ٩٩٩ إِلَى ص ١٠٦٤ الْمَحْقَقُ لَمْ يُكَلِّفْ نَفْسَهُ عَنَاءَ النَّظَرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِيَجِدَ الْبَيْتَ فِي الْقَصِيدَةِ الرَّابِعَةِ بِهَذَا النَّصِّ :

إِذَا دَاوَرُوها بِالْحِجَالِ تَشَتَّتْ لَهُمْ حَرَبَاتٌ غَيْرُ خُرْسٍ الْجَلَاغِلِ

— وشرحه هناك — ص ١٠٢١ — (و(داوروها) أصح من (أوردوها) .

٢٠٧ — ص : ٢٠٠ —

كَأَنَّهُ سِيدُ غَضًا أَزَلُّ

— بالزاي لا (أذل) بالذال .

٢٠٨ — ص : ٢٠١ — (وَأَشْتَمُ : أَنَّ يُرِيكَ خَشَوَةَ جَانِبِهِ) لا : (يريد) كما في المطبوعة .

٢٠٩ — ص : ٢٠١ — : (ولا يكون الْخِبَاطُ وَالْعِرَاضُ إِلَّا فِي الْفَخْدِ ، فَالْخِبَاطُ فِي طَوْلِ الْفَخْدِ ، وَالْعِرَاضُ مَا عُرِضَ ، وَيَكُونُ فِي السَّاقِ) . جملة : (فالْخِبَاطُ فِي طَوْلِ الْفَخْدِ) ساقطة من المطبوعة .

٢١٠ — ص : ٢٠١ —

يَا مَنْ لِمَنْشَأَ هَمَلٍ مُلْتَاكِ

في المطبوعة (لنشا) . وللمحقق تعليق مخجل على كلمة (الملتاح) لا يسوغ ذكره .

٢١١ — ص : ٢٠٢ — : وأنشد الأشجعي :

فَلَنِنْعَمَ مُعْتَرِكُ الْحَيِّ الْجِيَاعِ إِذَا حَبَّ السَّفِيرُ وَسَابِيءُ الْخَمْرِ
لا شك أَنَّ كلمة (الحي) مقحمة في البيت ، وكان على المحقق حين أشار إلى ذلك أن يتسبه لقائله وهو زهير ، فهو في ديوانه ص ٨٨ —

٢١٢ — ص : ٢٠٢ — : نسب المحقق الرجز :

كَأَنَّ مَسْنِيَّ مِنَ النَّفْيِ

لِلْأَخِيلِ الطَّائِي ، وأحال إلى «معجم الشعراء» والرجز ليس في هذا الكتاب ، بل في كتاب «المؤلف والمختلف» .

٢١٣ — ص : ٢٠٣ — : (وهي عُرُوس ، فتأتي تُعِينُنِي عَلَى السَّقْيِ ، حتى يَجْتَاطُ طِينُ السَّقْيِ وَمَدَرُهُ بِخُلُوقِهَا) .

كلمة (على) سقطت من المطبوعة و(بخلوقها) صُحِّتْ (بخلوتها) .

٢١٤ — ص : ٢٠٣ — (لم يُخْطَمَ بَعْدُ ، هو مُحَرَّمٌ) .

وليس (يُحَرَّم) كما في المطبوعة .

٢١٥ — ص : ٢٠٤ — (حدثني أبو كَيْبَر الرُّبِّيُّ ، من الرُّبَاب ، أحد بني عَدِيٍّ ، رَهْط ذِي الرُّمَّة) .

أبو كَيْبَر هذا معاصرٌ للهجري — في القرن الثالث الهجري — ومن قبيلة الرُّبَاب من بني أَدَّ بن طابِخَة بن الياس بن مُضَر ، ولكنه سينقلب بقدرة قادرٍ إلى رجل عاش في أول القرن الأول ، وَيُصْبِحُ هُذَيْلًا من هُذَيْل بن مُدْرِكَة بن الياس بن مُضَر ، إنَّه الشاعر الهذلي المشهور ، كما حَقَّقَ هذا العالم النُّحْرِير (الدكتور) يا لله من هذا الفَهْم ؟!

٢١٦ — ص : ٢٠٥ —

تَمَنَيْتُ أُمَّ الْعَمْرِ حَتَّى رَأَيْتُهَا يُفْلَتَنَّهَا ، بَيْسِ الثَّوَابِ يُشِبُّ
في المطبوعة (أم العمرو) و(بفلتنها) .

٢١٧ — ص : ٢٠٦ —

يَا لَيْتَ أَحْمَدَ غَاظَتْهُ فَطَلَّقَهَا وَأَنْشَبَتْ شَهْرًا فِي جِيدِهِ الْوَهَقَا
في المطبوعة (أحمد ، في غاظته) بزيادة (في) فاختلف الوزن والمعنى .

٢١٨ — ص : ٢٠٧ — (الجرَّين : وادٍ بالرَّيْبِ حَرْلٌ ، أي ذو حِجَارَةٍ) كذا في المخطوطة وتحت الحاء علامة الاهمال ، وتحت الراء علامة تحقيقها . ورد في المطبوعة (حول) وقال المحقق : في — ا — حزل ، وهو خطأ) . وكذا يقال عن (حول) وصواب الكلمة (جَرَلٌ) بالجرم والراء واللام — وهو المكان الصَّلْبُ الغليظ ، على ما في كتب اللغة .

٢١٩ — ص : ٢٠٨ —

إِنْ قُلْتُ أَسْلَفَنِي إِلَى آبَائِي .

سقطت كلمة (إلى) من المطبوعة .

٢٢٠ — ص : ٢٠٩ : — (أَي كَلِّمَا زِدْنَ فِي عَدَدِهِنَّ زَادَهُنَّ ذَالِكَ عِنْدِي كِرَامَةً) .

كلمة (أَي) حُرِّفَتْ فِي الْمَطْبُوعَةِ إِلَى (وَإِنِّي) .

٢٢١ — ص : ٢٠٩ : — (وَسَأَلْتَهُ عَنِ الدِّخَالِ فِي شَرْبِ الْإِبِلِ فَقَالَ : أَنْ تَرِدَ إِبِلُ نَاهِلَةٍ عَلَى إِبِلٍ شَارِعَةٍ فَتَدْفَعُهَا وَتَشْرَعَ مَعَهَا ، فَكَانَ الدِّخَالُ التَّرَاخُمُ عَلَى الْمَاءِ) .
حُذِفَ فِي الْمَطْبُوعَةِ كَلِمَةُ (إِبِلٍ) الثَّانِيَةِ ، وَغَيِّرَ (فَكَانَ) إِلَى (وَكَانَ) .

٢٢٢ — ص : ٢٠٩ : —

إِنْ رَوَيْتَ مِنْ عَرَكٍ دِخَالٌ
أَجْلَيْنَ عَفَرَ الْحَوْضِ لِلْفِصَالِ

فِي الْمَطْبُوعَةِ (إِذَا) بَدَلَ (إِنْ) وَ(غَوَالٍ) بَدَلَ (عَرَكٍ) وَ(لَامِ الْقَافِيَةِ) مَكْسُورَةٌ .
٢٢٣ — ص : ٢١٠ : — (أَحَدُ بَنِي أَوْسٍ ، يَقُولُهَا لَشِمْلَةٍ) الْخ لَا كَمَا فِي الْمَطْبُوعَةِ (أَحَدُ بَنِي أَوْسِ الشِمْلَةِ) .

٢٢٤ — ص : ٢١٠ : —

أَحْوَالُ شِمْلَةٍ يَصْبَحُونَ عَدُوَّهُمْ كَأَسَا يُطِيلُ بِهَا الْجَرِيضَ الصَّادِرُ
لَا كَمَا فِي الْمَطْبُوعَةِ : (أَحْوَالُ سَلْمَةٍ) .

٢٢٥ — ص : ٢١٠ : —

سُبْحَانَ مَنْ فَتَحَ الْأَبْوَابَ عَنْكَ لَهُمْ ثُمَّ ابْتَلَاكَ فَلَمْ يُنْقِذَكَ دِيَارُ
لَا (الْأَبْوَابُ عَنْهُمْ) كَمَا وَضَعَ صَاحِبُنَا .

٢٢٦ — ص : ٢١١ : —

صَدَعَ الظَّعَّائِنُ قَلْبَكَ الْمَشْفُوقَا بِلَوَى عَرِيْقَةٍ ، إِذْ أَرَدْتَ خُفُوفَا

حذف (إذ) كما في المطبوعة يفاير الأصل ، ويكسر البيت .

٢٢٧ - ص : ٢١١ - (وقال لِرَجُلٍ قَدْ حَفَرَهُ : مَالِكُ تَنَهَكَ ، وَقَدْ نُهَجَ) .

صُحِّفَتْ (تُنْهَج) و(نُهَج) في المطبوعة (تُنْهَجُ) و(بُهَج) .

٢٢٨ - ص : ٢١٢ -

فَمَنْ لِيَقَاةِ الْخَيْرِ يَعْدُ ابْنُ مُعْرَضٍ وَقَدْ مَلَ عَيْسُ سِرْهَنٍ وَجِئْتُ
في المطبوعة : (معوض) و(عيسى) تحريف .

٢٢٩ - ص : ٢١٣ -

أَلْقَى خَدَاجًا فَلَا إِثَامَ وَاحْتِسَبِي حَوْضِي دَلَامِيسَ وَاغْدِي أَيُّهَا النَّابُ
وقال : خَدَجَتِ النَّاقَةُ : إِذَا بَانَ خَلْقُهُ ، تَطَرَّحَهُ مِثْلُ الزُّبُوعِ لَا وَبَرَ عَلَيْهِ ، وَلَا
يَكُونُ بِهَا عَلَيْهِ لَبَنٌ) .

(١) حرف صاحبنا البيت هكذا :

أَلْقَى خَدَا جَافِلًا ... وَاغْدِي

(٢) شرح دلاميس - ولم يدرك أنه اسم موضع - شرحا لا صلة له بالكلام .

(٣) - وأسوأ مما تقدم حذف شرح الخداج من كلمة (وقال) إلى (لبن) .

٢٣٠ - ص : ٢١٣ - (النَّيِّرُ : عَلَمٌ مِنَ الْأَعْلَامِ ، وَلَيْسَ نَيْرٌ غَيْرُهُ ، وَهُوَ فِي
وَسْطِ حِمَى ضَرِيَّةٍ) .

جُمْلَةٌ : (وليس نيرٌ غيره) حَرَفَهَا أَخُونَا فَصَارَتْ : (وليس بشر) وحذف (غيره) .
وأراد - رعاه الله أن يأتي بشيءٍ حول النَّيِّرِ فَاسْتَعَانَ بِمُصَدَّرِهِ - الذي لا يعرف غيره
«مراصد الاطلاع» فأسغفه بما نَصَّهُ : (كما جاء في الشعر مُثْنِي :

فَمَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ إِلَّا اسْتَحْفَنِي إِلَى بَرْدِ مَاءِ النَّيِّرِ بَيْنَ حَيْنٍ
لَقَدْ أَوْقَعَهُ مُصَدَّرُهُ فِي هَوَاةٍ ، فَكَلِمَةُ (النيرين) في البيت ليست مُثْنِي (نير) بل مُثْنِي

(تَرْب) قرية من قرى دمشق ، لا تزال معروفة ، والبيت أورده ياقوت في «معجم البلدان» شاهداً عليها بهذا النص : وقد ذكرها أبو المَطَّاع وَجَّه الدولة ابنُ حَمْدَانَ في شعرٍ له ، وسَمَّاها التَّيْرَيْنِ — بلفظ التثنية — فقال :

سَقَى اللهُ أَرْضَ الغُوطَيْنِ ، وَأَهْلَهَا فَلَئِي بِجَنُوبِ الغُوطَيْنِ شُجُونُ
فَمَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ إِلَّا اسْتَحْفَنِي إِلَى بَرْدِ ماءِ النَّيْرَيْنِ حَنِينُ
وَقَدْ كَانَ شَكِّي لِلْفِرَاقِ يَرُوعُنِي فَكَيْفَ يَكُونُ الْيَوْمَ ، وَهُوَ يَقِينُ

— ٢٣١ — ص : ٢١٤ —

إِذَا جَادَ فِيهَا كَوَكَبٌ شَجِيتُ بِهِ مَذَانِبُهَا مِنْ رَهْمَةِ جَادَ كَوَكَبُ
لا (جاء فيها) — كما في المطبوعة .

— ٢٣٢ — ص : ٢١٤ —

أَتَسْنَا بَرِيًّاها جَنُوبُ مُطَلَّةَ مَعَ اللَّيْلِ تُزْجِيهَا هَذَا لَيْلُ نُفْبُ
حرف كلمة (هذاليل) إلى (حواليك) ولم يستطع قراءة شرحها في الهامش :
(هذاليل : ضعيفة) فحذفها ، كما حذف شرح كلمة (مُطَلَّة) أي (بحريَّة) .

— ٢٣٣ — ص : ٢١٥ —

سَبَّهْتُ فَلَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يُنَجِّ إِلَى شَعْبِ الْكِيْرَانِ حُدْبًا عَوَانِيَا
حَرْفٌ فِي الْبَيْتِ (الْكِيْرَانِ حُدْبًا) الْكِيْرَانِ : جَدْبًا) .

— ٢٣٤ — ص : ٢٢٣ —

وَإِنْ أَمَرَعَتْ قُرْيَانُ نَجْدٍ وَتَوَرَّتْ مِنَ الْبُقُلِ لَمْ أَنْظُرْ بِعَيْنِي فِي نَجْدٍ
الْقُرْيَانُ : جمع قَرْيٍ : وهي مسايل ماء المطر إلى الرياض ، ولا تزال معروفة عند أهل نَجْدٍ ، وَأَتَى لصاحبنا أن يعرفها ، ولهذا فقد جعلها (قربان) وفتح النون .

— ٢٣٥ — ص : ٢٢٤ — (وَأَنشَدَنِي الْبَطَّالُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، أَحَدُ بَنِي مَالِكِ بْنِ سُلَيْمَةَ ، وَتَشَوَّقَ إِلَى الرَّيْبِ وَهُوَ بِمِصْرَ) .

حَرَّفَ أَخُونَا : (وَأَنشَدَنِي) إِلَى (وَأَنشَدَ فِي الْبَطَالِ).

وحذف جملة : (وهو بمصر) وكتب في الهامش : (في أ — ب : إلى الريب ، بمصر ، وأعتقد هذا من خطأ النسخ ، إذ لم أجِدْ للريب ذِكْراً من مصر ، في المصادر المتوفرة لدينا) !!

يَا أَخُونَا أَضْعَفَ النَّاسَ فَهَمَّا يَدْرُكُ أَنَّ جُمْلَةً (وهو بمصر) تعود إلى المتشوق ، وَهَبَ أَنَّكَ لَمْ تُدْرِكْ هَذَا فَهَلْ يَسُوغُ لَكَ حَذْفُ كُلِّ كَلَامٍ لَا تَفْهَمُهُ ١٩ لَيْتَكَ فَعَلْتَ هَذَا فِي جَمِيعِ كَلَامِ الْمُهْجَرِيِّ فَأَرَحْتَ وَاسْتَرَحْتَ.

— ٢٣٦ — ص : ٢٢٤ —

لَا يَسْتَوِي سَابِقُ فِي يَتِّ مَكْرَمَةٍ وَأَبْغُلُ فِي رِبَاطِ نَسْخُورِيَّاتٍ
فَسَّرَ أَخُونَا الْأَبْغُلَ النَّخُورِيَّاتِ بِأَنَّهَا (الحمير) ١٩ إذ لم يستطع قراءة التفسير الذي في هامش الأصل : (صحيحات).

— ٢٣٧ — ص : ٢٢٥ —

فَتَى لَا يَرَى خَذْلَانَ جَارِهِ رَفْعَةً إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ التَّرَاقِيَا
لم تعجب صاحبنا كلمة (جاره) فوصم الأصل بالتحريف ، وغيرها فجاءت في مطبوعته (جَارِيَةً).

— ٢٣٨ — ص : ٢٢٥ —

وَكُنْتُ كَذْبِي تَبْلِي جِيَادٍ رَمَى بِهَا فَلَمْ يُبْقِ إِلَّا فِي الْجَفِيرِ التَّوَالِيَا
قرأ صاحبنا (نيل) : (نيل) وفَسَّرَ الجفير — الذي هو جعبة سهام النَّبْلِ تَفْسِيراً قَدْ يُخَفِّفُ مِنْ سَأَمِ الْقَارِيءِ ، فإِذَا قَالَ — أَفَادَهُ اللَّهُ — : (جَفِيرٌ تَصْغِيرُ جَفَرٍ : قُرْبَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ لِبَنِي عَامِرٍ) وَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْهُ فَانْظُرْ «المراسد» وسيدريك إلى الجزء والصفحة ١١ (٣٣٨/١)

— ٢٣٩ — ص : ٢٢٥ —

كَفَى حَزْناً أَنِّي إِذَا جِئْتُ لَا أَرَى عَلَى ثُلُلِ الْأَطْرَافِ إِلَّا الْمَوَالِيَا

لم يحسن صاحبنا قراءة (ثلث) فظنها (تلك) ونسبها إلى الأصل ، ثم غيرها بكلمة (تكلم) بعد أن حكم بتحريف ما في الأصل .

٢٤٠ — ص : ٢٢٥ — :

جَمَالِيَّةٌ لَوْ يُجْعَلُ السَّيْفُ غَرْضَهَا عَلَى حَدِّهِ لَاسْتَكْبَرْتُ أَنْ تَقْصُورَا
غير صاحبنا آخر البيت ، فجعله (لاستكبرته تَقْصُورَا) وقال عن كلمة (لاستكبرت)
تحريف في الأصل .

٢٤١ — ص : ٢٢٧ — (البياض بين يرين والجمامة ، بِسَائِفِ الرَّمْلِ) .

قرأ صاحبنا (يرين) : (هرير) وفسره قائلًا : (الهرير : موضع كانت فيه وقعة بين
بكر بن وائل ، وبين بني تميم ، سُمِّيَتْ يوم الهرير) ثم ذكر المصدر العتيد .
ويُتَّيَرَن منطقة ذات رمال عظيمة لا تزال معروفة ، ويحلو لبعض الجهال تقليد
الافرنج بتسميتها (جبرين) .

٢٤٢ — ص : ٢٣٧ — :

بَنِي كَلَابٍ أَبَادَ اللَّهُ غَايِرَكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِيُمَيِّرْ مِنْكُمْ يَوْمَ
لم تعجب أخونا كلمة (يوم) فجعلها (يوم [ي]) كذا وكذا في الهامش : (في —
أ — ب — فراغ ، ولعل الفراغ مقدار حرف الياء لو قلنا : (منكم يومي) لاستقام
البيت) !!

لا فراغ ، والبيت مستقيم .

٢٤٣ — ص : ٢٢٨ — :

أَنَا الْأَعْنَقُ ابْنُ الْبَاهِلِيَّةِ ارْتَدِي حَمَائِلَ عَضْبٍ لَمْ تُقَلِّلْ مَضَارِيهِ
حَرَفٌ صَاحِبُنَا الْبَيْتَ فَجَعَلَهُ : (إِذْ تَدِي كَمَاثِلَ عَضْبٍ) وَأَتَى بِتَفْسِيرٍ لَتَحْرِيفِهِ
مَضْحَكٌ — وَلَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ ضَحْكٍ —

أما كلمة (ارتدي) فقد كتب فوقها في هامش الأصل : (بَجَرُ الْأَلْفِ) وهو يقصد
لهجة — معروفة — جَرَّ أَوَّلَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعَ —

حمد الجاسر

(للحديث صلة)

في رحاب الحرمين

— ٢٣ —

رحلات القطبي من مكة إلى المدينة

[وما يتعلق برحلات الحج — من حيث وصف طريقه وذكر سكانه — رحلات زيارة المسجد النبوي الشريف ، ومن أقدم ما اطاعت عليه مَقْصُلاً ما كتبه قطب الدين المكي الحنفي . وهو ما رأيت إلحاقه بما سبق نشره في مجلة «العرب» .

وأخر حلقة نشرت كانت في السنة الرابعة عشرة (ص ٥٢١) وهو ملخص رحلة السيد إدريس بن عبد الهادي العلوي المتوفي سنة ١٣٣١ — أنظر عنه الرحلة التونسية ، ج ٣ ص ١٦٥] .

تُعْتَبَرُ كُتُبُ الرِّحَلَاتِ لَتَنْوَعِ مَبَاحِثُهَا وَأَسَالِيبُهَا مِنْ أَمْتَعِ الْكُتُبِ ، وَأَكْثَرِهَا اسْتِهْوَاءً لِلْقُرَّاءِ .

ولعلماء الحجاز وأدبائه رِحَلَاتٌ لَمْ تَنْلِ حَظَّهَا مِنَ الدِّرَاسَةِ ، ومن تلك الرحلات :

١ — «رحلة الشتاء والصيف» :

للسيد محمد بن عبدالله الحسني المدني (١٠١٢ / ١٠٧٠) المعروف بالسيد كيريت .
وصف فيها رحلته من المدينة إلى اصطنبول .
وهي منشورة منذ زمن .

٢ — «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء» :

للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (١٠٥٦ / ١٠٨٣ هـ) .
وقد تحدثت عنها في مجلة «العرب» ^(١) وصف بها ما شاهده حين زار البلاد التركية ،
مارةً ببلاد الشام ، وعائداً بطريق مصر إلى المدينة المنورة .

ونشرتها (وزارة الثقافة والإعلام) العراقية — في ثلاثة أجزاء ، بتحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي ، وصدر الجزء الأخير منها في الحلقة (٨٧) من سلسلة كتب التراث — عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

٣ — «نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس» :

للعباس بن علي بن نور الدين الحسيني المكي المتوفي في حدود سنة ١١٨٠ هـ . وقد تجول في اليمن والعراق وفارس ، وزار نجداً ووصف مشاهداته ، وملاً رحلته بمباحث أدبية وأشعاراً وأخباراً لا صلة لها بموضوع الرحلة . ومع ذلك فهي على جانب كبير من الامتاع .

وقد نشرت مرتين — في جزئين —

٤ — «الرحلة الحجازية» :

مؤلفها محمد بن سليم الخزومي البنيصي ثم المدني —

ذكر أن أسرته انتقلت من قرية (السويق) من بلاد بنع النخل إلى المدينة المنورة ، وقد سجل في رحلته التي ابتدأها من المدينة في ١٥ شوال سنة ١٣٠٦ هـ — سجل مشاهداته في مصر والمغرب وأوربا حيث بلغ (لندر) كما زار اليمن . ومعلوماته ضحلة ، ولكنها لا تخلو من فائدة^(٢) .

وقد طبعت هذه الرحلة في الاسكندرية سنة ١٣١٧ —

٥ — «الرحلة البجائية» :

للشريف شرف البركاتي ، وصف فيها رحلة الشريف الحسين بن علي حين غزا الإدريسي وبلاد عسير في الثلث الأول من القرن الماضي . ومع كثرة ما فيها من الأوهام المتعلقة بأنساب القبائل ، إلا أنها تغيد المعنيين بدراسة الرحلات .

٦ — « الفوائد السنيّة في الرحلة المدنيّة والرومية » :

هذه الرحلة أقدم من الرحلات التي تقدم ذكرها . ومؤلفها هو مؤرخ مكة المعروف بالطقطبي النهروالي الهندي ثم المكّي ، وقد انتقل أحد أجداده من زبيد من اليمن إلى نهر وائل ، في الهند .

ولقد تحدّث — بإسهاب — عن صاحب هذه الرحلة الشيخ محمد بن أحمد النهروالي ثم المكّي ، المعروف بقطب الدين الحنفي المولود سنة ٩١٧ في مدينة لاهور — في الهند ، المتوفى سنة ٩٩٠ بمكة المكرمة ، تحدّث عنه في مقدمة كتابه « البرق البجلي في الفتح العثماني » . (٣)

وذكرت من بين مؤلفاته (التذكرة) وهذه الكلمة تعني عند المتقدمين الكتاب الذي يدون فيه العالم أو الأديب ما يحتاج إلى تسجيله للاستفادة والرجوع إليه .

وتذكرة الطقطبي موجودة بخطّ يده ، دفتر كبير ، كان يسجّل فيه ما يريد تسجيله بدون ترتيب ، وقد فقد منه أثناء رحلته إلى (اصطنبول) وكان يسجّل فيه أخبار تلك الرحلة ، فتأثر لفقده ، ولكنّ (بايزيد) بن السلطان سليمان القانوني بعث من يبحث عنه حتى وجده ، وأعادته إلى الشيخ ، وقال في كلامه حين سار من قرية (قره آيوك) التي مرّ بها في يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ إلى (اصطنبول) — عن ضياع الدفتر : (وقعت الجنة^(٤) المعلقة في السرج ، وفيها الدواة والقلم وهذا الدفتر ، ولا ندري كيف وقعت ، وتألّمت لذلك ، لأن الدفتر كان فيه ذكر المراحل والمنازل ، وما لآقيته ، وما صرفته ، فأرسلت مكتوباً إلى السلطان بايزيد ، مع أحد الاسباهية^(٥) ، الذين أرسلهم معنا ، وأمرت برجوعه إلى السلطان بايزيد ، والفحص عن الجنة ، فعاد ، فلما وصل إليه المكتوب جمع كبار أهل القرى التي هناك ، وأمرهم بالفحص عن الجنة كما هي ، من كلّ بد ، فتوجهوا يسألون عنها ، فوجدوها عند امرأة ، فأتوا بها إليه ، فأحسن إليها ، ورأى الدفتر ، وبعض مسودات ، فطالع فيها ، وأعادها إلى الجنة ، ووضع الكلّ في كيس ، ومهرّ عليه ، وسلّمه الاسباهي ، فعاد إلينا ، وأدرّكنا في (اصطنبول) انتهى .

وقد ذكرت ما يحويه ذلك الدفتر ، في مقدمة كتاب « البرق البماني » . وأكتفي الآن بالحديث عن رحلته التي سَمَّاها : « الفوائد السَّيِّئة » ، في الرحلة المدنية والرومية .

إنها تقع في قسمين : الأول في وصف رحلاته إلى المدينة المنورة ، وهي سَبْع رحلات ، سَجَّلَ منها أخبارَ خَمْسٍ ، وأشار إلى اثنتين إحداهما حين رحل إلى المدينة مع والدَيْه سنة سبع وثلاثين وتسع مئة ، وهو في سنِّ العشرين ، وهي أوَّلَى رحلاته إلى المدينة ، ولم يكتب عنها في كتاب رحلاته شيئاً ، ولكنه ذكرها في الكلام على بَدْرِ ، وأنه سمع فيه في تلك الرحلة ما يزعم أنه صوت طَبَلٍ .

والرحلة الثانية ذكرها في سنة ٩٦٥ — وترك بياضاً لوصفها ، فلم يفعل وخمس الرحلات التي سَجَّلَ وصفها هي :

١ — الرحلة الأولى سنة ٩٥٩ .

٢ — الرحلة الثانية سنة ٩٦٤ .

٣ — الرحلة الثالثة سنة ٩٧١ .

٤ — الرحلة الرابعة سنة ٩٧٦ .

٥ — الرحلة الخامسة سنة ٩٨٠ .

وهو يصف المنازل في الذَّهاب والإياب ، وحديثه عن مُشاهداته في المدينة مُقْتَضِبٌ ، ويذكر أطرافاً مما يتعلق بالمنازل وسُكَّانها ، ولهذا فوصفه لمنازل الطريق بين مكة والمدينة يُفيدُ المعنيين بالدراسات الجغرافية ، وخاصَّة ما طرأ على أسماء المواضع من تغيُّير ، كما يفيد المهتمين بما يتعلق بأحوال البادية فيما بين الحرمين .

وهذا من أهمِّ البواعث على نشر تلك الرحلات ، كما سَجَّلها كاتبها باستثناء بعض الانطباعات الخاصَّة بال مؤلِّف . إذ من المعروف أنه عاش في عَصْرِ طَغَى فيه الجمود الفكريُّ على العالم الإسلامي طَغْيَاناً أثَّر في العقول آثاراً سيِّئة ، من حيثِ النظرة إلى تعاليم الدِّين الخفيف ، فقد أَدْخَلَتْ في تلك التعاليم أنواع من البِدْع والخرافات ، بل تَعَدَّى الأمر إلى الجهل بحقيقة الدِّين الصحيح . بحيث انطبق مدلول الحديث الشريف .

« بَدَأَ الإسلامُ غريباً ، وَسَيَعُودُ غريباً كما بَدَأَ » فَيَنْتِ القباب على القُبُور ، واستَغَاث

الْجَهَالُ بِالْأُمُوتِ ، وجاراهم بعضُ من يتسبُّ إلى العلم ، وجاءت السلطنة التركية — وأغلبُ قادتها غريبون عن معرفة حقيقة الإسلام — فكانت أقوى دعامة لانتشار البدع والخرافات في البلاد الإسلامية .

ولهذا قلَّ أنْ تجدَ مؤلفاً لعالم عاش في ذلك العصر — القرن العاشر الهجري — خالياً مما ابتلي به أهل ذلك العصر إلا من رحم ربُّكَ .

وكانت الأمانة العلمية تُحتمُّ عَدَمَ التَّصَرُّفِ بنصوص العلماء عند نشرها — وتوجب إبقاءها على ما هي عليه لكي تُصَوِّرَ حياة صاحبها تصويراً تاماً ، وهذه إحدى غير التاريخ ، وكما روي عن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان : كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مخافة أن أقع فيه .

ولكن صدور كثير من القراء لا تَسْبِغُ لقراءة ما يخالفُ معتقداتهم ، ومشائنا — رحمهم الله — كانوا يحذروننا عن قراءة كتب أهل الضلال ، ويحاولون — ما استطاعوا — حجبها — وكان ذلك سهلاً قبل انتشار وسائل النشر ، وتوسعها من مطابع وآلات تصوير وتسجيل ، بحيث في استطاع أيُّ قارئ كان أن يطلع على أيِّ كتاب في أية بقعة من بقاع الأرض بأقلِّ جهدٍ ، وفي أقصرِّ وقتٍ .

وإذنْ فَإِنَّ الطريقة المثلى نحو هذه الكتب التي تحوي من الآراء ما يخالف معتقداتنا الصحيحة هي إيضاح ما يُبْطِلُ تلك الآراء بالحجج والأدلة المعقولة .

وهذه هي طريقة السلف الصالح فهم يُوردون كلام مخالفيهم كاملاً ثم يبينون أوجهَ فساده ، بطريقة مُفَصَّلة .

أما مُحَاوَلَةُ إخفائها بعدم نشرها فهي لا تعدو طريقة النعامة التي تخفي عينيها بين رجلَيْها حين تبصر الصيَّاد ، وتظن أنْ عدم رؤيتها إياه يكفي في اتقاء شرِّه .

ويؤسفني حقاً أنه ليس من المستطاع الآن — إذا أردنا الاستفادة مما وصل إلينا من تراث العصور المظلمة في تاريخنا — إلا بعدم نشر ما لا تسع لقبوله طائفة من القراء . وهذا ما دفعني مُضْطَرّاً لِحَدَفِ طائفة من أقوال صاحب الرحلات ، وأكثرها لا صلة له

ایک انشیکر لاگو کر فائیت لکھو

اسد حسین بن جمیع امر بر غنائم و زینت

الخواید السیف فی الزمان

المحدث والرویح
ما عتق بحکم
قطب عالم

فرز پادشاه
سید محمد
دامت

سید کریم و صاحب دکان چاندنی سید کریم و صاحب دکان چاندنی

عبدالله و العبد و الزمان
سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

سید کریم و صاحب دکان چاندنی

بالتأحية التي دفعت إلى نشر تلك الرحلات ، بل تتصل بأشعار وجُمِلَ طَغَتْ عاطفة المؤلف في التعبير حتى تجاوز الحدَّ ، إمَّا في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام في بعض الأشعار ، وإمَّا في الاسترسال عند ذكر زيارة مسجده الكريم بكلمات خارجة عما روي عن السلف الصالح فيما يتعلق بالزيارة . وقد أشرت إلى ما حَذَفْتُ .

وأما ما عدا ذلك فما أوردته هو نصُّ ما كتبه المؤلف في مسودته التي يظهر أن كثيراً مما كتب فيها لم يُعد فيه النظر ، ف وقعت فيه هفوات يسيرة .

وهناك كلمات لم تتضح في النسخة المصورة ، فوضعت الكلمة المقاربة لها وبعدها علامة استفهام (؟) .

كما وضعت العناوين بين مربعين [إشارة إلى أن ما بينها ليس في الأصل .

والخطوطه تقع في دفتر مستطيل نحو ذراع طولاً في عرض يزيد على الشبر ، وكل ما فيه بخط القطبي — الخط الفارسي الجميل — وفي كثير من الصفحات بياض ، وفي هامش بعضها إضافات .

ويظهر أنه بقي في حوزة المؤلف حتى توفي ، ولعل مما يدل على ذلك إنني لم أرَ لرحلة القطبي إلى البلاد الرومية (التركية) ذكراً في كتب من جاء بعده من الرحالين ، كالخيارى والناقليسي والسيد كبريت ، مع أن هذا الأخير قال عن القطبي : (وله تذكرة جامعة) — «رحلة الشتاء والصيف» ص ٥١٢ — الطبعة الثانية — والتذكرة هي مما يحويه ذلك الدفتر ، ومنه كتاب «الفوائد السنية» في الرحلة المدنية والرؤمية .

وتناقلته الأيدي — كما يظهر مما هو مكتوب في طرته حتى استقر في إحدى مكتبات (اصطنبول) ولعلها (المكتبة السلطانية) .

ويظهر أن المؤلف لم يخرج من المسودة ، وأن ذلك الدفتر آل إلى (حسين القطبي) إذ في طرته : (يا رب ... اختم بالصالحات عمل الفقير حسين القطبي) وفيها : (تشرف بملكه العبد الفقير محمد الحفاجي ، من تركه ولد الشيخ حسين أفندي ، عني عنه في سنة ١٠٠٣) .

[الرحلة الأولى] :

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً

ابتدأ السفر المبارك إلى المدينة الشريفة ليلة الاثنين بعد العشا تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وتسع مئة .

وأصبنا في وادي مرّ ، وأقنا به يوم الاثنين وليلة الثلاثاء .

وسبب الإقامة تأخّر بعض القافلة إلى الغد .

ووقع لنا في طريق الوادي أن الجمالين لما ناموا في الطريق جاء بعض السراق إلى جمل الزاملة وشقّ الخيش وأخذ بعض الدقيق والرزّ وأفادوه الطعام ، ونحو ذلك ، من بعض الجزئيات ، وهذا علامة القبول إنشاء الله تعالى .

وكان الرحيل المبارك أول وقت الظهر يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر ، وكانت القافلة المباركة نحو ستين جملاً ، وكان الجمال من زيد المستراد ، فتبع الحرامية ، وقصّ أثرهم ، ووقع عليهم ، واستردّ جميع ما أخذوه من الخوايج ، وجاء بها بعد أن وقع بينه وبينهم مقارعة بالسيوف وجرح واحد من الحرامية ، وكانوا من زبيد وكفى الله تعالى شرهم .

المرحلة الثانية : طرف البرقا :

وصلنا إليها مع صلاة المغرب ، وكان السوق حثيثا ، وأقنا بها إلى أن تعشينا ، ورحلنا قبيل ثلث الليل .

المرحلة الثالثة عُسقان :

وصلنا إليها صباحاً ، وأدركنا صلاة الفجر بها .

وسرق في ما قبيل هذه المرحلة بطّة ^(٦) سمّن لبعض الأعجم ، من أهل القافلة ، وأقنا في عُسقان إلى الظهر .

ووجدنا به البطيخ والغنم واللبن والخربز ، ورحلنا بعد صلاة الظهر .

المرحلة الرابعة أبو مراغ :

وصلنا إليه ما بين العصر والمغرب ، وكانت مرحلة قرية هَيْتَة ، وبتنا بها إلى نصف الليل ورحلنا .

المرحلة الخامسة خليص :

وصلنا إليه صُبْحاً ، وصلينا به الصبح ، ووجدنا به العَيْنَ جاريةً على وجه الأرض ، والبركة فيها قليل ماء ، ووجدنا به الغنم واللبن وطيور القطا .
وذهبت في قبيل هذه المرحلة بطة سمن لبعض أصحابنا .

وجاء زَيْدُ ذوي رومي^(٩) وأخذوا من القافلة بعض الجبا^(٧) وهو على كل جمل مَحْزوم ليس بزاد ، يسمى بينهم عَضْم أربعة محلقة ، ومنهم من أخذ ثلاثة محلقة^(٨) ونصف على كل جمل عَضْم ، وليس على الشقاذف ولا على الزوامل المالكة شيء .
وهذا الجبل يختص بذوي رومي ، وبلادهم من خَليص إلى رايغ ، ومشايخهم الآن داهس بن شهاون بن مالك بن رومي ومزبن بن مزهر بن مقرب بن رومي .

ولهم صَرٌّ محمول مع أمير الحاج سبع مئة أشرفي كل عام .
وذكروا أنهم كان لهم جَبَا على الشقاذف في هذا المكان ، وأن السيد الشريف نصره الله تعالى اشتراه منهم بأربع مئة دينار ، يعطيها لهم كل سنة ، في مقابل تركهم الجبا من الشقاذف .

ورحلنا من خَليص ظهر يوم الخميس ، ووصلنا إلى العَقبة قبيل العصر ، وهي عقبة ذات رمل كثير ناعم ، يغوص فيه رجلُ الجمل ، وأخذنا عن يميننا ، وذكر بعضُ الجمالين أنه يعرف عن جانب الشمال طريقاً سهلاً غطاه الرمل الآن .

ويعلو هذه العقبة وأسفلها آثارُ بناءٍ رضم حجارة ، يظهر أنه كان عن اليمين جدار مستطيل ، وعن الشمال جدارٌ مثله ، وكان الطريق بينهما ، وأن الرمل غلبَ على الطريق بحيث أخفاه .

ورأيتُ به حجراً مكتوباً بالكوفي صورته بعد البسملة : (أمر أمير المؤمنين بعمارة هذا الطريق) وانطلمست الكتابه فيما بعد ذلك .

ومشينا إلى المغرب وحملنا من خُلِص من الماء ما يَكُنِي أربعة مراحل ، وحصل .

المرحلة السادسة : خَلَقَ :

بفتح الحاء المعجمة واللام آخرها قاف — وصلنا إليها وأنحنا وتعشينا ورحلنا بعد العشاء بنحو خمسة عشر ساعة الليلة ، ومررنا على يميننا ونحو سائرون إلى المدينة على موضع يقال لع العشاء به حفائر ماء .

المرحلة السابعة في خَبَتِ كَلِيَّة :

ويسمى الموضع الذي نزلنا به (أبو جَعِيدَة) وصلنا إليه صُبحاً ، وصلينا الفجر في الطريق دون المنزل ، ولما كادت الشمس أن تُشْرِقَ أَنْحَنَّا ، وحصل لنا به بعضُ رشاشٍ قليل من المطر ، وأقنا به إلى الغدا .

وهذا اليوم يوم الجمعة ثالث عشر الشهر ، وصلينا الظهر ورحلنا .

المرحلة الثامنة موضع يقال له الغايضة :

وصلنا إليها بعد العصر قبل المغرب ، وأقنا بها إلى نصف الليل .

ورحلنا ومررنا في طريقنا على موضع يقال له الشطيرة ، ثم على موضع يقال له أم العظام لكثرة ما بها من عظام جبال الحاج ، وهي وَهْدَةٌ كبيرة يجتمع فيها ماء المطر ، ويقيم نحو شهر غالباً ، في أيام الأمطار والريبع ويردها عربانُ هذه الناحية . وسرقت بهذه الرحلة بَطَّةً لبعض أهل القافلة .

المرحلة التاسعة رابع :

وهو كيان^(١) رمل يقرب البحر المالح ، به حفائر ماء إلى العذوبة أقرب ، يوجد به السمك الطريُّ واللبن والغنم وعلف الجبال .

وأهل هذا المكان طائفتان من موالي ذوي رومي ، طائفة يقال لهم (ذوي روايا) ، وشيخهم الآن جابر بن زايد ، ولهم جبا القافلة ، يأخذون على كل حمل عَصْمٌ مُحَلَّقَيْنِ كبار ، وطائفة أخرى يقال لهم (ذوي جماع) وشيخهم الآن بلول ، وله ولد يقال له مطرف ، وهم سرقة هذا الوادي ، وحدُّهم إلى موضع يقال له ودان ، وليس لهذه الطائفة الثانية شيء من الجبا ، ولا جبا إلا على العَصْمِ .

وصلنا إلى هذه المرحلة عند شروق الشمس يوم السبت رابع عشر الشهر وتَقَدَّينا بها ، وأقنا إلى بُعْدِ الظهر ، وحملنا ماء ثلاثة أيام ورحلنا .

المرحلة العاشرة موضع يقال له رحاب :

وصلنا إليه بُعْدَ المغرب ، وأنخنا ، وتعشنا ونمنا ، إلى أقل من نصف الليل ورحلنا .

وعَسَّ فيه الحرَّامَةُ على القافلة وسلَّم الله تعالى .

المرحلة الحادية عشر مستورة :

وهي نصف الطريق من مكة إلى المدينة في عرف الجالين ، لتقلب الأحوال ونحو ذلك وبها آبار فيها ماء مالح ، يشرب للضرورة ، وصلنا إليه شروق الشمس ، وأقنا إلى الظهر ، ورحلنا بُعْدَهُ .

وعن يمين هذا الطريق في محاذة مستورة بنحو مرحلة كبيرة موضع يقال له الخريبة ، بها آبار ومزارع ، وبها طائفة من العرب يقال لهم (ذوي محمد) و(ذوي عمرو) يجتمعون نحو ألف حربية .

المرحلة الثانية عشر : موضع يقال له الطيارة :

من الحبت الكبير الذي يقال له خَبْتِ البُرَّة (١١) .

وصلنا إليها مغرب ليلة الاثنين ، وأقنا بها إلى قبيل نصف الليل ، ورحلنا وعلى يميننا جبال صُبحر ، وهم طائفة عريان عصاة يقاربون ألف حربية وشيخهم يقال له القحم

الآن ، وهو شيخ بني علي منهم وأما شيخ بني أيوب منهم فشخص يقال له فطيس (٩) .

المرحلة الثالثة عشر موضع يقال له أَلْقِيَا :

بفتح الغين المعجمة ، وسكون آخر الحروف^(١٢) والقاف : — بِرِّيَّةٌ فَيَحَاءُ ، يُرى منها البحر المالح ، وصلنا إليها صباحا وصلينا الصبح بها يوم الإثنين ، وأقنا إلى الظهر ، ورحلنا بُعَيْدَ الظهر .

المرحلة الرابعة عشر موضع يقال له الجدر :

وصلنا إليه عند المغرب ليلة الثلاثاء ، وبتنا إلى نصف الليل ورحلنا .

المرحلة الخامسة عشر : بَدْر :

وصلنا إليه صُبْحاً ، وصلينا به صلاة الصبح ، وبه طائفة من زُبَيْدٍ ، يقال لهم الزداد ، له جَبَا القافلة ، يأخذون على كل شُقْدَفٍ خمسة مُحَلَّقَةٍ ، وعلى الجبال العُصْمُ ثلاثة مُحَلَّقَةٍ وعُمَاني ، وعلى الشَّرِيَّةِ ثلاثة مُحَلَّقَةٍ ، ولهم خارج عن هذا جميعه عُمَاني على المَحْطَةِ إلا أَنَّهُمْ يَكَادُونَ يَفْشُمُونَ ، ويأخذون أَكْثَرَ من هذا ، وليس لهم على الزمل شيء .

وأقنا بَدْرٍ ذلك اليوم جميعه ، وليلة الأربعاء ويوم الأربعاء إلى الظهر وصلينا الظهر ورحلنا .

المرحلة السادسة عشر الصَّفْرَا :

وهي نخيل كثيرة ، وبيوت في سفح جبال ، وعيون وإبار ، وصلنا إليها عند غروب الشمس ليلة الخميس ، وبتنا إلى الصبح ، ثم أقنا إلى الظهر ورحلنا .

وفي هذا الموضع طائفة من الأشراف الزيدية يأخذون الجَبَا على القوافل ، وبحرسون القافلة ، ولهم على كل شُقْدَفٍ ثلاثة مُحَلَّقَةٍ ، وعلى الشَّرِيَّةِ مُحَلَّقَتَيْنِ (٩) وشيخهم الآن يقال له السيد حسن بن هيازع .

المرحلة السابعة عشر الخَيْف :

وصلنا إليه قبل غروب الشمس .

والخيف عبارة عن نخيل كثيرة ، وعيون وآبار ، ومساكن وبيوت ، بتنا فيه إلى الصبح ليلة الجمعة ، وأقنا إلى الظهر ورحلنا .

وهذا الخيف يقال له خَيْفُ بَنِي عَمْرٍو ، وهم طائفة يقاربون ألف رجل ، يرمون بالسَّهام ، وأكثرُ مُتَسَبِّبون في البيع والشرا ، معروفون بالثروة بين عربان تلك البلاد ، وأخصامهم المراوحة ، وشيوخهم يقال له حسن بن ناجي ، وشيخ المراوحة زَبْن بن جبار .

المرحلة الثامنة عشر النَّازِيَّة :

وصلنا إليها المغرب ، ليلة السبت الحادية والعشرين من ربيع الآخر ، وتعيشنا ، وأقنا إلى بُعَيْد العشا ، ورحلنا ومن هذه يكون الخوف غالباً في الطريق إلى المدينة .

المرحلة التاسعة عشر الشَّعْب :

وصلنا إليه عند شروق الشمس ، وكانت رحلة كبيرة ، وبه ماء عذبٌ في شِعْبٍ بين جبلين ، على اليمن ، للذهاب إلى المدينة ، وهذه المواضع كلها من الرَّيْع الذي عند الخَيْف إلى الشَّرْقَةِ وقبور الشهداء دَرَك المِراوحة وهم نحو الفين وخمسمائة . ورحلنا بعد صلاة الظهر .

المرحلة العشرون الفَرِش :

وصلنا إليها قبل غروب الشمس ، بعد أن مررنا على قبور الشهداء ، وأقنا إلى صلاة العشا ثم ارتحلنا .

المرحلة الحادية والعشرون المَفْرَح :

وصلنا إليه صبح يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الآخر ، وهو جَبِيلٌ يرى منه

بعضُ خضرة نخيل المدينة على بعد ، وللجاليين عادة في هذا الموضع ، يأخذون البشارة مِنَّ تكون أول زيارته هذه الزيارة ، ويعطيهم كلُّ أحدٍ بحسب ما يسمح له .
ولم يكن معنا ماء فلم ننزل هنا ، واستمرينا إلى قريب الضُّحَى ، ونزلنا على آبار عليٍّ بقرب المدينة الشريفة ضحوة النهار ، وتَقَدَّينا ، ورحلنا .

[في المدينة المنورة] :

ووصلنا إلى المدينة الشريفة بين صلاة الظهر والعصر يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الآخر والحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

وأقيمت بالمدينة الشريفة وتزوجت بالحرّة فاطمة بنت مُلّا فَخْر الدين اللَّارِي الأنصاري ، وحملت ووضعت البنت العزيزة صالحة ، في الليلة الحادية عشر من ربيع الأول سنة ستين وتسع مئة .

ثم زوّجتها من الشاب الصالح إبراهيم بن القاضي أحمد المالكي المدني في مُسْتَهْلٍ محرم الحرام سنة ٩٧٤ وفق الله تعالى بينهما في خير وعافية .

ثم ولدت صالحة بنتاً صالحةً — إن شاء الله تعالى — سَمَّيْنَاهَا (١٣) وَلَقَّبْنَاهَا أم المهدي ، ومولدها سابع شهر رجب سنة خمس وتسعين وتسع مئة .

ثم ولدت بنتاً أخرى في يوم الأحد المبارك ثامن عشري شوال سنة ست وسبعين وتسع مئة ، سَمَّيْنَاهَا قَطْرَ النَّدى .

[منامات ، وروى] :

رَأَيْتُ قَبِيلَ الضُّحَى يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة سنة تسع وخمسين بالمدينة الشريفة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وقد غفوت كأنني بالمسجد الشريف النبوي وأنا قائم تجاه وجه النبي صلى الله عليه وسلم (... ..) فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد خرج من حجرته الشريفة ، فوقف أمامي عند الشباك الشريف ، وهو في صورة رجل إلى الطول أقرب ، أبيض اللون ، ذا لِحْيَةٍ وَخَطَها

البياض ، بعمامة بيضاء نحو سبعة أذرع ، وعذبة وكأنه أقرب إلى صورة المغاربة ، فتكلم صلى الله عليه وسلم وأنا أسمعه ، فاستيقظت ولم يحضرني شيء من كلامه صلى الله عليه وسلم فأولت ذلك باهتمامه بشأني ، وتوجه خاطره الشريف إليّ والتفاتة وحركته نحوي ، وسيكون لهذا تأثير عظيم تظهر آثاره إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم .

[.....] (١٤) وهذه بشرى عظيمة لي إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب .

ورأيت في واقعة وأنا بالمدينة الشريفة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بعد أن غفوت غفوة بعد صلاة الظهر ، يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين كآني بالحرم الشريف المكي ، وكان السعيد الشهيد السلطان (بهادر) سقى الله تربته ، يطوف بالبيت الشريف من خارج المطاف ، وخزائنه طائفة معه من خلفه ، كأمثال الرحي من الذهب المسبوك ، فقصدت الاجتماع به ، والتعرف إليه ، ثم قلت في نفسي : أما كمفأك معرفة الملوك والكبراء ، وما الذي ترجو منه فرجعت القهقري ، ثم تذكرت أن له حقوقاً عليّ وعلى والدي ، وأنه من الواجب عليّ إظهار المحبة والمودة له ، فقدمت إليه ، وسلمت عليه فردّ عليّ ثم التفت إليّ خزائنه الذين خلفه ، وأمرهم أن يدفعوا لي رُبْعَ خَزَائِنِهِ فضجروا منه ، وأظهروا له النصيح ، وقالوا : إن هذا مال كبير ، وهذا يقنعه ما دون ذلك ، فسبهم وحق عليهم وأمرهم بدفع ربع الخزانة إليّ ، فجأوني ليسلموا إليّ ما أمر به ، فلم أكرث بهم ولم أظهر لهم رغبة في ذلك ، واستيقظت في أثنائه والله الحمد والمثنة .

رأيت ليلة السبت تاسع رجب سنة تسع وخمسين (حسن الثالث) في المنام كفى الله شره ، وقد أغلظ عليّ وأغلظت عليه القول ، فسحبت عليه سيفاً وسحب عليّ سيفاً فصرت أضربه وأأخذ الضربة مني في سيفه ، إلى أن عددت عليه عشرين ضربة بالسيف ، وأنا أضربه وهو يأخذ في سيفه ، ورأيت في كل ضربة فلولاً في سيفه ظاهراً ولم يكن بسني شيء من الفلول والحمد لله تعالى ، وكأني أتعجب من جودة سني وفلول سيفه .

ورأيت ليلة الخميس لإحدى عشر ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وخمسين كآني

اجتمعْتُ بالسيد الشريف أبي نُعمي^(١٥) نصره الله تعالى ، وكأنه يباسطني ويذكر بعض الشدائد التي مرّت عليه فأنشدته هذا البيت :

فوض إلى الله الأمور مُسلماً فالعبد أحسنُ حالٍ التَّسليمُ

فاستعاده مني مرةً أخرى فأنشدته إياه ثانياً فأعطاني قرطاساً ودواةً وقلماً وقال : اكتب لي فكتبته له في القرطاس وناولته فقرأه ، وجاءه في أثناء ذلك بدويٌّ أهدى إليه شيئاً في ثوبه على مثال البيض ، إلا أنه لَينٌ ، لم يكنل انعقاده ، وهو ملءٌ ثوبه ، فناولني السيد الشريف واحداً منها فرأيتُه غير تام الاستدارة ، فيه تعفّصٌ ، فلما رأيته أنظر في التوائه وانعفاصه ناولني واحداً آخر تاماً الاستدارة وكأنني أقول له : هذا لا بدُّ وأن يكون مذكوراً في كتب الطب ، ولا بدُّ أن يشتمل على منافع ، فسأل السيد الشريف ذلك البدويّ كيف جمعه فقال : إن بعض الطيور يتناول بمقارّه ويمجّده إلى خلفه ، فتتلقفه منه قبل أن يصل إلى الأرض ، فنه ما لم تحسن تلقّيه فيتعفّص علينا ، ومنه ما تتناوله بمعرفة فيستمر على تدويره ، وكأنه قرب صلاة العصر فصليت خلف ظهر السيد الشريف صلاة العصر فلما رأيته أصلي قام إلى الصلاة وصلى وانتهى النام .

وما نظمته وأنشدته بين يدي الحضرة النبوية صلى الله عليه وسلم في هذه المجاورة الشريفة وكتبته ووضعته في (... ..) هذه الأبيات^(١٦) .

وصَل مولانا السيد الشريف (أبي نُعمي) وولده السيد أحمد ، وبقية أولاده حمى الله تعالى بهم البلاد ، وأمن بوجودهم كافة العباد ، إلى المدينة الشريفة لقصد الزيارة ، ودخل وقت المغرب ليلة الأحد سابع رمضان المبارك فحصل به غاية الأُنس للمسلمين ، واطمأنّت خواطرهم ، وزال الخوف من قلوبهم ، وتصدق نصرة الله تعالى على جيران النبي صلى الله عليه وسلم على المجاورين وغيرهم كلُّ أحدٍ بحسب مقامه ، ما يقارب فيما بلغني ألف ذهب ، وسمع بعض الخصومات ، وأزال بعض المظالم ، وفصل بعض القضايا وصلى العيد في المصلّى في أبهة وجمال ، مع سائر أولاده وحفدته .

وكان في صحبته في هذه الزيارة مولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا القاضي تاج الدين المالكي نفع الله المسلمين بوجوده وأسبغ عليهم ظلال

فضله وجودة ، وجاعة من أعيان الفقهاء وطلبة العلم منهم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر ، ومولانا قاضي المسلمين السيد حسين المالكي وغيرهما .

[العودة إلى مكة المكرمة] :

وبرز مولانا السيد الشريف من المدينة الشريفة قافلاً إلى مكة يوم الأربعاء ثاني شوال المبارك وصحبته قافلة كبيرة ، ورحلت معهم .

وبات ليلة الخميس في آبار علي ، ورحل منها بعد صلاة الصبح ، وهذه عدة المنازل التي رحلناها :—

المنزلة الأولى آبار علي وتقدم ذكرها .

المنزلة الثانية موضع يقال له سَمْحَان : بين جبلين وصلنا إليه قبيل الظهر وبعض شعبه ماء يوجد غالباً سياً عقيب الأمطار ، وأقنا بها إلى بين الصلاتين ورحلنا .

المنزلة الثالثة الفُرَيْش : وصلنا إليها بعد العشاء بلحظة كبيرة ليلة الجمعة ، وأقنا بها إلى أن بقي من الليل رבעه تقريباً ورحلنا .

المنزلة الرابعة الرُّوحَا : وصلنا إليها ضحى يوم الجمعة وبها بئر ماء عميق جداً ، أقنا بها إلى قبيل العصر ورحلنا .

المنزلة الخامسة النازية : وصلنا إليها بعد العشاء بلحظة ، وأقنا بها إلى أن بقي من الليل رבעه تقريباً ورحلنا .

المنزلة السادسة خيف بني عمرو : وصلنا إليها ضحى يوم السبت ، وأقنا بها إلى بين الظهر والعصر ورحلنا .

المنزلة السابعة وادي الصفرا : وصلنا إليها بعد العشاء بساعة ليلة الأحد ، وبتنا إلى الصباح وصلينا الظهر ورحلنا .

المنزلة الثامنة بئر : وصلنا إليها بعد العشاء ليلة الإثنين ، وأقنا ذلك اليوم ، وبتنا ليلة الثلاثاء ، ويوم الثلاثاء إلى الظهر ورحلنا .

المنزلة التاسعة شجرات الأمير من الحبث : وصلنا إليها عشا ليلة الأربعاء وأقنا قليلاً
ورحلنا .

المنزلة العاشرة حاجر البثنة : وصلنا إليها ضحى عالية يوم الأربعاء ورحلنا قبل صلاة
الظهر .

المنزلة الحادية عشر مستورة : وصلنا إليها عشا ليلة الخميس ، وأقنا إلى قبيل
الفجر ، ورحلنا .

المنزلة الثانية عشر رحاب : وصلنا إليها ضحى يوم الخميس ، وأقنا إلى الظهر ،
ورحلنا .

المنزلة الثالثة عشر رابع : وصلنا إليها عشاء وأقنا إلى الظهر يوم الجمعة حادي عشر
شوال .

وأحرمت من رابع بالعمرة متمتعاً وقلدت الإمام الشافعي رضي الله عنه في هذه
المسألة دفعا لكرهية الاعتار في أشهر الحج للمكي ، ورحلنا ظهراً .

المنزلة الرابعة عشر الجريئات : وصلنا إليها صلاة العشا ، ورحلنا بعد التعمي .

المنزلة الخامسة عشر طرف قديد : وصلنا إليها ضحى عالية ، وأقنا إلى الظهر ،
ورحلنا وقطعنا عقبة خليص عصرأ وأعان الله تعالى .

المنزلة السادسة عشر خليص : وصلنا إليها بين المغرب والعشاء ليلة الأحد ، وبتنا
وأصبحنا ، وصلينا الظهر ورحلنا .

المنزلة السابعة عشر أبو مراغ : وصلنا إليها عشاء ، وبتنا إلى أن بقي من الليل رُبُعهُ
ورحلنا .

المنزلة الثامنة عشر عسفان : ووصلنا إليها ضحى ، وأقنا إلى ما بين الظهر والعصر
ورحلنا .

المنزلة التاسعة عشر طرف البرقا : وصلنا إليها بعد العشا بساعة وأقنا قليلاً ورحلنا .

المنزلة العشرون من الظهران : وصلنا إليها عند طلوع الشمس يوم الثلاثاء خامس عشر شوال وأقمنا إلى بعد الظهر ورحلنا إلى مكة شرفها الله تعالى :

لنا عقولٌ لو تَجَمَّلْنَا بها لَكُنَّها تذهبُ بالباطلِ
ما أَشَبَّهَ العاقلُ مِنَّا بِمَنٍ يَجْهَلُ ، والجاهلُ بالعاقلِ
نَجْري على الدُّنيا وَنَحْصِلُها ولم نَنَلْ منها على طائِلِ
وكلنا نطليها عاجلاً والخير والراحة في الآجِلِ^(١٧)

[الرحلة الثانية] :

الحمد لله : وقَعَ التوجه إلى المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، في صحبة مولانا شيخ الإسلام علم العلماء الإسلام قاضي الفقهاء ببلد الله الحرام ، وإمام الموقف الشريف وكافل الأيتام ، مولانا أمير حسن أفندي بن السيد سنان خلد الله سعاده .

وكان ابتداء السفر من مكة صبح يوم الاربعاء ثاني عشري محرم سنة أربع وستين وتسع مئة ، وكان الوصول إلى وادي الجموم عند صلاة العصر ، وأقمنا به ليلة الخميس ويوم الخميس إلى الظهر وصلينا الظهر ورحلنا .

المنزلة الثانية الباردة : من حدود بشر وهي دون طرف البرقا الذي هو المنزل المعتاد ، وصلنا إليها عشاءً وبتنا إلى نحو مضي ثلثي الليل ورحلنا .

المنزلة الثالثة عسفان : وهو في حدود بشر .

وبعسفان بئرٌ حاليةٌ جداً ، يقال : ان النبي صلى الله عليه وسلم نَقَلَ فيها ، وذكر الحافظ مغلطي أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم بِعُفَّان ، وهو غريب جداً .

المنزلة الرابعة : أبو مراغ ، وصلنا إليه عند غروب الشمس ، وبتنا به إلى مُضِيِّ نصف الليل ، ورحلنا .

المنزلة الخامسة : خُلَيْص : وصلنا إليه صُبْحاً وأقمنا إلى الظهر ، ومررنا بعقبة السويق عصرًا ، وصلينا به صلاة العصر ، وهي عقبة رمل يغوص به رجل الجمل ،

وهو رملٌ ناعمٌ نَسَقَهُ الرِّيحُ وجمعه هنا ، فصار مثل الجبل الصغير ، وإنما سُمِّيَتْ عَقَبَةُ السَّوِيقِ لِأَنَّ أَمْرَاءَ الْحَاجِ فِيهَا مَضَى كَانُوا يَسْقُونَ فِيهِ السَّوِيقَ مَعَ السَّكْرِ لَجَمِيعِ أَهْلِ الرِّكْبِ .

الْمَنْزِلَةُ السَّادِسَةُ قُدَيْدٌ : وصلنا إليه مع المغرب ، وأقنا به إلى نصف الليل ، ورحلنا وصلينا الصبح في موضع يقال له دَوْرَانُ .

الْمَنْزِلَةُ السَّابِعَةُ الْخَيْالَةُ : وصلنا إليها ضحى ، وأقنا بها إلى الظهر ، ورحلنا وذهب في الطريق في موضع يقال له النبعة حوايج لشخص من رفقاتنا يقال له خليل جابوش ، وهي بقعة فيها ملبوس ، وصوادر (؟) ونحو ذلك ، وكتب إلى داهس شيخ ذوي رومي بما ذهب من الحوايج ، وأنها إذا لم تَأْتِ حصل عليه من السيد الشريف ما هو أهله .

الْمَنْزِلَةُ الثَّامِنَةُ الْغَايِلَةُ : وصلنا إليها قبل المغرب وبتنا إلى نصف الليل ورحلنا .

الْمَنْزِلَةُ التَّاسِعَةُ رَابِعٌ : وصلنا إليه صبح يوم الاثنين سابع عَشْرِي الشَّهْرِ ، وأقنا به إلى الظهر ، وصلينا ورحلنا .

الْمَنْزِلَةُ الْعَاشِرَةُ رَحَابٌ : وصلنا إليها المغرب ، وأقنا به إلى نصف الليل ، ورحلنا .

الْمَنْزِلَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرُ مُسْتَوْرَةٍ : وصلنا إليها عند شروق الشمس يوم الثلاثاء أقنا بها إلى قُبَيْلِ الظَّهْرِ ، وازددنا من الماء ، ورحلنا وماء آبار مستورة يقلب عليها الملوحة ، غير أنَّ بِقَرَبِ هَذِهِ الْآبَارِ آبَارُ أُخْرَى ، إِلَى جِهَةِ يَمِينِ الذَّاهِبِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، يُقَالُ لَهَا الْمُسْتَوْرَةُ الْعُلْيَا ، مَاوَهَا حَلَوٌ يَوْجَدُ بِهَا الْمَاءُ فِي أَيَّامِ الرِّبْعِ وَالْمَطَرِ ، بَعْدَهَا نَحْوُ مِيلٍ مِنَ الْمَحْطَةِ لَا غَيْرَ ، وَيُقَالُ لَهَا الْمُسْتَوْرَةُ — بِالتَّصْغِيرِ .

الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرُ الْبَنْتَةِ : نزلناها قبيل المغرب ، وأقنا بها إلى قرب مُضِيٍّ ثَلَاثِ اللَّيْلِ ، ورحلنا وصلينا الصبح في الطريق بموضع يقال له طرف الجنحا ، ويوجد بها غدير ماء أيام المطر ، يتفجع أهل القافلة به يسمى الْإِضَاءُ (؟) .

الْمَنْزِلَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرُ الْبَرْيَمَةِ الْبَيْضَاءِ : وصلناها يوم الأربعاء تاسع عَشْرِي حَرَمِ الْحَرَامِ ، وَفِي مَحَازِنِهَا إِلَى جَانِبِ يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى مَقْدَارِ فَرَسَيْنِ تَقْرِيباً مَوْضِعٌ يُقَالُ

له الخشوش ، فيه آبار إزِيد ، مَطْوِيَّةٌ أَقْنَا بها إلى قُبَيْل الظهر ورحلنا .

المتزلة الرابعة عشر بدر : وصلنا بعيد صلاة العِشَاء ، وبثنا وأقْنَا يوم الخميس ، وبه كُتِبَان عَالِيَان من رَمَلٍ ، يكاد في بعض الأيام (٩) منها صَوْتُ طَبَلٍ ، يقال : إِنَّهُ طَبْل نَصْرٍ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ، متواتر بينهم ، وقد سمعته كثير من مشايخنا ، وسمعتُهُ أَنَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَتِسْعَ مِئَةٍ ، وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ الْوَلَدَيْنِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي وَقْتِ الضُّحَى ، وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْكُتَيْبِ ، بَحِثٌ لَمْ يَتَّقْ عِنْدِي شَكٌّ ، وَلَا مِنْ حَضَرَ أَنَّهُ صَوْتُ طَبْلٍ يَسْمَعُ ، مُتَوَاتِرًا مُتَعَاقِبًا وَتَصَنَّتْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الزِّيَارَاتِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ إِلَى هَلُمِّ .

وفي بدر قبور الشهداء في ذيل جبل صغير هناك تزار ، وهناك مقبرة أهل بدر ، وبها مربع مبني بالحجر والنورة فيه قبر السيد الرُّدَيْنِيِّ مِنَ الْمَشَايخ وَبِحَبْنَةِ السَّيِّدِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، خَالِ الْمَرْحُومِ مَوْلَانَا الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ الْمَالِكِيِّ تَغْمِدُهَا اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ .

وبين النخيل مسجد يقال له الآن مسجد الغمام ، به منبر ، يُصَلَّى فِيهِ الْجُمُعَةُ يُقَالُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى إِضْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَلَمَهُ الْغَمَامُ فِيهِ ، وَهُوَ مَسْجِدُ الْعَرِيشِ الْمَذْكُورِ وَيَقْرَبُهُ مَسْجِدٌ آخَرُ ، يُقَالُ لَهُ مَسْجِدُ النَّصْرِ ، وَهُوَ مُتَهَدَّمُ الْيَوْمِ ، يُقَالُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ بِهِ عِنْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى كُفَّارِ بَدْرٍ .

وبالحظّة بِرُكَّةٍ عَظِيمَةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهَا بِالْدرج ، تَمَلُّ لِلْحِجَاجِ ، وَبِهَا قُبَّةٌ بِيضَاءُ .

وبالحظّة مسجد بناه مولانا السيد الشريف أَبُو نَعْمٍ بْنُ بَرَكَاتٍ نَصَرَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ فِيهِ إِمَامًا يُصَلِّي بِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَرَتَبَ لَهُ مِنْ مَالِهِ مَرْتَبًا لَهُ .

وفي ناحية النخيل بيوت لأهل بدر ، وَحِصَارٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ إِذَا دَهَمَهُمْ عَدُوٌّ وَيَتَحَصَّنُونَ فِيهِ .

وما نظمت في هذا المنزل :

أَصْبَحَ بَدْرٌ أَمْ وَجْهُكَ الْأَبْلَجُ السَّعْدُ ؟ إِلَيْكَ دَجَا أَمْ شَعْرُكَ الْفَاحِمُ الْجَعْدُ ؟
أَذَاكَ هِلَالُ الْعِيدِ أَمْ قَوْسُ حَاجِبٍ تُصِيبُ سُوَيْدَاءَ الْقُلُوبِ وَلَا تَعْدُو ؟

أَنْزَجِسَةُ هَانِكَ أَمْ سَفَتْ مُقَلَّةٍ
أَخْطُ عِدَارَ ذَاكَ أَمْ نَمَلُ عَارِضٍ
أَتَفَاحَةُ أَمْ وَجْنَةُ بِلِمَائِنَا
أَتَغْرُكَ أَمْ بَرْقُ يَلُوحُ سَنَاوُهُ
أُرَيْقُكَ أَمْ مَاءُ الْحَيَاةِ أَمْ الطَّلَا
أَمِعْطَقُكَ الْمَيَّاسُ فِي حُلُلِ الصَّبَا
أَهَذَا كَيْتِبُ الرَّمْلُ أَمْ كَفَلُ يَرَى
تَشَابَهَتْ الْآرَا فَلَمْ أَدْرِ مِنْ جَوَى
لِسَفْكَ دِمَاءِ الْعَاشِقِينَ لَهَا حَدٌّ؟
بَدَا لَعْيُونِ النَّاسِ أَوْ كَادَ أَنْ يَبْدُو؟
مُضْرَجَةُ أَمْ ذَا الشَّقِيقُ أَمْ الْوَرْدُ؟
أَمْ اللَّوْلُو الْمَنْظُومُ أَعْوَزَهُ الْعِمْدُ؟
أَمْ السَّلْسِيلُ الْعَذْبُ هَذَا أَمْ الشَّهْدُ؟
أَمْ الْأَسْلُ الْعَسَالُ يَهْتَزُّ أَمْ قَدْ؟
أَخْصَرُ بِهِ دَارَ الطَّقَا أَمْ الْبِنْدُ؟
أَهَذَا جَنُونٌ قَدْ عَرَانِي أَمْ وَجْدُ؟

وفي قبالة بدر عين ضعيفة يقال لها عين حُتَيْنٍ ، تجري في سفح جبل به مزارع ومسكن ، وبعض نخيل ، وبه طائفة من الأشراف يقال لهم الفضول ، ساكنون هناك ، وبها بيوت دائرة وماء حُتَيْنٍ أُحْلَى من ماء بَدْرِ .

وفي شِعْب حُتَيْنٍ مواضع يوجد بها ماء حُلُوٍّ من المطر ، يكاد بعض أهل القافلة يستقي منه ، وذلك الشعب يقال له شعب المنادي .

وأهل بَدْرِ أربع طوائف من الأشراف المحاسة ، والقوايد والشكرة ، والعَتَقُ فيهم أشراف وفيهم من يتنحى إليهم من العربان ، ويُدعى بهم .

ورأينا هلال صفر ليلة الجمعة يَبْدُرُ واقفا إلى منتصف الليل ورحلنا .

المتزلة الخامسة عشر الصَّفْرَا : وصلنا إليها عند شروق الشمس ، ونزلنا في حافة الجبل ، على جنب عين جارية ، يقال لذلك الموضع المعلق ، وماؤه أُحْلَى من ماء بَدْرِ ، وأُحْلَى من عين الخيف ، ومن الناس من يحمل ماء الشُّرْبِ منه إلى الخيف ، صلينا الظهر به ورحلنا .

المتزلة السادسة عشر الخيف : وهو وادٍ مستطيل ، بين جبلين ، فيه بيوت ومسكن وقرى متعددة ، وفيه طائفتان إحداهما (بني عَمْرُو) والثانية (بني سالم) والمحل الذي نزلنا فيه يقال له الحزامي ، وصلنا إليه عشاءً واقفا ، ورحلنا منه بعد الظهر يوم السبت ثاني صفر .

المنزلة السابعة عشر النازية : وصلناها عند المغرب ، بعد أن أصابنا المطر بطول الطريق .

ورأى بعضُ الجالين طائفةً من العرب قبيل غروب الشمس ، فظنهم قُطَاع الطريق فصاح واجتمع أهل القافلة ، وجمعوا جَمَالَهُمْ ، ونزلوا عنها ، وأحضروا القسي والبنادق والسيوف ، واستعدوا للمحاربة ، وسيبوا بعض البنادق ففسدت من المطر ، وحصل لأهل القافلة رهج وخوف ، إلى أن ظهر أنهم قافلة أخرى من المسييين ، فأنأخوا بالنازية وباتوا إلى الصبح ، ولم يتم أحد تلك الليلة ، ورحلنا بعد صلاة الصبح ، ومشينا طول النهار من النازية وكانت رحلة طويلة .

المنزلة الثامنة عشر الشعب : مررنا عليه ، ووصلنا قريب قبور الشهداء ، وأنأنا بعد صلاة العصر وصلينا العشاء ورحلنا إلى وقت الضحى .

المنزلة التاسعة عشر بير علي : وصلناه ضحى ومررنا بالمُفْرَح الكبير ، والمُفْرَح الصغير صباحاً ، وأنأنا القافلة بالأبيار وقت الضحى ، وهي منزلة بقرب المدينة ، فيها بئران كبيران ، يتزل إليهما بدرج ، فيها ماء حلو عذب جداً ، وبه مسجد مبني بالحصى والنورة ، يقال : إنه مسجد ذي الحليفة ، وبناحية منه مسجد آخر مهتدم مبني بالحجر الأسود ، كلاهما مسجد مأثور ينظر من علو هذا المكان ومن المُفْرَح الصغير أبنية المدينة الشريفة وروس المواذن .

ولجالين عادة في المُفْرَح يأخذونها من الركبة ، يسمونها البشارة .

أقنا بالبير قليلاً إلى أن تغدينا ورحلنا .

ودخلنا المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عند اذان الظهر ، وأدركنا صلاة الجماعة في المسجد الشريف .

ودخل باقي القافلة ما بين الظهر والعصر .

وأقنا بذلك المقام الشريف سبعة أيام كاملة .

ورحلنا في اليوم الثامن وكان البروز من المدينة الشريفة صبح يوم الاثنين حادي

عشر صفر الخير سنة أربع وستين وتسع مئة .

المنزلة الأولى أيار علي : أقننا بها إلى أن صلينا العشاء ، ورحلنا إلى الضحى وأصابنا المطر في الليل ثم الهواء الشديد البرد وتعدينا الفريش ونزلنا .

المنزلة الثانية ما بين الفريش وقبور الشهداء : وصلناها ضحى وأنخنا ، وصلينا الظهر أول وقته ، ورحلنا وبعد رحيلنا لاقينا القافلة التي [... ...]^(١٩) .

المنزلة الثالثة شعب علي : تعدينا عليه ، وأنخنا بعد صلاة العصر وبتنا إلى نصف الليل ورحلنا .

المنزلة الرابعة النازية : وصلناها ضحى ، وأنخنا وغدينا ورحلنا قبل صلاة الظهر .

المنزلة الخامسة الحيف : وصلناها بعد صلاة العصر ، وبتنا ، وأقننا إلى قبيل صلاة الظهر ورحلنا .

المنزلة السادسة الصفراء : وصلنا إليها مغرباً ، ونزلنا في موضع يقال له الخرما ، وبتنا وأصبحنا ورحلنا قبيل الظهر .

المنزلة السابعة بدر : وصلنا إليها مع المغرب وبتنا فيه وأصبحنا وغدينا ، ورحلنا .

ومما نظمت فيه معارضاً قول :

خُذُوا قَوْدِي مِنْ أَسِيرِ الْكَلَلِ فَوَا عَجِباً لِأَسِيرٍ قَتَلَ^(٢٠)

* * * * *

أَلَا حَلَّلَ اللَّهُ سَيْفَ الْمَقَلِ	فَكَمْ ذَا أَصَابَ وَكَمْ ذَا قَتَلَ
وَمَا مِنْ قَتِيلٍ بِهِ فِي الْهَوَى	سِوَى الْفَوِ رَاضٍ بِمَا قَدْ فَعَلَ
لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ جَيْشَ الْعِلا	حَ بِيَدْرِ لَنَا حُسْنُهُ قَدْ كَمَلَ
وَمَا بَطَلٌ فِي الْوَعَا فَارِسُ	إِذَا قَابِلَ الْغَيْدِ إِلَّا بَطَلٌ
إِذَا قَتَلْتَنِي عُيُونُ الظُّبَا	فِيَا فَرَجِي ، قَدْ بَلَغْتُ الْأَمَلَ
رَعَى اللَّهُ لَيْلَةَ زَارَ الْحَبِيبُ	وَغَابَ الرَّقِيبُ إِلَى حَيْثُ أَلْ

فَأَحْلَلْتُهُ فِي سَوَادِ الْعُيُونِ
وَأَلْصَقْتُ خَدِّي بِأَقْدَامِهِ
فَرَّقَ وَمَالَ بِإِعْطَافِهِ
فَعَانَقْتُهُ وَخَلَعْتُ الْعِذَازَ
وَمَا زِلْتُ أَشْغِلُهُ بِالْحَدِيثِ
إِلَى أَنْ غَفَا جَفْنُهُ نَاعِسًا
فَحَلَيْتُ عَنْ خَصْرِهِ بِنْدَهُ
وَبِتُّ أَشَاهِدُ صُنْعَ الْإِلَهِ
فَظُنُّ بِي الْخَيْرَ أَوْ لَا تَظُنْ
وَقَدْ غَسَلَ الدَّمَغَ ذَلِكَ الْمَحَلَّ
وَأَذْبَلْتُ أَخْمَصَهُ بِالْقُبْلِ
فَلَبَّيْتُ بِرُوحِي ذَلِكَ الْمَبِيلَ
وَمَزَّقْتُ ثَوْبَ الْحَيَا وَالْحَجَلِ
وَسَيَّرُ الظَّلَامَ عَلَيْنَا أَنْسَدَلُ
وَعَنِّي تَغَافَلُ أَوْ قَدْ غَفَلَ
وَأَنْصَبْتُ عَنْ مِغْطَفِيهِ الْحُلَّ
تَبَارَكَ رَبُّ الْبَرَايَا وَجَلَّ
فَمَا أَنْتَ تُسْأَلُ عَمَّا حَصَلَ

والمشهور المستفيض عند أهل بَدْرٍ أنهم يسمعون في كثير من الأوقات سماع صوت طبلٍ ، لامرية فيه ، وتقدم أني سمعته في زيارتي مع والدي سنة سبع وثلاثين وتسع مئة ، وهي أول زيارتي ، وأنا في سنِّ العشرين ، إذ ذلك ثم إني رأيت العلامة الشيخ حسين بن محمد بن حسن الديار بكري الحنفي من أجلاء شيوخنا رحمه الله تعالى ذكر في كتابه الذي سماه «الخميس في بيان سير النبي صلى الله عليه وسلم» وهو كتاب جليل في بابه ، جمعه من كتب شتى ، ذكر في قصة بدر ما صورته : في «المواهب اللدنية» قال ابن الأثيري : كانت الملائكة لا تعلم كيف يقتل الآدميون ، فعلمهم الله بقوله (فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان) قال عطية : كل مفصل . قال السهيلي : جاء في التفسير أنه ما وقعت ضربة يوم بدرٍ إلا في رأسٍ أو مفصلٍ ، وكانوا يعرفون قتل الملائكة من قتلاهم بآثارٍ سود في الأعناق والبنان .

وفي «خلاصة الوفا» قال المرجاني شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا بسيفه الذي يدعى الْقَضْبَ ، وضربت (طلبخانة) النصر بيدر فهي تُضْرَبُ إلى يوم القيمة قال القسطلاني : في «المواهب اللدنية» يقال إنها تسمع بيدر كهشة طبل ملوك الوقت ، ويرون أن ذلك لنصر أهل الإيمان ، وقال : أنا جرَّتها فسمعت صوت الطبل سماعاً مُحَقَّقًا لا شك أنه صوت طبل ثم نزلت بيدر فَظَلَلْتُ أسمع ذلك الصوت يومي أجمع ، المرَّة بعد المرَّة . قال : ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس . وقال

مؤلف الكتاب حسين بن محمد الدبار بكري عفا الله عنهم : وأنا جَرَّيْتُهَا فِي سِتَّةِ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ وَتِسْعَ مِائَةٍ وَقَدْ اجْتِازِي بَيْدَرٌ ، قَافِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ الْمَشْرِقَةِ إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ ، فَزَلْنَا بَدْرًا ، وَأَقْنَا فِيهِ يَوْمًا ، وَلَمَّا صَلَّيْنَا الْفَجْرَ يَوْمَ الْارْبَعَاءِ مِنْ أَوَّلِ شَعْبَانَ ابْتَكَرَتْ نَحْوُ ذَلِكَ الصَّوْتِ ، وَكَانَ يَجِيءُ مِنْ كُثَيْبٍ صَخْمٍ طَوِيلٍ ، مُرْتَفِعٍ كَالْجَبَلِ ، شِمَالِي بَدْرٍ ، فَصَعَدْتُ أَعْلَى الْكُثَيْبِ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ لِسَمَاعِ ذَلِكَ الصَّوْتِ وَكَانُوا زُهَاءَ مِائَةِ إِنْسَانٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الشَّقَادِفِ وَغَيْرِهَا ، وَمَا سَمِعْتُ شَيْئًا مِنْ أَعْلَى الْكُثَيْبِ ، فَتَزَلْتُ أَسْفَلَ ، فَسَمِعْتُ مِنْ سَفْحِ ذَلِكَ الْكُثَيْبِ صَوْتًا كَهَيْئَةِ الطَّبْلِ الْكَبِيرِ ، سَمَاعًا مُحَقَّقًا بِلَا شَكٍّ ، مُرَارًا مُتَعَدِّدًا ، وَكَذَلِكَ سَاطِرُ النَّاسِ ، كَانُوا يَسْمَعُونَهُ مِثْلًا سَمِعْتُ بِلَا شُبْهَةٍ ، وَمَكَّنْتُ فِيهِ زَمَانًا طَوِيلًا ، وَكَانَ الصَّوْتُ يَجِيءُ تَارَةً مِنْ تَحْتِنَا ثُمَّ يَنْقَطِعُ ، وَتَارَةً مِنْ خَلْفِنَا ثُمَّ يَنْقَطِعُ ، وَتَارَةً مِنْ قُدَامِنَا وَتَارَةً عَنْ يَمِينِنَا وَتَارَةً عَنْ شِمَالِنَا ، وَعَلَى كُلِّ الْهَيْئَاتِ كُنَّا نَسْمَعُ الصَّوْتَ قِيَامًا وَقُعُودًا ، سَمَاعًا مُحَقَّقًا بِلَا شُبْهَةٍ ، وَكَانَ الْوَقْتُ صَحْوًا رَاكِدًا لَا رِيحَ فِيهِ انْتَهَى .

قُلْتُ : وَقَدْ سَمِعْتُهُ أَنَا فِي تَوْجِئِي إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ فِي أَثْنَاءِ الْكُثَيْبِ ، وَأَنَا هَابِطٌ سَمَاعًا مُحَقَّقًا لَا مَرِيَةَ فِيهِ ، وَسَمِعُهُ مِنْ كَانَ مَعِيَ ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ نَحْوَ الْعِشْرِينَ ، وَقَدْ أَصْغَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي زِيَارَاتِي فَلَمْ أَسْمَعْ بَعْدَ ذَلِكَ .

الْمَنْزِلَةُ الثَّامِنَةُ الْبَرِّيْمَةُ السَّوْدَاءُ : وَهِيَ دُونَ الْبَرِّيْمَةِ الْبَيضَاءِ إِلَى نَاحِيَةِ بَدْرٍ ، وَصَلْنَا إِلَيْهَا قَبِيلَ الْمَغْرِبِ ، وَبَتْنَا إِلَى طُلُوعِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ سَابِعَ عَشَرَ ، وَرَحَلْنَا .

الْمَنْزِلَةُ التَّاسِعَةُ فِضَاءٌ يُقَالُ لَهُ (٥٠٠) : نَزَلْنَا فِيهِ بِمَوْضِعٍ مِنْهُ يُقَالُ لَهُ الظُّهْرَةُ بِفَتْحِ الظَّاءِ وَقَدْ الضَّحَى وَكَانَتْ رَحْلَةٌ كَبِيرَةً ، وَأَقْنَا قَلِيلًا وَرَحَلْنَا ، وَانْفَلَتْنَا لَنَا بَغْلَةٌ وَلَمْ نَحْصِلْهَا وَتَرَكْنَاهَا .

الْمَنْزِلَةُ الْعَاشِرَةُ الْمُسْتَوْرَةُ : وَصَلْنَا إِلَيْهَا بَعْدَ كُلِّ عِشَاءٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَيْضًا رَحْلَةً كَبِيرَةً ، نَعَبَ فِيهَا الْمَشَاةَ وَتَقَطَّعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَبَتْنَا عَلَى الْمَاءِ ، وَأَصْبَحْنَا وَغَدَيْنَا وَرَحَلْنَا ضَحَى عَالِيًا ، وَكُنْتُ نَظَّمْتُ قَصِيدَةً قَبْلَ هَذَا بِسَنَيْنِ ، مَطْلَعُهَا :

الدُّنْ لِي وَالْكَأْسُ وَالْقُرْفُفُ وَلِلْفَقِيهِ الْكُتُبُ وَالْمُصْحَفُ

وزهدت القصيدة مع مسوداتي ورسائلي وكسبي ، في الحريق الواقع سنة تسع وخمسين وتسع مئة ، ولم أذكر من آياتها غير المطلع ، فأكملت عليها هذه الأبيات :

لا تُنْكِرُوا حَالِي وَلَا حَالَهُ كُلُّ بَمَا يَنْفَعُهُ أَغْرَفُ
كَمْ يَزِدُّنِي الرَّاحَ وَشُرَابَهَا أَخْشَى عَلَى هَذَا الْفَتَى يُقْصَفُ
دَعْنِي وَحَالِي يَا فَقِيهَ الْوَرَى فَانْتَ عَنْ إِدْرَاكِهِ تَكْثِفُ
هِيَاتَ أَنْ يُدْرِكَ طَعْمَ الْهَوَى مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَوْقِهِ بَلُطْفُ
لِلْعُشْقِ سِرٌّ لَمْ يَزَلْ غَامِضاً لِغَيْرِ أَهْلِ الْحُبِّ لَا يُكْشَفُ
فَيَا نَدِيمَ أَشْرَبَ عَلَى رَغْمِهِ وَدَعُهُ فِي إِنْكَارِهِ يَرْسِفُ
وَيَبِي غَزَالٌ طَابَ مَرْعَاهُ فِي كِنَاسِ قَلْبِي وَهُوَ لَا يَأْلَفُ
بَدْرُ كَمَالٍ لَا يَرَى حُسْنَهُ نَقْصاً وَلَا مَحْقاً وَلَا يَكْلَفُ
فِي نَحْوِهِ أَنْبَتَ مَاءَ الْحَيَا وَرَدّاً بِغَيْرِ اللَّحْظِ لَا يُقْطَفُ
عَارِضُهُ (لَمْ) فِي صِدْغِهِ (وَإِ) وَلَكِنْ (أَه) لَوْ يَغْطِفُ
عَزِيزٌ مِصْرَ الْحُسْنِ لَوْ كَانَ فِي زَمَانِهِ هَامَ بِهِ يُوسَفُ

المتزلة الحادية عشر رحاب : وصلنا إليها قبيل المغرب ، وبتنا إلى مضي نصف الليل ، ورحلنا ووصلت إلينا في هذا المتزل البغلة الذي (٩) كانت انفلتت علينا .

المتزلة الثانية عشر رابع : وصلنا إليه قبيل الفجر ، وأقننا به إلى الظهر ، وأحرمتنا بالعمرة ، ورحلنا .

المتزلة الثالثة عشر الغايضة : وصلنا إليها مع المغرب ، وأقننا قليلاً ، وصلينا المشاء ورحلنا .

المتزلة الرابعة عشر ثباع : وصلنا إليها ضحى ، وكانت رحلة طويلة نزلنا بها وعَدْنَا ، وفي أصحابنا بالقافلة من يقوم بالليل ، ويُذكر وله صوت حسن ، فجعلت له هذه الأبيات يذكر بها وهي (٢٣) :

إِلَى مَتَى يَا عَيْنُ هَذَا الرِّقَادُ مَا آَنَّ أَنْ تَكْتَحِلِي بِالسَّهَادِ
تَنْبَهِي مِنْ رَقَدَةٍ وَانْظُرِي مَا فَاتَ مِنْ خَيْرٍ عَلَى ذِي الرِّقَادِ

يا أيها الغافل في نومه
مولاك يَدْعُوكَ إلى بابهِ
وَيَبْسُطُ الكَفَّيْنِ هلْ نَائِبٌ
وَأَنْتَ من جَنْبٍ إلى جانب
يَدْعُوكَ مولاك إلى قربه
كَمْ هكْذا التَّسْوِيفُ في غفلةٍ
لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصَّبَا مُسْرِعاً
أَفِقْ فَإِنَّ اللهَ سَبَّحَانَهُ

قُمْ لِيَتَرَى لُطْفَ الكَرِيمِ الجَّوَادِ
وَأَنْتَ في النُّومِ شَبِهُهُ الجَّمَادِ
من ذنبه ، هلْ مَنْ لَهُ مِنْ مراد ؟
تَدُورُ في الْفُرْشِ لِلْبَيْنِ اليَهَادِ
وَأَنْتَ تَخْتَارُ الجُفَا والبَعَادِ
لَيْسَ على العَمْرِ العَزِيزِ اعْتِمَادِ
وَشَقَّ صُبْحُ الشَّيْبِ قَوْدَ القَوَادِ
رَحْمَتُهُ عَمَتْ جَمِيعَ العِبَادِ

ونظمت قصيدة أخرى أيضاً في ذلك المعنى وهي :

يا راقِدَ اللَّيْلِ إلى كَمْ تَنَامُ
النَّجْمُ لَا يَنْفِضُ أَحَدَاقَهُ
وَأَنْتَ من دُونِ المَجَادَاتِ في
انْظُرِ الأبوابِ السَّمَا فَتُحَتَّ
وقَدْ تَجَلَّى الْحَقُّ سَبَّحَانَهُ
يَمُدُّ كَفَّيْنِهِ الْإِنْسَائِبُ
أَفِقْ مِنَ النُّومِ وَلَوْ سَاعَةً
إلى مَتَى تَرْتَعُ في غفلةٍ
شَقَّ صَبَاحُ الشَّيْبِ لَيْلَ الصَّبَا
فَأَرْجِعْ إلى الله على فُرْصَةٍ

قُمْ لَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ وَقْتُ الْمَتَامِ
وَقُتِّعَتْ أَغْيُنُ زَهْرِ الْكَامِ
نَوْمٌ ، إلا في عِدَادِ النَّبَامِ
وَالْفَيْضُ قَدْ عَمَّ جَمِيعَ الْأَنَامِ
على عِبَادِ سَهَرُوا في الظَّلَامِ
أَوْ سَائِلُ أُعْطِيهِ كُلُّ الْمَرَامِ ؟
وَنَاجِ مَوْلَاكَ الَّذِي لَا يَنَامُ
وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي مِنْكَ مِثْلَ الْقَامِ
وليس بعد الشَّيْبِ إلا الْحُمَامِ
عَسَاكَ أَنْ تَحْطَى بِحُسْنِ الْخِتَامِ

المتزلة الخامسة عشر عَقَبَةُ خُلَيْصِي : مررنا بها والشمس حَيَّةٌ ، وأكملنا قطعها بعد المغرب ، ونزلنا ساعة ورحلنا بعد صلاة العِشَاءِ .

المتزلة السادسة عشر خُلَيْصِي : وصلنا إليها وقد مضى ثلث الليل تقريباً ، وبتنا إلى الصبح وغَدَّيْنَا ورحلنا قبل الظهر بكثير .

المتزلة السابعة عشر عُشْفَان : وصلنا إليها عند صلاة العِشَاءِ ، وقد قطعنا عَقَبَةَ عُشْفَانِ

مع المغرب ، وتعشينا ورحلنا .

المتزلة الثامنة عشر الباردة : من بلاد بني جابر في محاذة الهدية ، وصلنا إليها ضحى ، وغدينا ورحلنا .

المتزلة التاسعة عشر الجموم : وصلنا إليها بعد الظهر . ومما نظمت وأنا مقبل على الجموم :

يَا صَاحَ نَشْرَ الْخُرَامِي فَاحَ مِنْ أَمَمِ	أَظُنُّ أَنَا قَرَبْنَا مِنْ حِمَى الْحَرَمِ
لِلْعَيْسِ عِنْدِي يَدٌ فَاضَتْ مَكَارِمُهَا	تَمَتَّتْ اللَّجْمُ مِنْهَا رُبَّةَ الْخُطَمِ
قَرَّبَنَ كُلَّ بَعِيدٍ مِنْ مَطَالِبِهِ	وَسِرْنَ حَتَّى وَصَلْنَا مَنَهْلَ الْكَرَمِ
فَدَخَلْ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَسِرْ	سَعْيًا عَلَى الرَّأْسِ ، لَا سَعْيًا عَلَى الْقَدَمِ
وَالْتَمِ بِفَيْكِ ثَرَى الْأَرْضِ الْحَرَامِ وَطِبْ	فِيَّاهُ طَابَ مَلْشُومًا بِكُلِّ فَمٍ
قَدْ زُرْتُ مِنْ مَكَّةَ (...) وَعَدْتُ فَمَا	سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمِ (٢٤)
فَقَرَّ عَيْنًا وَأُبَشِّرْ بِالْقَبُولِ وَجُدْ	بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِلْمَوْلَى عَلَى النِّعَمِ

(٢٥)

فانسنا فقراء ما بضاعتنا غير الذنوب مع الأقدار والندم
وصلينا العصر في الجموم وتقدمنا عن القافلة على البغلة والرواحل ، ودخلنا مكة في
أواخر الثلث الأول من الليل وكانت زيارة مباركة هنية ولله الحمد والمنة .
[الرحلة الثالثة] :

ثم توجهت للزيارة الشريفة مع الحاج الشامي في سنة خمس وستين وتسع مئة (٢٦) .

[الرحلة الرابعة] :

ثم توجهت إلى الزيارة في عام أحد وسبعين ، في شهر ربيع الأول ، مع افتخار
الأمراء العظام إبراهيم بك (دفتر دار) مصر سابقاً ، وناظر عيني عرفات .

وكان البروز من مكة المشرفة بعد صلاة المغرب ليلة الثلاثاء مستهل ربيع الأول

ووصلنا إلى وادي مَرَّ قبل الصبح وكان الرحيل من الوادي ضحوة عالية .

المتزل الثاني طرف البرقا : تَعَدَّيناه قليلاً ونزلنا مع غروب الشمس ، وصلينا المغرب والعشا ، ورحلنا .

المتزل الثالث عسفان : أدركنا فيه صلاة الصبح يوم الأربعاء ورحلنا مع عسفان ضحى .

المتزل الرابع خُلَيْص : وصلنا إليه والشمس (١٠٠٠) (٢٧) وبتنا به ليلة الخميس ، وأصبحنا وعلفوا الجبال ورحلوا ضحى .

المتزل الخامس نَبَاع : وصلنا إليه فيما بين العصر والمغرب ، وتعشنا ورحلنا بعيد العشا .

المتزل السادس موضع يقال له الْحَيَاتَيْن —: ثنية الخيالة ، بفتح الحاء المعجمة والمثناة آخر الحروف بعدها ألف ثم لام مفتوحة ثم تاء التانيث ، معناه محل مرتفع من الأرض ، وصلنا إليه قرب نصف الليل وَهَنَّا عن الطريق ، لأنَّ الأمطارَ عَفَّت آثار الحُطَى من الأرض ، فاقتضى الرأيُ النزول ، والمبيت إلى الصبح ، ليتبين الطريق فنزلنا إلى الصبح وصلينا الفجر ورحلنا صبح يوم الجمعة .

المتزل السابع رابغ : مشينا من أول النهار إلى آخره ، فوصلنا بين العصر والمغرب إلى رابغ ، ونزلنا وعندما استقر بنا النزول وصل المقر الكريم العالي — الأمير إبراهيم الدفردار (٢٨) بمصر سابقاً — في نحو عشر راحل من مكة ذكر أنه برز ليلة الخميس ، وأصبح في خُلَيْص ، ثم ركب من خُلَيْص ليلة الجمعة ووصل إلى هُنا وبتنا معه ورحلنا وقد بقي من الليل ربعة .

المتزل الثامن مستورة : وهو بئر حوله أشجار سلم ، على بعد منه ، ويليه بئر آخر ، أصغر منه ، وبه ماء مالح ، وصلنا إليه بين الظهر والعصر ، وهو نصف الطريق أقنا به وصلينا المغرب ورحلنا ، وفارقنا الأمير من مَسْتَوْرَة ، صلى العصر وركب وأصْبَحَ في بَدْرٍ .

المنزل التاسع طرف الْجَنَحَا : وكانت رحلة طويلة يجعلها الجبالون غالباً رحلتين ، وصلنا إليه عند شروق يوم الأحد ، سادس ربيع الأول ، ووجدنا به فَضِيَّةَ ماءٍ من المطر ، وأقمنا إلى أول وقت الظهر ، ورحلنا .

المنزل العاشر بَدْر : خَلَصْنَا مِنَ الْحَبْتِ الْمُسَمَّى حَبْتِ الْبَزْوَةِ ، ودخلنا بين جبال ، إلى أن دخلنا بدر ، بعد مُضَيِّ ثَلَاثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، وكانت رَحْلَةً شَطِيطَةً ، وبتنا به إلى الصبح ، ورحلنا قبيل الظهر .

المنزل الحادي عشر الصَّفْرَا : نزلنا به قبيل المغرب ، وأقمنا إلى أن تعشينا ورحلنا ليلاً .

المنزل الثاني عشر الخفيف : وصلنا إليه وقد بقي من الليل ثُلُثُهُ ، واصبحنا فيه يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول ، وغدينا ورحلنا قبيل الظهر .

المنزل الثالث عشر مسجد الغزاة : وهو آثار بناء في سَفْحِ جَبَلٍ ، قد هَدَمَ الْمَسْجِدَ كَثْرَةُ السُّيُولِ ، ولم يبق منه إِلَّا قَلِيلٌ آثَارٍ كَالْأَسَاسِ ، مَبْنِيٌّ بِالنُّورَةِ ، وصلناه قبيل المغرب وعشينا ورحلنا بعد صلاة العشاء .

المنزل الرابع عشر الْفُرَيْشِ : وهذه رحلة طويلة ، مررنا بِالنَّازِيَةِ وَالشَّعْبِ وَالشَّرْفَةِ ، وَقُبُورِ الشُّهَدَاءِ ، ونزلنا عند الشروق في الْفُرَيْشِ ، ورحلنا ظهراً .

المنزل الخامس عشر الأبيار : وصلنا إليه نصف الليل ، وقد مررنا بِالْمُقَرَّحِ عند المغرب ، وَجَدْنَا السِّرُّ لَقْلَةَ الْمَاءِ ، ونزلنا في الأبيار ، وعشينا وبتنا إلى قرب الصبح .

ورحلنا إلى المدينة الشريفة وأدركنا صلاة الصبح بالمسجد الشريف النبوي ، يوم الخميس ، وكنت نظمت هذه القصيدة النبوية في الطريق وأنشدتها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهي (٢٩) :

وكانت الإقامة بالمدينة الشريفة أربعة أيام ، وكان الأمير إبراهيم سبقنا بيومين ، وبرزت اثنائنا عصر يوم الأحد ، وتأخرت إلى قرب نصف الليل لحضور مَوْلِدِ كَانَ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وبعد تمام المولد (٣٠) دخل مولانا الأمير المشار إليه إلى الحجرة الشريفة ، وَبَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا الدَّخُولَ مَعَهُ ، وحصل لنا غاية (٥٠٠) لدى تلك الحضرة

الشريفة صلى الله عليه وسلم ، ووادعناه ، لا جعله الله تعالى آخر العهد منه صلى الله عليه وسلم .

وبرزنا من باب القلعة على دوابنا ، واستمرينا إلى أن أدركتنا القافلة ضحى ، وقد حطت بموضع يقال له السويقة ، وكانوا مروا بالقرنيس ونزلوا .

المنزل الأول السويقة : وصلت القافلة إليه بعد شروق الشمس ، ورحلنا مع أول الظهر .

المنزل الثاني : مرنا بالروحا ، عند المغرب ، واستمرينا إلى العشاء ، ونزلنا إلى نصف الليل ورحلنا .

المنزل الثالث الخيف : وصلنا إليه قبل الفجر ورحلنا ضحى .

المنزل الرابع بئر : وصلنا إليه في الثلث الأول من الليل ، يوم الأربعاء ، ولم نزل في الصفراء ، وبتنا به إلى الصبح ، وواجه السيد علي بن دراج الأمير إبراهيم ، وقدم له عشرة رؤس غنم وقدين عسل ، وطرخين تمر ومرطباتين تمر ، مرقدي ملوز ، وأخلع عليه الأمير إبراهيم ورحلنا ضحى .

المنزل الخامس طرف الجنة : وصلنا إليه عند صلاة العشاء ، وتعشنا ورحلنا .

المنزل السادس مسعرة : وصلناها ضحى يوم الخميس ، وأقنا قليلاً إلى أن تغدنا ، ورحلنا قبل الظهر .

المنزل السابع رابع : وصلنا إليه بعد العشاء ، وقد تقطعت الجمال وبتنا وفارقنا الأمير إبراهيم من نصف الليل على الرواحل ، ووصلنا ظهراً ، ورحل منه إلى مكة ودخلها صباحاً على الرواحل ، وأما القافلة فأصبحت في رابع ورحلت قبيل الظهر واستمرت إلى أن عشت الجريئات .

المنزل الثامن الجريئات : وصلناها قبيل المغرب ، وعشنا ورحلنا .

المنزل التاسع المعشوشوش : وصلناه صباحاً ، وأقنا إلى الضحى ، ورحلنا ومررنا بالعقبة .

المنزل العاشر الخَلِيس : (٣٠) وصلناه عَصْرًا ، وبتنا إلى الصبح ، وعلفوا الجبال ورحلنا ضحى .

المنزل الحادي عشر عُسْفَان : وصلنا إليه عند مغيب الشمس وعشياً ورحلنا .

المنزل الثاني عشر الوادي : وصلنا إليه ضحى عالياً ، يوم الاثنين حادي عشري ربيع الأول ، وأقنا إلى العصر ورحلنا إلى مكة شرفها الله تعالى ودخلناها ليلة الثلاثاء ثاني عَشْرِي ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وتسع مئة ، وكانت زيارة هنيئة تقبلها الله تعالى .

[الرحلة الخامسة] :

زيارة سنة ست وسبعين وتسع مئة تقبلها الله تعالى .

تَوَجَّهْنَا في منتصف رجب من السنة المذكورة ، يوم الاثنين المبارك ، مع سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ، ملك العلماء الأعلام ، قاضي القضاء (٣٢) وناظر المسجد الحرام صفوة الصفوة من آل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، بدر الدنيا والدين ، مولانا السيد حسين المالكي ، أدام الله سعادته ، ومعني حسين ومحمد وعبد الكريم وجمال الدين وعُمَيْدُ الْفَرَّاش ، ووصلنا إلى الوادي نصف الليل ، ورحلنا قبيل (٠٠٠) وكان مع مولانا شيخ الإسلام عياله ، وجماعة كثيرون من أصحابه وخدامه ، نحو ثمانين رجلاً ، قام بكلفة الجميع كَرَاءً وإِنْفَاقاً وإطعاماً ، في غاية الجمالة والكثرة والسعة ، وسَّعَ اللهُ تعالى عليه .

المنزل الثاني طرف البرقاء : وصلنا إليه مغرباً ، وبتنا إلى ثلث الليل ، ورحلنا .

المنزل الثالث بئر عسفان : وصلنا إليه صباحاً وأقنا إلى الظهر ورحلنا .

المنزل الرابع أبو مَواخ : وصلنا إليه قبيل المغرب وأطلقوا الجبال ، ورددوا إلى نصف الليل ، ورحلوا .

المنزل الخامس خَلِيس : وَصَلْنَاهُ صُبْحاً ، وأدركنا به قافلة الرَّجِيَّة ، وكانت رحلت قبلنا بيوم من مكة ، وهي قافلة كبيرة نحو خمس مئة جمل ، وكان العلف من خَلِيس

قليلاً ، والربع التوي يساوي عشرة أنصاف وما ... والسمن بأربعة محلفة الرطل ،
واللحم بنصفين الرطل ، وكان عرب زبيد يأخذون سبعة أنصاف على الجمل العُصم
وحَدُّهُمْ إلى رايغ ، فنعهم السيد قريباً من ذلك ، فلم يمتنعوا فأمر بإجلاتهم عن
وطنهم ، وأسكنهم اليمن ، وأبقى في خُلَيْص مزينا (٣٣) فقط مع جماعة يسيرة ، وهم
الآن لا يأخذون من أحد شيئاً .

ورحلنا بعد الظهر وكان يوم الخميس ، وجلس مولانا شيخ الإسلام على رأس عَقَبَةِ
السُّوق ، وَفَرَّقَ سُكْرًا بكثرة على الناس ، وَمَرَّتِ القافلة ، ووقع في الجباله مُضاربةٌ
ومناقشة ، فأَنصَفَ من بعضهم ، وأصلح بين بعضهم ، ولولا جلوسه هنا في هذا اليوم
لوقع الضرب والمقاتلة بين الجمالين ، فجزاه الله خيراً .

المتزل السادس موضع يقال له طرف قُدَيْد : وصلنا إليه المغرب ليلة الجمعة وأقنا إلى
ثلث الليل ، ورحلنا .

ووصل في هذا المحل بعد نزولنا في العقبة قاصداً من مصر اسمه (١٠٠٠) (٣٤) خرج من
مصر في ثاني عَشْرِيَّ جَمَادَى الأخرى ، أرسله سنان باشا الوزير ، المتوجه إلى اليمن ،
لقتال مُطَهَّر بن شرف الدين ، أخبر أنه في أربعة آلاف فَرَس ونحو العشرين ألفاً من
العسكر ، وأنه يبرز في خامس رجب من مصر ، وأنَّ اسكندر باشا صاحب بغداد وصل
إلى مصر حاكمها ، وهو رجل مشكور السيرة ، من أهل الفضل ، مائلٌ إلى العدل ،
وقفه الله تعالى .

المتزل السابع الْخَيْالَةُ : وصلناه صبح يوم الجمعة ، وأنحنا إلى قُبَيْلِ الظهر ، وأصابنا
مطرٌ خفيف ، ورحلنا .

المتزل الثامن الغايضة : وصلناها بعيد العصر ، وأنحنا إِرَاحَةً للجبال ، ورحلنا بعد
مُضِيٍّ ثُلُثِ الليل ليلة السبت ، ووصلنا إلى رايغ صبح يوم السبت .

المتزل التاسع رايغ : أقنا فيه إلى بُعَيْدِ الظهر .

وكان علف الجبال قليلاً به ، وقسم فيه مولانا شيخ الإسلام بعض غنم وغيره ، على
أهل قافلته ، وعمل فيه سباطه المعتاد ، ووصل في هذا المتزل من المدينة مولانا السيد طه

حسن بن عبد الرحيم السهمودي^{٣٥} خادم قبة سيدنا الحسن والعباس رضي الله عنهما ، في حادثة وقعت في ليلة ثالث رجب ، وهو أنه يُبَيِّضُ محراب القبة وبقي فيها بقية ، وعدّه الثبأ أنه يكمله له في الليل ، فبات معه هو وعمّالُه خارج المدينة ، وشرعوا في عملهم ، فلما كان وقت العشاء رأى يازجي^{٣٦} الحرم وهو حسن حلبي ، من فوق السور ، القبة مفتوحة ، وفيها السراج والعمال ، فذهب إلى نائب القلعة ، وأخذ منه ثلاثين (ينكشارياً)^{٣٦} وفتح القلعة ووصل إلى القبة ، فوجد فيها السيد حسن المذكور والعمال ، والفعلة ، فتوسّموا أنهم أرادوا دَفَنَ أَحَدٍ في القبة ، من الأرفاض ، وأصبحت رَجَّةٌ عظيمة في البلد . وركب السيد حسن السهمودي يشكو حسن حلبي البازج المذكور ، وكتب حسن حلبي يشكو هذا الأمر الذي وقع ، والله تعالى يصلح الأمور ، ويظفي نيران الفتن والشرور .

ونظمت في هذا المنزل أبياتاً بالفارسية لطيفة في القهوة وهي (٣٧) :

المنزل العاشر وسط خَبْتِ كَلْبَةٍ : موضع يقال له طرف الحاجر ، وصلنا إليه بعد طلوع الشمس ، بالسوق العتيق يوم الأحد حادي عشرين ، وكنا رحلنا من رابغ بعيد العصر ، وأقنا هنا إلى أن غَدَبْنَا ورحلنا .

المنزل الحادي عشر موضع من الخَبْتِ : يقال له شجرات الأمير ، وصلنا إليه قبيل المغرب ، وعَشَيْنَا ورحلنا طول الليل إلى ضحى النهار ونزلنا في بَدْرٍ .

المنزل الثاني عشر بَلَر : كان وصولنا إليه ضحى يوم الإثنين ثاني وعشري رجب .

وفيه وصلت إلى مولانا شيخ الإسلام أوراق من أهل المدينة ، عَيَّنوا له فيها بيوت السَّاهِدَةِ على باب الرحمة يتزل فيها ، وأجابهم إلى ذلك وأقام إلى نصف الليل ورحل .

المنزل الثالث عشر الصَّفَا : صلينا فيه الصبح يوم الثلاثاء وغَدَبْنَا ورحلنا .

المنزل الرابع عشر الخَيْف : وصلناه بعيد المغرب ، وبتنا إلى الصبح ، وصلينا الظهر يوم الأربعاء ورحلنا .

المنزل الخامس عشر النَّازِيَةِ : عشنا فيه ورحلنا .

المنزل السادس عشر موضع بين قبور الشهداء والفريش : يقال له الآبار ، ويقال له فرش سُوَيْفَة أيضاً وصلنا إليه صبح يوم الخميس ، وأقنا وأصابنا مطر شديد ، سالت منه السيول ، وكنا على طريق السيل ، فارتفعنا إلى الجبال ، وابتلت الخيم والأسباب ، فلما خفَّ المطر قليلاً قُبِلَ الظهر رحلنا ، فأصابنا المطرُ في المغرب ، وقطعنا عِدَّةَ سيول ، منها ما خاضه الجمل إلى نصف ساقه ، ومنها ما هو فوق ذلك ، وأنخنا في المغرب .

المنزل السابع عشر : أقنا بها إلى أن تعشنا ورحلنا (٢٨) .

المنزل الثامن عشر أبيار علي رضي الله عنه : أصبحنا فيه ، ولآتي مولانا شيخ الإسلام أمير المدينة السيد منصور بن ضيغم الحسيني ، وجميع أعيان المدينة الشريفة ، من الفقهاء والعسكر وغيرهم ، ولم يتخلف عنه أحدٌ . ودخل المدينة الشريفة ضحى ، وترجّل عند دخول المدينة الشريفة بسكينة ووقار ، ودخل المسجد الشريف ، وتشرف بزيارة جدّه صلى الله عليه وسلم ، وحاز ثواب الزائرين معه ونزل في بيوت الساهرة ، بباب الرحمة .

ومدّ له مولانا السيد حسين بن عبد الرحيم السهمودي سماًطاً عظيماً ، ثم تتابعت الأسطة له من أعيان المدينة ، وتصدق عليهم بصدقة عامة وصدقة خاصة ، وفرح بقدمه أهل المدينة الشريفة ، وأزال بها عدة ظلامات ، وشكره الغني والفقير ، والقوي والضعيف ، تقبل الله تعالى ذلك منه ، وجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأخلف عليه بخير .

وكان نزولي في خزانة كتب الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى بمفردي ، ونزل الأولاد والخدم عند الصهر العزيز البرهاني إبراهيم بن أحمد المالكي ، وعرض عليّ الولد النجيب ، الفالح اللبيب ، السيد سراج الدين عمر بن السيد حسين السهمودي « الأربعين النواوية » و« الخلاصة الألفية » وتصريف العزّي « فكبت له إجازة وأسمعته الحديث المسلسل بالأولية والله تعالى يُنشيه نُشْواً صالحاً ، ويُقرِّعين والده وأهله به ، ويجعله من العلماء العاملين إن شاء الله تعالى .

ومن توفي بالمدينة الشريفة من أعيانها ونحن بالمدينة ، الشيخ الفاضل المعمر الكامل

الزبي آدم بن زباله ، وكان صالحاً ، على قَدَمِ خَيْرٍ وطاعة ، وكان قبل قُضاة الأروام (٣٩) قاضياً باليَمِينِ (٤٠) ، مشكور السيرة ثم عُزِلَ ، وانقطع إلى الله تعالى ، ولعل مولده أول القرن رحمه الله تعالى ورحمنا إذا صِرْنَا مصيره .

وكتبت شرعت في قصيدة أمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأذكر فيها المنازل من مكة المشرفة إلى طيبة الطيبة فأتتمتها في هذه الحضرة الشريفة ، وأنا أرجو (٥٠٠٠٠) (٤١) قضاء الديون وخاتمة الخير في عافية بلا بلاء في الدنيا ، وإن يكفينا الله تعالى شر نوابئ الزمان ، والأعداء والحساد من الإنس والجان ، إن شاء الله تعالى وهي :

هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى غُصُونِ الْبَانِ سَحَرًا فَأَذْكَى لَأَعِجَ شَجَانِ
أَهْدَى لَنَا مِنْ طَيْبِ طَيِّبَةٍ نَفْحَةً طَابَتْ وَطَابَ بِهَا فُؤَادُ الْعَانِي
فَتَرَحَّلَ الْعِشَاقُ فِي أَمَلِي إِلَى نَحْوِ الْحَيْبِ سَعَا عَلَى الْأَجْفَانِ
مَرُّوا بِمَرٍّ ثُمَّ بِالْبَرْقِ دَجَى وَاسْتَقْبَلُوا صُبْحًا رُبَا عُسْفَانِ
وَطَوُّوا خُلَيْصًا ثُمَّ مِنْهُلٍ رَابِعٍ وَالْحَبِيتُ فِي نَصٍّ وَفِي ذَمْلَانِ
وَقَضَوْا بِبَدَرٍ مَارِبًا وَيَمُمُّوا إِلَ صَفْرَاءَ ، ثُمَّ الْخَيْفُ ذُو الْآفْئَانِ
وَتِيَمُّوا نَحْوَ الْفَرِيشِ وَأَذْجُوا بِمَقَائِرِ الشُّهَدَاءِ وَالْقِيَمَانِ
وَبَدَا لَهُمْ وَادِي الْعَقِيقِ مَبْشَرًا بِقَبُولِ زُورَتِهِمْ وَبِالرَّضْوَانِ
وَبِذِي الْحَلِيفَةِ طَابَ مَسَاعُهُمْ وَقَدْ هَمُّوا مِنَ الْأَشْوَاقِ بِالطَّيْرَانِ
وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ ضَحْوَةً قَرُّوا بِهَا عَيْنًا مَعَ الرُّكْبَانِ
رَبْعٌ تَقْصَمُنْ كُلَّ خَيْرٍ دَائِمٍ بِنَبِيِّنَا الْمُبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ الَّذِي لَمْ يَخْلَفْ فِي ذَلِكَ الشَّقْلَانِ
رَاقٍ إِلَى السَّعِ الطَّبَاقِ فَيَا لَهَا مِنْ رَفْعَةٍ بَلَغَتْ أَعَزَّ مَكَانِ
وَعَلَا الْبُرَاقِ وَكَانَ أَشْرَفَ مَرْكَبٍ كَالْبَرْقِ يَخْفِقُ آيَمًا خَفَقَانِ
فَاسْتَبَشَّرَ الْقَلْبُ الشَّرِيفُ بِمَا رَأَى مِنْ قُرْبِ مَنْزِلَةٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
مَا كَذَبَ الْقَلْبُ الْمَطْهُرُ مَا رَأَى وَأَجَازَ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ

هو أحمد ومحمد، والمصطفى
 خدمت له نارُ المَجُوسِ وَزُلْزَلَتْ
 رَمَتْ الشَّيَاطِينَ الرُّجُومُ لَبَّيْهِ
 وقد اضطفاه الله جَلَّ جلاله
 لا يَدْخُلُ التَّبْدِيلُ فِي آيَاتِهِ
 سألتُ قريشُ آيةَ فأراهم
 والجذع حَنٌّ إليه عند فراقه
 ثم الصلاة عليك ما هَبَّ الصبا
 ومُبَشِّرٌ هَادٍ إِلَى الْإِيمَانِ
 إيوانُ كسرى انو شروان^(٤٢)
 وتَنَكَّسَ الْأَصْنَامُ لِلْأَذْقَانِ
 وحباه منه بمُعْجِزِ الْقُرْآنِ
 أَبَدًا وَلَا إِعْجَازُهُ بِالْفَنَانِ
 قَرَّ السَّمَاءُ وَجُزْمُهُ نَضْفَانِ
 شَوْقُ الْحَيْنِ الْوَالِهَةِ الْحَيْرَانِ^(٤٣)
 والآل والأصحاب والأعوان

وفي حادي عشر شعبان يوم السبت المبارك ، وصلت مكاتبات من الوزير الأعظم محمد
 باشا إلى مولانا شيخ الإسلام بأن السلطنة الشريفة أُنْعِمَتْ عليه بنظارة الحرم المكي بعلوفة
 وكانت قبل ذلك بلا علوفة^(٤٤) وبخطابة الموقف الشريف ، فحصل للناس السرور
 بذلك ، وهنأه فقهاء المدينة الشريفة ، وأعيانها ، وفرحوا له بذلك ، وكان يوم سرور .

ووصل مكتوب الوزير المعظم سنان باشا (سردار) العساكر المجهزة إلى افتتاح اليمن ،
 إلى مولانا شيخ الإسلام من منزلة النَّبِطِ^(٤٥) وهو أول أذكرك ذوي هِجَار ، حكام
 اليمن ، فتعين بروز مولانا إلى ملاقاته ، فبرز يوم الأحد ، ثاني عشر شعبان ، بقافلته
 الخاصة ، وخرج معه لوداعه أمير المدينة وأعيانها وفقهاؤها إلى الأتيار ، وتصدَّق على
 الفقراء ، ودعوا له بالدوام والبقاء ، وحصول العز والسعادة ، وهو جدير بذلك ، أيده
 الله تعالى .

واستمر إلى المغرب ورحل واستمر إلى الصبح .

المنزل الثاني قرب قبور الشهداء : نزلهُ صُبْحَ يوم الإثنين ، واستمرَّ إلى الظهر ،
 ورحل .

المنزل الثالث قبيل الرُّوحَا : وصلوا إليها قبيل المغرب ، ووصل هناك قاصد من علي
 بن دَرَّاج بأن حضرة الوزير المعظم سنان باشا وصل يوم الجمعة إلى اليمن ، وأن عسكره
 سبع محطات ، وأنه يرحل يوم الثلاثاء من ينبع ، وأنه ما حصل منه تشويش ولا تكدير

على أحد ، وأنه في غاية اللطف والملازمة ، بلغه الله تعالى مراده وعشنا ورحلنا .
المتزل الرابع الخفيف : وصلنا إليه ضُحًى وعلفوا الجبال ، ورحلوا مغرباً وأصبحوا في بدر ، وكان الوزير سنان باشا خرج من البنيع ، ووصل إلى بدر يوم الثلاثاء ورحل ليلة الأربعاء نصف الليل ، فرحلنا يوم الأربعاء ظهراً ، واستمرينا على ظهور الركاب والبغال فلم ندركه ، فززلنا في الحَبْتِ قليلاً ثم رحلنا ، وتركنا القافلة خلفنا فوصلنا نصف الليل إلى الفَيْقَةِ^(٤٦) فوصلنا إليه وهو حاطٌّ بها من الظهر ، فأدركناه وقد حلَّ ، وهو على رحيل ، فجلس إلى أن اجتمع به مولانا شيخ الإسلام ، وحياه وفرح بوصوله وأكرمه ، وتحدث معه ساعة ، وسأله عن أحوال مولانا السيد الشريف نصره الله تعالى ، ثم سأله عن أحوال اليمن المتجدد بها . ثم قال : تعبت كثيراً وما كان يحتاج هذا التعب ، فرد عليه :

ثم ضرب النَّفِير ورحل ورحلنا خلفه ، وأصبحنا في مستورة ، وقد انقطعت دوابنا فحططنا ، ورحل هو إلى أن نزل موضعاً اسمه البستان ، وأدركتنا القافلة هناك ، ورحلنا معها عصرًا يوم الخميس .

ثم نزلنا في (٥٠٠) ^(٤٧) ورحلنا نصف الليل ، وأصبحنا يوم الجمعة في رايغ ، والباشا أيضاً رحل إلى رايغ صباحاً ، وحططنا وهو المتزل التاسع ، من المدينة الشريفة ، ونزل به الوزير المعظم سنان باشا مع العسكر المجهز معه لافتتاح مملكة اليمن ، وهو نحو ألفي فرس ، وأكثر من عشرة آلاف جمل ، وسواد عسكره نحو الخمسة عشر ألف ، وغير الذين جهزهم من البحر ، وغير من يتبعهم بعد ذلك ، وعمل ديواناً ، ومَدَّ سماءاً كبيراً في رايغ ، وجمع فيه أعيان العسكر ، وأمراءهم وسناجقهم^(٤٨) ، وأجلس مولانا شيخ الإسلام فوق الكلِّ عن يمينه ، وأقبل عليه وحادثه ، ووانسه على الأكل ، وصار يقدم له بيده الطعام ، وأكرمه غاية الإكرام ، وعند الفراغ أفرغ عليه خلعتين سَيِّئَتَيْنِ ، من أفخر الخلع ، وتوجه إلى منزله ، وأنعم على من وصل معه إلى المتزل ، ورحل مغرباً ، وسار قبل الوزير إلى أن نزل في الحَبْتِ ، في موضع يقال له أبو هشيم ، وهو المتزل العاشر ومَرَّ علينا الوزير^(٤٩) فركب له مولانا شيخ الإسلام ، وسار معه ، ثم عزم عليه مراراً بالرجوع إلى أن رَجَعَ عنه ، ومضى الوزير إلى أن نزل في الحَبْتِ ، بحيث أبعد جداً عنا .

المنزل الحادي عشر نَبَّاع : بقرب طرف قُدَيْدٍ ، فوقه إلى ناحية المدينة ، وصلنا إليه بعد العصر ، وَأَنَحْنَا وَعَشَيْنَا ، ورحلنا بعد المغرب ليلة السبت تاسع عشر شعبان ، ومررنا قرب الصبح بعقبة السَّوَيْق ، وقطعناه ونزلنا قبل الفجر في خَلِيس ، وهو : —

المنزل الثاني عشر من المدينة الشريفة : ويقال له بالتركية (كزلجة بركة) (٩) : أَقْنَا به إلى آخر النهار ، ورحلنا قرب المغرب ، ومررنا بِعُسْفَانَ لَيْلاً ، ولم ننزل به ، وبعد المرور بعسفان وصل مولانا السيد حسين بن مولانا السيد حسن نصره الله تعالى للملاقة حضرة الباشا ، واجتمع ومعه نحو ثلاثين فرساً ، وسأَيرُهُ إلى المنزل .

المنزل الثالث عشر طرف اَلْبَرْقَا : نزلنا به ضُحَى يوم الإثنين ، حادى عَشْرِي شعبان ، وَأَقْنَا إلى العصر ورحلنا .

المنزل الرابع عشر وادي مَرَّ الظُّهْرَان : وصلنا إليه ثلث الليل ، وَعَشَيْنَا ورحلنا ، وأصبحنا في مكة المشرفة ، يوم الثلاثاء ثاني عَشْرِيه .

وأما الباشا فانه ما نزل بالوادي ، واستمر إلى أن نزل عند أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (٥٠) وأقام ذلك اليوم جميعه هناك ، وطلب السيد حسين بن حسن ، وألبسه خلعة سَنِيَّةً فاخرة . ثم في يوم الأربعاء رابع عَشْرِي الشهر رحل من هناك بالزينة التامة ، والموكب التام ، وألبس جميع العسكر ، ودخل إلى مكة المشرفة ، واستقبله أفندي مكة عبد الرحمن أفندي إلى الجوخى ، ومشى معه إلى أن دخل مكة وعدَّى إلى بَرْكَةِ ماجد (٥١) ، ونزل بوطاقه (٥٢) هناك وكان قد دخل مكة لَيْلاً ، وطاف وسعى وعاد إلى وطاقه بأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ .

وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ولم يُعْهَدْ دُخُولُ عَسْكَرٍ مثل هذا في الكثرة والزينة إلى مكة وَعُدَّتْ خَيْلُهُ فَكَانَتْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وجاله تقارب عشرين ألف جمل ، وشقَّ مكة ، ولم ينزل إلَّا في بركة ماجن ، ضرب أوطاقه هناك ، وضبط العسكر ضَبْطاً مُحْكَمًا إلى أن رحل في رابع رمضان إلى جهة اليمن كسب الله تعالى سلامته .

[الرحلة السادسة] :

ذكر الزيارة المباركة في سنة ثمانين وتسع مئة .

جعلها الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم .

توجه مولانا شيخ الإسلام بدر الدنيا والدين ، السيد حسين الحسيني ، أدام الله سعده ، إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ليكسو الحُجْرَةَ الشريفة النبوية بالكسوة الخضراء السلطانية ، حسب الأمر الشريف السلطاني فَبَرَزَ في تجمل عظيم ، لا يُعْهَدُ مثله ، واستصحب من الأعيان طائفة أجَلُّهُمْ مولانا الشيخ عبد الواحد الشيباني ، وولده الشيخ الطاهر ، ومولانا معين خان ، وغير ذلك .

وصحبتُهُ في هذه الزيارة ، والله تعالى يتقبل ذلك ويعمله خالصاً لوجهه الكريم بِمَنِّهِ وكرمه ولطفه وإحسانه .

وكانَ البروز عصر يوم الأحدِ سابعِ عَشْرِي جمادى الأولى سنة ثمانين وتسع مئة .
المتزل الأول الجموم : أقننا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ، وكان الرحيل ظهر يوم الثلاثاء على العادة .

المتزل الثاني طرف البرقا : وصلناه مغرباً وعشنا ورحلنا .

المتزل الثالث بئر عسفان : وصلناها شروق الشمس ، وأقننا إلى قبيل المغرب ، ورحلنا .

وجُهرت البئر في آخر النَّهار (٥٣) ،

ورأينا هلال جمادى الأخرى بعد ، قطع عقبة عُسْفان ليلة الخميس جعله الله تعالى مباركاً .

المتزل الرابع خَلْيس : وصلناه وقد بقي من الليل ثلثه ، وكان به العَلْفُ والنَّوى قليلاً ، وباعوا الربع النَّوى بستة عشر محلّق ، ثم لم يوجد بعد ذلك ، وأقننا إلى العصر أول جمادى الأخرى ، ورحلنا وقطعنا العقبة بين المغرب والعشا ، ثم استمررنا على ظهور الجمال .

المتزل الخامس نزلنا بعد مُضيِّ ربع الليل : في جادة مشاش (؟) وأقننا ساعة ورحلنا ، واستمر إلى الصبح يوم الجمعة .

المنزل السادس السَّراج : نزلنا وصلينا الصُّبح يوم الجمعة ، وأقنا إلى قبيل الظهر ، واستمرينا إلى المغرب .

المنزل السابع دفين (٩) : أقنا فيه إلى قرب نصف الليل ، ورحلنا .

المنزل الثامن رايغ : وصلناه عند صلاة الصبح يوم السبت ثالث جُادى الآخرة وكان سعر التوى في رايغ الرُّبع بأربعة عشر مَحَلًّا ، وهو قليل وكان ذهب لمولانا حمل خوشخا في (٩) بعد خليص في الرحلة الثانية ، فأرسل إليه راحلة وجمالة وجمال لباني به ، ولزم من ذلك تأخره برايغ إلى يوم الأحد رابع الشهر ، ورحلنا بعد مُضي ربيع النهار ، يوم الأحد المذكور .

المنزل التاسع ودَّان : نزلنا به مع صلاة المغرب ، وعشنا ، ورحلنا سريعاً ، إلى الصبح يوم الاثنين .

المنزل العاشر الغيبة : نزلنا به صبح يوم الاثنين ، وحصل لمولانا نوع من بَرْد ونفاضة ، وقليل حُمى استمرت به إلى العصر ، وعافاه الله تعالى من ذلك ، وكان رَحيلنا قبيل الظهر .

المنزل الحادي عشر شجرات الأمير : آنخنا به قرب المغرب ، وعشنا ، ورحلنا بسرعة ليلة الثلاثاء إلى طلوع الشمس .

المنزل الثاني عشر بَلَر : وصلنا إليه عند الإِشراق ، يوم الثلاثاء ، وكان التوى قليلاً ، يسومون في الربع منه عشرين مُحَلًّا ، ولم يحصل لكثير من جَمالة أهل القفل شيء من التوى ، لاستيلاء الأقوياء عليه ، ولم يحصل لجمالنا شيء فأقاموا يوم الأربعاء إلى بعد الظهر ، وأطعموا جِمالهم القمَر ، وما سَدَّهُمْ (٩) وحملوا بين الظهر والعصر ورحلوا .

المنزل الثالث عشر الصُّفراء : وصلوا إليها بعد مُضي رُبُع الليل ، والجَمال في غاية الضعف وأصبحوا يوم الخميس ثامن الشهر في الصُّفراء ، وأقاموا إلى بين الصلاتين ، ورحلوا .

المتزل الرابع عشر الخَيْف : وصلناه ليلة الجمعة تاسع الشهر بعد مُضي ثلث الليل ، وأقنا فيه إلى قبيل الظهر وتوجه من هذه المرحلة حضيري ... (٥٤) السيد علي بن دَرَّاج ، بالمكاتبات إلى مصر ، وأقنا فيه يوم الجمعة ولحقنا فيه الخواجا نقد علي (٩) ورحلنا قبيل الظهر .

المتزل الخامس عشر النازية : وصلناها قبيل المغرب ، وعشنا ورحلنا ، وصادفنا تلك الليلة وهي ليلة السبت أفندي المدينة القاضي عزَّ الدين أحمد ، وهو متوجه إلى ينبع ، إلا أنه مغلب عليه ، لأنه كان مريضاً ، وتوفي بعد أن مرَّ علينا ، وهو ينازع وتوفي وعادوا به إلى المدينة ، ودفنوه على نَيْتِه في البقيع ، وهو رجل شريف من السادة الصفيين ، غير أن أهل المدينة لم يشكروا إقضاءه ، سامحه الله تعالى .

المتزل السادس عشر السُويقة : بعد أن مررنا صباحاً شعب عليّ وقبور الشهداء ، ونزلنا ، ولأقانا به بعض أهل المدينة ، وكان نزولنا عند إشراق الشمس ، وغدينا ورحلنا قبيل الظهر يوم السبت .

المتزل السابع عشر قبيل المُفَرَّح الكبير : عند البئر التي جَدَّها الوزير ستان باشا ، وصلناها وقت العشا ، وعشنا ورحلنا .

المتزل الثامن عشر المدينة المنورة : على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وصلناها ضحى يوم الأحد وكان لمولانا موكب عظيم في دخوله ، ولأقاه أميرُ المدينة السيد مانعُ الحُسَيني ، وشيخ الحرم الشريف المدنيُّ الأمير محمد بكر ، وأغاة القلعة أحمد آغا وكتب اسمه حسن جلبي ، وسائر أعيان المدينة الشريفة ، وكان دخولاً جميلاً .

وخطبت الكسوة الشريفة بأواخر المسجد الشريف النبوي صلى الله على نبينا وسلم .

فلما كان يوم الخميس ضُحى ، دخل شيخ الحرم ، ومولانا شيخ الإسلام وأتباعه والخدام ، ورفعوا الكسوة العتيقة وألبسوا الحجرة الشريفة الكسوة الجديدة ، وحضر أهلُ المدينة كلهم ، وكان قبل يوم العيد ، وتمَّ ذلك بسرعة ، والله الحمد والمنة ، وكان يوماً مشهوداً .

وكانت مدة الإقامة بالمدينة الشريفة إلى يوم الثلاثاء سابع عَشْرِي جمادى الآخرة
وكانت ... (٥٥) .

وحصل به كل التَّامِّي التام ولله الحمد والمنة .

وارتحلت القافلة صبح يوم الثلاثاء إلى ذِي الْحَلِيفَةِ ، وهي المنزل الأول ، واستمرت
القافلة إلى المغرب وارتحلت وسارت إلى الصبح .

المنزل الثاني قبور الشهداء : بل دونه بقليل ، صلينا فيه صلاة الصبح ، وأقنا إلى
قبيل الظهر ، ورحلنا .

المنزل الثالث دون الرُّوحا : وصلنا إليه قبيل المغرب ، وأقنا إلى قريب ثلث الليل ،
ورحلنا .

المنزل الرابع الخيف : وصلناه صباحاً بعد طلوع الشمس ، وأقنا إلى الليل ، ورحلنا
بعد العشا .

المنزل الخامس الصفراء : وصلناها وقد بقي من الليل أكثر من ثلثه ، وأقنا إلى
الظهر ، ورحلنا .

المنزل السادس بَدْر : وصلنا إليه وقت العشا ، ورأينا هلالَ رجب ، ليلة السبت
قبل الدخول إلى بَدْر ، وأقنا يوم السبت ، وليلة الأحد ، ورحلنا ظهر يوم الأحد .
المنزل السابع موضع يقال له بُرَيْمَة : من خَبَّتْ البزوة ، وصلناها وقت المغرب ،
وعَشَيْنا ، ورحلنا .

المنزل الثامن حاجر : وصلناه عند طلوع الشمس ، يوم الاثنين ، وغدينا ، ورحلنا
قبيل الظهر .

المنزل التاسع قبل مستورة : وصلناه ليلة الثلاثاء وقت المغرب ، بعد أَنْ عَدَّينا بِرْ
مَسْتَوْرَة وعَشَيْنا ورحلنا .

المنزل العاشر رابع : وصلناه صباحاً يوم الثلاثاء ، وأقنا إلى المغرب ورحلنا .

المنزل الحادي عشر دَوْرَان : سرينا طول الليل ، وأنخنا مع طلوع الشمس في الحبث
خَبَتِ كَلْبَةٌ ، يوم الأربعاء .

المنزل الثاني عشر قَرِيب الْعُقْبَةِ : وصلنا إليه بعد المغرب ، وأنخنا وعشينا ونمنا
قليلاً ، ورحلنا قبل غروب القمر ليلة الخميس ، سادس الشهر ، ومررنا بالعقبة ، والقمر
منه بقية يسيرة ، إلى أَنْ غَرَبَ على آخِرِ أَهْلِ الْقَافِلَةِ ، عند مرورهم بالعقبة ، واستمرينا
إلى خُلُوص لَيْلًا .

المنزل الثالث عشر خُلُوص : وصلناها قرب نصف الليل ، ليلة الخميس ، وأقنا بها
إلى الظهر ، يوم الجمعة ، ورحلنا واستمرينا إلى قبيل المغرب ونزلنا .

المنزل الرابع عشر : تعدينا عن أبي مراغ ، ونزلنا بينه وبين عُسْفَانَ وعشينا ، ورحلنا
بعد العشاء ، واستمرينا إلى الصبح على ظهور الجبال .

المنزل الخامس عشر طُوف الْبِرْقَا : وصلناه ضُحًى ، وتعدينا عنه ، ونزلنا وغدنا ،
ورحلنا .

المنزل السادس عشر وادي الجُمُوم : نزلناه عند دخول وقت العشا ، وعشينا ،
ورحلنا ودخلنا إلى مكة صُبْحًا .

جعلها الله تعالى زيارة مقبولة خالصة لوجهه الكريم وشفع فينا نبيه محمداً صلى الله
عليه وسلم ، ولا جعلها آخر العهد من ذلك الجَنَابِ الْكَرِيم ، ورزقنا العودَ ثم العودَ ثم
العودَ ، ما بقينا ، بِمَنْعِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الحواشي :

- (١) ص ٢ ص ٢١٩ وما بعدها .
- (٢) انظر كلامه عن (الوجه) في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، قسم (شمال المملكة) ص ١٣٥٧ .
- (٣) من ص ١ إلى ٦٨ — المقدمة ، والكتاب من منشورات (دار البعثة للبحث والترجمة والنشر) .
- (٤) الجبته — تحت الجبم ثلاث نقط — هي ما يسمى (الشنطة) أي الحقيبة .

- (٥) الاسباهية — تحت الباء ثلاث نقط —: الفرسان (أهل الخيل).
- (٦) البطة إزاء يتخذ من الجلود المبيسة الملتصق بعضها ببعض ، بشكل الدبابة الكبيرة فه ضيق له غطاء ، يستعمل للسوايل .
- (٧) أجباً — كما يفهم مما ذكر المؤلف مبلغ محدد من النقود ، يجيبه ، أي يأخذه أعراب الطريق من المسافرين عن كل جمل مُخْتَلَمٍ ، أو فوقه شقذف ، وهو مركب مُظْلَلٌ كبير ، ذو جانبين كل جانب يتسع لراكب ، وقد يتسع للمرأة وأطفالها الصغار ، وكذا الجمل الذي يحمل شبرية ، وهي مركب مكشوف ، ذو جانبين ، يركب في كل جانب إنسان ، وهو أقل راحة من الشقذف المتسع لبعض ما يحتاجه الراكب ، مع وقايته من الحر والقر والمطر ، بخلاف الشبرية .
- ولعبد الغني النابلسي في كتاب « الحقيقة والحجاز » في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز في كلامه على المدينة المنورة في اليوم الـ (٢٩٤) كلام طويل في محاولة إيضاح معنى كلمة (جباً) عند قوله : (ومن عادة أهل مكة والمدينة وما والاها أنهم إذا جاؤا بالقهوة لا بُدَّ أن يقولوا : جباً) إلى آخر ما قال .
- والكلمة لا تزال مستعملة يقولها المرء إذا قدم لآخر شيئاً بدون مقابل : (جباً) فيكون جواب الآخر : (عَدُولك ييبا) .
- (٨) الحلقة : نوع من العملة النحاسية — يظهر أنها بصورة الحلقة — وقد ظَلَّتْ مستعملة في الحجاز ونجد ، حتى أبطلها الشريف سعد بن زيد الذي امتدَّ حكمه إلى نجد ، قال الطبري في « إتحاف الزمن » بتاريخ ولاية بني الحسن : « وفي سنة ١١١٤ — يوم الثلاثاء رابع عشر المحرم نادى الشريف سعد بن زيد في مكة أن صرفَ الشريفي عشرة حروف ، والقرش الريال سبعة حروف ، والمكعب خمسة حروف ، وأن الحلقة بطالة ، ولا تسلك إلا حلقة المدينة ، وهي في الحقيقة كانت مضرة ، لا تعرف هي نحاس أو رصاص ، وكان يسوؤها (٩) العامة (سيدر) وكان بها صرفُ الشريفي خمسة وعشرون حرفاً ، والريال بثاني عشرة حرفاً ، والمكعب بالثاني عشر حرفاً ، وكل من بيئها في كيبه يصبح يراها ألواناً ، أصفر وأحمر ، فأراحوا العالم منها . انتهى .
- (٩) كذا والصواب (ذو رومي) وهم شيوخ قبيلة زُبيد ، ولهم حوادث وأخبار في ذلك العهد نجد طرُقاً منها في « بدائع الزهور » و« درر الفوائد المنظمة » وتواريخ مكة عن تلك الحفبة « القرنين التاسع والعاشر .
- (١٠) لعله يقصد بكلمة (كبان) جمع كوم — أكوام — .
- (١١) المعروف في المعاجم باسم (البزواء) وفي الشعر .
- (١٢) هو غيبة لما ذكر كثير في الشعر .
- (١٣) ترك للاسم بياضاً .
- (١٤) حدثنا ثلاثة أسطر تتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام .
- (١٥) هو حاكم مكة المكرمة في ذلك العهد الشريف أبو نعيم بن بركات ، توفي سنة ٩٩٢ وترجمته مفصلة في « سبط النجوم » للعصامي .
- (١٦) عشرة أبيات منها :

وإن كرام الحُرْبِ تحمي نزيلها وتُسدي إلى وفادها بالمكارم
وفيها من الفلّو في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ما حال دون نشرها .

(١٧) وأورد بعد هذا : (قال ابن عساكر : إن أبا الطيب أحمد بن عبد العزيز المقدسي رحمه الله — زاد على البيتين المشهورين : (يا خير من دُفئت بالقاع أعظمه) — ثم أورد قصيدة في خمسة عشر بيتاً ، فيها غلو في مدح

المصطفى — عليه الصلاة والسلام — ومخالفة لأمره الكريم : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبداً وعبد الله » ورسوله . لم نورد القصيدة .

(١٨) يقصد بالحصار الحصن ، والكلمة — وإن كانت تركية الأصل — إلا أنها مأخوذة من المحاصرة .

(١٩) سطر لم يوضح في التصوير .

(٢٠) هذا البيت من قصيدة لابن مطروح أوردتها صاحب كتاب «إنحاف الزمن» مع شعر القطبي .

(٢١) خرافة الطبل لها أصلٌ من الصحة فالرياح عند هبوبها تسفُو الرمال فتكون منها كثباناً متراكمة ، فإذا سكنت

الرياح ، بدأت أعالي الكثبان تنال ، فيحدث انبثالها أصواتاً غريبة يسمعها الإنسان بدون أن يرى مبعثها .

وكان العرب — قديماً — يُسمون تلك الأصوات عريفاً ، ويقولون أنها أصوات الجن ، ويسمون أبارق رملٍ

معروفة باسم (أَبْرَقَ الرَّمْلِ) .

والموضع الذي يقرب بَدْرَ كتيب من الرَّمْل ، يحدث فيه — بتأثير الرياح — ما يحدث في الكثبان الأخرى

من العزيف ، فيظنه من يسمعه ويحفل سببه صوتَ طبلٍ ، ومن هنا نشأت الخرافة عند أناسٍ يحفلون طبيعة

الصحراء .

(٢٢) اسم الموضع غير واضح في التصوير ، وقد يكون (الزَّوَاء) .

(٢٣) التذكير — بالطريقة التي تتبع في بعض البلاد الإسلامية قبل الفجر — من الأمور المتبعة بعد القرون الثلاثة

المفضلة التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : «خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» .

(٢٤) مكان النقط كلمة غير واضحة .

(٢٥) مكان النقط بيت فيه مبالغة دَعَتْ إلى حَذْفِهِ .

(٢٦) ترك يياضاً لوصف هذه الزيارة ، ولم يكتب شيئاً .

(٢٧) مكان النقط كلمة غير واضحة ولعلها (والشمس حية) .

(٢٨) دفتر دار — كلمة تركية تؤدي معنى رئيس الكتاب .

(٢٩) تقع في ٢٢ بيتاً ومنها :

إلى مَ وقد جاوزت خمسين حجةً أصبح عمراً ضائعاً إثر ضائع

وأخرها :

عليك صلاة دائم ، ونجية وألئك والأصحاب في كُفْل طالع

وهي بما لا تسع له صدور كثير من القراء ، لاحتوائها على عبارات لا تجوز في حق الرسول صلى الله عليه

وسلم .

(٣٠) إقامة حفلات الموالد من الأمور المتبعة ، وتشتد حرمتها حين تقام في مسجد المصطفى على مقربة من قبره

الشريف ، وهو القائل : «كُلُّ عَمَلٍ كَيْسَ عَلَيْهِ أَمَرْنَا فَهُوَ رَدٌّ» .

(٣١) كذلك ورد اسم (خُلَيْص) مَرْقَأً ، والأعلام لا تعرف إلا سماعاً ، ولم أر — فيما اطلعت عليه من كلام القدماء ما

يدل على تعريفه .

(٣٢) قاضي القضاة لقب لا يجوز إطلاقه على مخلوق — كما نصَّ على ذلك شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد

الوهاب رحمه الله في كتاب «التوحيد» .

(٣٣) كذلك في الأصل وقد يكون المقصود خُراساً يُزَيْن إليهم ، أي يلتجأ إليهم للحماية عند الخوف ، وقد تكون

(مزينة) ويراد بها قبيلة مزينة ، ولكن بلاد مزينة بقرب المدينة بعيدة عن خُلَيْص ، وليس من المعقول أن تخالف

- قبيلة حرب في وسط بلادها .
- (٣٤) ترك يياضاً لكتابة اسم القاصد .
- (٣٥) البناء على الثبور محرم شرعاً ، والحمد لله الذي طهر الأماكن المقدسة من أَوْضَارِ الخرافات والبدع ، فأزال معالمها وآثارها كالقباب والأبنية على القبور .
- (٣٦) يازجي الحرم — أي كاتب شؤونه (يازجي) كلمة تركية معناها (كاتب) .
- (٣٦) الينكشارية من جنود الدولة التركية ، ذُوو تربية خاصّة .
- (٣٧) خمسة أبيات لم أستطع قراءتها لعدم معرفتي باللغة الفارسية .
- (٣٨) لم يذكر اسم المنزل .
- (٣٩) يقصد بالأروام (الأتراك) فُوزخو ذلك العصر يسمونهم الروم .
- (٤٠) صواب الاسم (ينج) بدون تعريف .
- (٤١) حذفنا سطرًا فيه كلمات موجهة للرسول صلى الله عليه وسلم .
- (٤٢) كذا والمعجز مختل الوزن .
- (٤٣) ثم ثمانية أبيات يطلب فيها من الرسول ما لا يجوز أن يُطلب إلا من الله تعالى وحده ، كغفران الذنوب ، وقضاء الديون ، والافتقار من جور الدهر وعداوة الحساد والأقران .
- (٤٤) الملوعة المرتب .
- (٤٥) التَّبْط (تَبْط) منهل يقرب أم لُج ، بطريق ساحل البحر ، الذي كان يسلكه حجاج مصر ، وله ذكر كثير في رحلات الحج وانظر عنه (قسم شمال المملكة) من «العجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .
- (٤٦) الصواب (غضة) بدون تعريف .
- (٤٧) ترك يياضاً لاسم الموضع ولم يذكره .
- (٤٨) سناجق — جمع سنجق كلمة تركية تعني رؤساء فرق الصاكر .
- (٤٩) الوزير ستان باشا هو الذي ألف القطعي كتاب «البرق البهائي في الفتح العثماني» لبيان غزوه بلاد اليمن ، إذ الوزير المذكور حين عاد من اليمن قدّم للقطعي (نسخة من تاريخ فتح اليمن ، منظومة باللسان التركي) فاستعان بها في تأليف ذلك الكتاب ، وهو من منشورات (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) .
- (٥٠) يقصد بأُم المؤمنين المكان الذي فيه قبر ميمونة أُم المؤمنين ، وهو سَرَف ، يقرب التَّعِيم ، غير بعيد من (الشهداء) وقد انفصل عمرانُ مكة الآن بذلك المكان ، بل تجاوزه .
- (٥١) بركة ماجد في عملة المسفلة ، وأصل الكلمة (ماجل) باللام ، والمائل كُلُّ ما في أصل جبل أو وادٍ ونَصْر علماء اللغة على أن المائل موضع بياض مكة ، يجتمع فيه ماء يتحلب إليه . وهو ما عرف أخيراً باسم بركة ماجد .
- (٥٢) الطواقي كلمة تركية يقصد بها الخيم .
- (٥٣) جهز البئر — أي نُظِّفَتْ ، وأُخرج ما فيها من طين وأحجار ، ليزداد ماؤها .
- (٥٤) كلمة غير واضحة .
- (٥٥) يياض في الأصل .

تاريخ الفاخري لا الأخبار النجدية

— ٢ —

حول وفاة ابن لعبون :

وقال الأستاذ الدكتور الشيل ص : ٢٩ : — وتوفي ابن لعبون سنة ١٢٥٥ هـ انتهى .

وأخشي أن يكون اعتمد في هذا على ما ذكرته في مجلة « العرب » س ٥ ص ٧٩٨ — ونصه : (وقد عاش ابن لعبون هذا إلى سنة ١٢٥٥) .

وأنا لم أقل بأنه مات في هذه السنة ، ولكنني اطلعت على تنمة لكتابه المتعلق في الأنساب الذي كتبه استجابة لطلب الشيخ ضاحي بن عون — المطبوع بمكة المكرمة ، جاء في تلك التهمة ما نصه : (ودخلت السنة الخامسة والخمسون بعد المثين والألف والموجود من آل اسماعيل الركن الشديد ، والحصن المشيد ، الجواد المفيد ، ضاحي بن محمد بن إبراهيم ابن عون بن حمد بن اسماعيل ، وابن أخيه بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عون) .

وتلك التهمة نسخها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر — صاحب التاريخ المعروف باسم « السعد والمجد » — في ١٩ رمضان سنة ١٣٦٨ ثم اطلعت على تلك التهمة في كتاب « تحفة المشتاق » لابن بسام ، وذكر في مقدمتها أنه نقلها من تاريخ حمد بن محمد بن لعبون (بقلمه) ولكن ما ورد في كتاب « تحفة المشتاق » يختلف كثيراً عما نسخّه ابن ناصر ، ومن أمثلة الاختلاف الجملة التي حددت التاريخ بسنة ١٢٥٥ — فهي : — في الكلام على ذرية اسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن حسين المدلجي — (منهم ضاحي بن

محمد بن عون بن إبراهيم بن اسماعيل ، التاجر المشهور ، المتوفي في بَمبَي من بلاد الهند ، سنة (١٢٦٠) انتهى .

فابنُ بَسَّام — أو من نقل عنه ابنُ بَسَّام — ويظهر أنه ابن ابن عيسى — نصَّ على أنه نقل الكلام من تاريخ ابن لعبون (بقلمه) وقد نص على تاريخ وفاة صاحبي بن عون سنة ١٢٦٠ — فهل عاش إلى هذا التاريخ ؟ أنا أشك في هذا وأراه مما زِيدَ في الكتاب وقد يكون من زيادة زامل ابن المؤرخ وقد وصلت إلى ابن عيسى نسخة من كتاب ابن لعبون بخط المؤرخ وبخط ابنه زامل ولزامل زيادات فيها .

أما سنة ١٢٥٥ فلا شك أن ابن لعبون أدرَكها — كما نصَّ على ذلك في غير موضع من التتمة التي نسخها عبد الرحمن بن ناصر .

ولكن لا يمكن الجزم بأن ابن لعبون مات في تلك السنة .

وفرق بين أن يقال : (عاش إلى سنة ١٢٥٥) وأن يقال : (مات في سنة ١٢٥٥) أما الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البَسَّام فلم يؤرخ وفاته حين ترجمه في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» : بل اكتفى بقول : (ولم أقف على السنة التي توفي فيها ، إلا أنه ذكر وفاة ابنه محمد سنة ١٢٤٧ هـ) انتهى .

مخطوطات الكتاب :

قال الدكتور الشبل (ص ٣٠) بعنوان (التعريف بالمخطوطة) وهو يقصد أصل الكتاب الذي اعتمده للتحقيق : (يكاد يغلب على الظن أنه لا يوجد من هذه المخطوطة سوى نسختين) ثم ذكر النسخة التي بخط عبد الرحمن بن محمد بن ناصر المتوفي قبل عشر سنوات تقريباً ، والنسخة الثانية التي كتبها محمد بن حمد العمري سنة ١٣٨٠ وذكر أنه نقل مقدمتها عن مقدمة كتبها عبد الرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري .

ويلاحظ على ما تقدم :

١ — التعبير بكلمة المخطوطة ويراد بها الكتاب المحقق تعبير موهم ، غير واضح ، فقد يقصد به إحدى المخطوطات من الكتاب لا الكتاب نفسه .



(الصفحة الأولى من نسخة حمد الجاسر)

٢ — القول بأنه يغلب على الظنّ عدم وجود أكثر من نسختين لذلك الكتاب ليس صحيحاً لأن ناسخي النسختين نسخاها في عصرنا الحاضر — أي بعد قرن من الزمان ، على وجه التقريب على وفاة المؤلف — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فيها نسخا عن نسخة أو نسختين ومن غير المعقول عدم وجودهما .

ثم الإشارة إلى أن العمري نقل مقدمة نسخته عن مقدمة كتبها التويعري بدل على أن التويعري نسخ نسخة نقل عنها العمري .

ومع كل ما تقدم فنسخة التويعري موجودة وكان قد فرغ من كتابتها في ثالث المحرم سنة ١٣٦٨ وقد اطلعت عليها ونقلت عنها نسخة في غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢ .

وقد كتب في مقدمتها ترجمة للفاخري أورد الدكتور ملخصها ونصّها كاملة : (ولد سنة ١١٨٦ في بلدة التويم من سدير ونشأ بها وقرأ القرآن ، وانتقل من التويم إلى الأحساء في حادثة الترك ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بلد حرّمة . كان رحمه الله أحد أدباء نجد في زمانه وكان يجيد الخط ، وقد حصل كتباً كثيرة بخطه الحسن ، وله نقولات في مختلف العلوم ، وقد جمع كتاباً في الأدعية النبوية سماه « الأحاديث المروية في الأدعية النبوية » ولكنه قد تلف بسبب الأرضة ، ولم يبق منه إلا ورقات قليلة ، وقد رأيتها بخطه ، وله معرفة بالشعر ، فمن شعره قوله مؤرخاً حادثة الترك في سنة ١٢٣٣ قال :

عَامٌ به الناس جالوا حسبا جالوا ونال منّا الأعادي فيه ما نالوا
قال الأخلاء : أرّخه فقلت لهم :

أرّختُ قالوا : بماذا قلت (غريال) ١٢٣٣ .

ومن ذلك قوله من قصيدة في عمال الترك لما جاءوا لخرص الزروع :

وعمال بجذف اللّام جاءوا تُريدُ خراصنا من غير صاد
لِبيّتِ المال دون اللام سَهْمٌ وسهم دون دالٍ للزناد
وقد ذكر لنا أن هؤلاء العمال الطغام أجازوه على هذه القصيدة ، وتركوا له زكاة زرعه ، وقد توفي سنة ١٢٧٧ رحمه الله تعالى آمين) .

ثم كتب التوحيدي مقدمة لنسخته أوردتها الدكتور الشبل (ص ٥٩ في الهامش) .
٣ — ويضاف إلى ما تقدم أن لدي نسخة من ذلك الكتاب أقدم تاريخاً مما تقدم الحديث عنه تبدأ بما هذا نصه : (وفي سنة خمسين وثمان مئة اشترى حسن بن طوق جد المعمر العينية) .

وآخرها في الكلام على حوادث سنة ألف ومئتين واثنين وثمانين (١٢٨٢) ولكن لما ذكر سنة ١٢٧٧ قال : (وفيها توفي محمد بن عمر الفاخري) وذكر بعد ذلك : (وفي النصف من شعبان حدث وباء في العارض ، ومات فيه الشيخ حسين بن علي ، والشيخ عبد الرحمن بن بشر) . واستمر في سرد الحوادث .

٤ — يوجد لدى آل الفاخري نسخة أيضاً وأذكر أنني فكرت في نشر تاريخ الفاخري قبل عشرين عاماً فعلمتُ بذلك النسخة فكتبت إلى الأخ عبدالله بن محمد الفاخري في الموضوع فكتب إلي كتاباً جاء فيه : (إن التاريخ المذكور فيه بعض الكلمات والتعابير الركيكة التي لا تستقيم وصحة المعنى وسلامة الأسلوب) ففهمتُ من هذا عدم الرغبة في نشره . (انظر الصورة في الصفحة المقابلة) .

٥ — أكاد أجزم بأن النسخة المشحونة بالأغلاط التي اتخذها الدكتور أضلاً وأتعب نفسه في كتابة الحواشي الكثيرة لتصحيح ما فيها من لحن ، ليست منقولة عن أصل صحيح ، ويدل على هذا أن النسخة التي لدي تذكر السنوات بالأرقام لا باللفظ فكلمة سنة (خمسستشر وألف) كتبت (١٠١٥) وهكذا .

ولا أستبعد أن المؤلف كتب معلوماته بشكل (مسودة) ليرجع لترتيبها وتصحيحها فلم يتيسر له ذلك ، فنقل من بعده أناس من العامة إذ ليس من المعقول أن الفاخري ودرجته من الثقافة لا بأس بها وخطه حسن ، ليس من المعقول أن تقع منه هفوات في كتابة كلمات لا تصعب كتابتها على من لديه أقل إلمام بقواعد الإملاء .

ويجد القارئ نماذج لخط الفاخري الحسن في هوامش نسخة المتحف البريطاني في طرة الكتاب وفوق الورقة (١٨٨) حيث أضاف على حواث سنة ١٢١٥ ما هذا نصه :

• ELPAKURI •

C.R. : 1699

عبد الله محمد الفاخري

شارع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الرياض - المملكة العربية السعودية

Abdulla Mohammed El-Fakhri

**Shaikh Mohammed Abdulwahhab Street
RIYADH - Saudi Arabia**

الضوابط العرفية :

(الفاخوى)

انفراد وبيع مکان
والان زراعت

۱۶۹۸ : ۵۰۰

تلیفون :

Date _____ 19____

التاريخ ١٤٤١ هـ ١٣٨٠

صفة لكم فضيلة الشئ من جبار استمد
 بعد لقي والوصف ان يروى لكم ودام لهم والرفاهية
 لقد بلغنا انكم ستمتدونه بل اني جذا حبه من عظمي
 واني اتون في انفسكم باسمي وكم عظمي عظمي
 لم يورثكم النبي راجيه انه كمل ما كمل بالاجام والحق فيه نبوي
 فدمه العلم ودمه الشفاعة ودمه عظمي عظمي
 هذا وكم عظمي عظمي الشئ من جبار استمد
 اركيته التي عظمي عظمي ودمه الشفاعة ودمه عظمي عظمي
 وكم عظمي عظمي ودمه الشفاعة ودمه عظمي عظمي

(قسم من كتاب أحد أحفاد الفاخوري عن تاريخ جدّهم)

رحلة التيمي التونسي إلى الحج

- ٤ -

ونسير مع الشيخ التيمي التونسي — سيراً يعزّ في النَّفس ويؤلِّمها ما اتَّصف به ذلك العصر وذلك المجتمع الإسلامي من جمود فِكْرِيٍّ ، وهيمنة للبدع والخرافات على كثير من عقول المنتسبين إلى العلم ، في البلاد الإسلامية ، ومنها المدينتان الكريمتان ، مكة والمدينة . ولكن ذلك جُزْءٌ من تاريخنا ، لا بُدَّ من تسجيله على عِلاته وعلى عِلَّله .

وذكر اجتماعه — في المدينة بأحد زملائه في الدراسة في تونس على المفتي حسن بن حسين ، وكان هذا الزميل قدم تلك الأيام إلى المدينة ، بقصد المجاورة ، وسكن المدرسة التي أنشأها الخير الحاج عبد الرحمن المغربي ، أصله من القيروان ، وكان فقيراً جداً . فجاء إلى المدينة ، وجاور مدة ثَيفٍ وثلاثين سنة ، ذكر أنه دخل المدينة ، ولا يملك إلا ثلاثة قروش ، وتوكل على الله و(٠٠٠.٠٠٠) ^(١) فلحقته العناية وصار من أكبر المثرئين بالمدينة ، وله دارٌ حسنة جداً ، وعلوي ، وآخر فوقه ، مكسوٌّ بأرفع الكساوي . ووجدنا عنده « الإحياء » للغزالي ، يطالع فيه الناس بحضرتِهِ ، ويفهم فهماً جيّداً ،

(وفي هذه السنة — وهي الخامسة عشر توفي عبدالله بن عثمان بن بشر ، وهو والد الشيخ عثمان مؤلف هذا الكتاب وغيره .

وفيا أيضاً توفي أمير قرايا سُدير بأجمعها ، استعمله عليها عبد العزيز — رحمها الله — فبقي فيها نحو خمس وعشرون سنة وكان — رحمه الله — عاقلاً فظناً انتهى كتبه محمد بن عمر الفاخري) .

رحلة التيمي التونسي إلى الحج

- ٤ -

ونسير مع الشيخ التيمي التونسي — سيراً يعزّ في النَّفس ويؤلِّمها ما اتَّصف به ذلك العصر وذلك المجتمع الإسلامي من جمود فِكْرِيٍّ ، وهيمنة للبدع والخرافات على كثير من عقول المنتسبين إلى العلم ، في البلاد الإسلامية ، ومنها المدينتان الكريمتان ، مكة والمدينة . ولكن ذلك جُزْءٌ من تاريخنا ، لا بُدَّ من تسجيله على عِلاته وعلى عِلَّله .

وذكر اجتماعه — في المدينة بأحد زملائه في الدراسة في تونس على المفتي حسن بن حسين ، وكان هذا الزميل قدم تلك الأيام إلى المدينة ، بقصد المجاورة ، وسكن المدرسة التي أنشأها الخير الحاج عبد الرحمن المغربي ، أصله من القيروان ، وكان فقيراً جداً . فجاء إلى المدينة ، وجاور مدة ثَيفٍ وثلاثين سنة ، ذكر أنه دخل المدينة ، ولا يملك إلا ثلاثة قروش ، وتوكل على الله و(٠٠٠.٠٠٠) ^(١) فلحقته العناية وصار من أكبر المثرئين بالمدينة ، وله دارٌ حسنة جداً ، وعلوي ، وآخر فوقه ، مكسوٌّ بأرفع الكساوي . ووجدنا عنده « الإحياء » للغزالي ، يطالع فيه الناس بحضرتِهِ ، ويفهم فهماً جيّداً ،

(وفي هذه السنة — وهي الخامسة عشر توفي عبدالله بن عثمان بن بشر ، وهو والد الشيخ عثمان مؤلف هذا الكتاب وغيره .

وفيا أيضاً توفي أمير قرايا سُدير بأجمعها ، استعمله عليها عبد العزيز — رحمها الله — فبقي فيها نحو خمس وعشرون سنة وكان — رحمه الله — عاقلاً فظناً انتهى كتبه محمد بن عمر الفاخري) .

وأنشأ هذه المدرسة العظيمة لفقراء الطلبة ، وقد تمّ بناؤها ، وهو الآن يُحسّنها
يزيد (الجبار) و(اللغوان) ؟

وجمعنا الحاج مولاي بالشيخ الحبيب بن محمد الحبيب الدريوي ، من عمل
تونس ، كان قرأ على الشيخ سيدي حسين بن حسين ، وجاور بالمدينة ، لمدة خمسة عشر
عاماً وهو من العلماء .

كما اجتمعنا بالسيد أحمد الشامي بن القاسم المسعودي ، نسبة إلى عبدالله بن مسعود
الصحابي الشهير ، ويتسب إلى هذيل ، فرح بنا ، ورأيتنا منه بشاشة ، وملازمة لنا ،
وذكر أنه كان اجتمع بوالدي ، والشيخ سيدي (لحمد صداني ؟) وأثنى عليها خيراً وأنه
هاجر لمدة تزيد على خمسة عشر عاماً .

كما اجتمعنا بالفاضل سيدي محمد الطيب بن محمد العقبلي ، فوجدناه رجلاً ذا
أخلاق طيبة .

كما اجتمعنا بجماعة من أولاد التارزي ، ابن عزوز المبدري (؟) أصله من الجزائر ،
هاجر لقطه ، ولما احتلّ (الفرانيس) تونس وأعمالها هاجر بأبنائه وأحفاده للمدينة
المنورة ، إلى أن توفي بها ، وترك أولاده الشيخ مصطفى ، والشيخ عبد الكريم ، والشيخ
الطيب وحفيده العالم أحمد الأمين ، فقرحوا بنا ، وأكرمونا ، واستضافنا الشيخ أحمد
الأمين ، عشية الخميس ٦ محرم .

واجتمع معنا الشيخ مصطفى حبش ، شيخ الطريقة الشاذلية^(٢) وهو رجل مُسِينٌ ،
عليه سِمَا الخير والصلاح .

وكنّا حضرنّا بدرس العالم الشيخ حسين أحمد الهندي الحنفي ، وهو مدرّس بالمسجد
النبوي ، فوجدناه يُقرئ « صحيح مُسلم » في حديث البسمة في الصلاة ، وقراءة المأموم
مع الإمام ، وأدلة الأئمة في ذلك ، وقراءته برياضة تامّة ، يسرد التلميذ الحديث ،
فَيُفسّره ، ويبيّن مدرّك (؟) الأئمة الأربعة . وسألنا منه الدعاء ، فدعا لنا بما نرجو من الله
قبوله .

وفي ليلة الجمعة بين العشاءين حضرنا درساً للشيخ يعقوب ميزر زاده (؟) الحنفي ، وجدناه يقرئ « الجواهر المنظم »^(٣) في زيارة القبر الشريف المكرم في مبحث التفصيل بين المدينة ومكة ، وما للعلماء من خلاف في ذلك ، واستدلّ للمذهب كل ، وأيدَ مذهبَ الإمام مالك رضي الله عنه في تفضيل المدينة على مكة ، وأثنى على الإمام مالك رضي الله عنه ، وذكر أن الإمام الأعظم — رضي الله عنه — لمّا جاء للمدينة ، وقف عند حدِّ المسجد الأصلي ، ولم يدخل المواجهة ، تأدّباً ، وأنه وجدَ الإمام مالكا يقرئ درساً عند مواجهة الحضرة النبوية ، وألقى الإمام مالك سؤالاً على بعض تلامذته ، فلقّن أبو حنيفة الجواب للتلميذ — فأجاب التلميذ مالكا — فقال له : إن هذا لا يصدر إلا من أبي حنيفة — رضي الله عنه — وسأله من أعلمه ؟ فأشار إلى الإمام أبي حنيفة ، فلمّا تعارفا ، سلما على بعضهما ، وقال الإمام الأعظم لمالك : لم لم تهج ؟ فأجابه الإمام : إنه يخشى أن يموت خارج المدينة . فقال له الإمام الأعظم : فإن استأذنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم أتذهب للحج ؟ فقال : حتّى أسمع الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعدّني بالرجوع سالماً .

فواجه به الحضرة النبوية — على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيّة ، وقال له : يا رسول الله إن مالكا يقول كذا . فسمع الإذن من داخل الروضة الشريفة ، والوعد بالرجوع سالماً^(٤) .

والرجل المذكور ليس له عارضة في العلم ، وإنما يغلب عليه القصة والأخبار وحكايات الصالحين .

وكنّت في ليلة الأربعاء الخامسة من محرم ، اجتمعت بالشيخ أحمد خليل ، نائب الأئمة الشافعية في الحرم الشريف ، وهو رجل مُسِنٌّ ، عاجزٌ ، عليه سبب الخير ، وله نصيب من العلم ، ودعا لنا بخير ، واجتمعت بمجلسه بجماعة ، منهم ابنه الشيخ محمد ، وهو الآن نائب الأئمة ، والشيخ أبي بكر عبد الحفيظ ، من أئمة المالكية بالحرم ، وبالشيخ عبد الحي أبو خضير ، من مدرسي الشافعية بالحرم ، والشيخ طاهر أفندي من كتبة الخزانة الجليلة بالحرم .

وفي يوم الجمعة سابع محرم ، اجتمعتُ بأناسٍ من أهل فاس ، منهم السيد عبد الرحمن بن زيدان ، نقيب السادات الأشراف العلوية ، بمكناس ، قرأ علينا قصيدة نبوية ، أنشأها بالطريق ، لينشدها بين يدي سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم^(٥) .
ومنهـم السيد المكي بن إبراهيم الوزاني ، من ذرية مولاي التهامي وهو إنسانٌ خير صالح ، صاحب مكاشفات ، وله . في طريق القوم نصيب وافر^(٦) . ومنهم ابنه السيد محمد ، ومنهم السيد عبد الكبير بن مولاي الماحي الصقلي الحسيني من سكان فاس . وكلهم جمعنا بهم بمحل نزولهم الشيخ سيدي عمر حمدان ، ودعوا لنا بما أرجو الله قبوله .

وبعد صلاة الجمعة بالحرم قابلَ بنا الشيخ سيدي عمر حمدان — العلامة النحرير ، الصدر الشهير ، الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني القاسي ، وهو من العلماء الأجلة ، الذين هاجروا سالفاً للمدينة المتورة ، فرأينا على الرجل مهابةً وجلالاً ، وحسن سمْتٍ ، وتبحُّر في العلم . بلغنا أنه يقول بتحريم الدخان ، وكان الشيخ عمر حمدان من تلامذته .

وفي يوم السبت الثامن من محرم ذهبَ أنا والشيخ سيدي عمر حمدان ، للعلامة العارف برَّبِّه ، الشيخ سيدي أحمد الشمس ، تلميذ الشيخ سيدي ماء العينين ، الشريف ، الشهير بالمغرب ، فزرنَاهُ بدارِهِ ، وهو رجل مجاور بالمدينة ، لمدة ثلاثة أعوام ، عام التالي (٩) فرأينا عليه مهابةً وجلالةً ، وكرم نفسٍ ، يتكلم في الحقائق بأنواع الرقائق ، وحضر بمجلسه جماعة من الفضلاء ، منهم الشيخ سيدي محمد الافريقي (٩) والشيخ سيدي محمد المكي ابني العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني القاسي ، العالم الشهير الذي اجتمعنا به أمس ، والسيد محمد الشريف بن محمد البزرتي (٩) الزواوي ، من المجاورين ، حيث ذكروا الشيخ العالم الشيخ محمد العمري الجزائري ، المجاور لنحو ثلاثين عاماً وأخبرنا أنه اطلع على منظومة لابن المناصف (٩) تحتوي على أربعة عشر ألف بيت ، سماها « الدرة السنية » ، في المعالم السنية ، تكلم فيها على عقائد التوحيد ، وأبواب الفقه ، وآداب صوفية ، كما أخبرنا أنه يوجد بمكتبة شيخ الإسلام « موطأ أبي الخضر » (٩) القاسي ، عن ابن القاسم الرعيني (٩) .

وأكرمنا الشيخ بمجلسه ، وأطعمنا ، وفرح بنا ، ودَعَا لنا بخير وفي ليلة السبت — قبله — اجتمعت بالعالم الشيخ عمر بن مصطفى على طه (٩) أحد مدرسي الحرم الشريف ، فاقد البصر ، حافظ أديب ، وجدته يقرئ الحديث بالحرم ، بين المغرب والعشاء ، ودرسه حافل ، يستشهد بالقرآن ، وأبيات مأثورة للعلماء ، وأصله من الشام من دمشق ، أتى به والده صغيراً ، وتعلم العلم ، وعليه سبيل الخير والصلاح .

وقد سمعت بديوان يسمى « الدر المنظوم » لذوي العقول والفهوم » تأليف (....) ... الحبيب ، عبدالله بن علوي الحداد^(٧) ، وما اشتمل عليه من القصائد النبوية ، والتكلم في الحقائق ، فاشتاق النفس اليه ، وسمع الشيخ محمد المذكور ، وأنا بحث عليه فلم أجده ، فأهداه لي الشيخ المذكور ، جزاه الله خيراً .

وقد سمعت منه يَتَيْن على لسان الصديق رضي الله عنه ، وهو أنه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فزاره الصديق رضي الله عنه ، فرض ، فعوفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وزار الصديق فشفي ، وهذان البيتان :

مَرَضَ الْحَبِيبُ فَزُرْتُهُ فَمَرَضْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَيْهِ
وَشُفِي الْحَبِيبُ فَزَارَنِي فَشُفِيَتْ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

وفي يوم السبت المذكور اجتمعت بالعالم التحرير المهاجر للمدينة ، سيدي حمدان بن الويسي القسطيني ، وذلك بالحرم الشريف ، ودَعَا لي بما أرجو من الله قبوله ، وهو رجل أشيب ، يظهر عليه سبيل الصلاح والعلم .

وفيهما استدعانا السيد مصطفى بن الشيخ التارزي للعشاء ، فتعشينا عنده ، ورحب بنا كثيراً جزاه الله خيراً .

وفي يوم الأحد استدعانا الشيخ سيدي عمر حمدان لداره ، وحضر بمجلسه جماعة من الفضلاء منهم (.....) يوسف النبهاني ، وتذاكرنا في أهل البيت المطهر ، ومحبتهم فقال : إن هذا اتفق عليه الناس ، ولم يخالف أحد في فضلهم حتى التصاري وأنشد لنا بيتين لنصراني ، وهو ابن حنين النصراني ، وكتب ذلك بخطه ، وهما :

يَقُولُونَ : مَا بَالُ النَّصَارَى تُحِبُّهُمْ وَأَهْلُ الثَّغَى مِنْ أَعْرَبٍ وَأَعَاجِمٍ ؟

فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي لِأَحْسِبُ جِهَهُمْ سَرَى فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ حَتَّى الْبَهَائِمِ^(٨)

وحضر المجلس أيضاً الشيخ سيدي محمد بن أحمد ، أصله من السوس الأقصى المكناسي داراً ومنشأً ، وهو مدرس بمكناس ، فوجدناه عالماً نبيلاً ، يستحضر لمسائل « المختصر الخليلي » ويستدل على ذلك بمن المختصر ، وهو رجل ذو تواضع وكلمات ، وأكرم الشيخ الجماعة غابة ، وحضر لمجلسه نحو الخمسة عشر رجلاً ، وبش في وجوهنا ، ورأيت عليه من السرور ما لا يحصى ، وكان حضر بمجلسه قبل ذلك الشيخ عبدالله من عين^(٩) مفتي نجد ، وجرّت مذاكرة بيننا في الفرق الضالة ، فذكر أنه كاد أن لا يوجد سنيّ بنجد^(٩) ، ودارت بيننا كؤوس الأدب ، فذكر لنا بيتين للشيخ عبد الجليل برادة في الشاهي وهما :

أَرَى كُلَّ مَا تَحْوِي مَجَالِسُ أُتْسِنَا جُنُوداً لِدَفْعِ الْهَمِّ سُلْطَانَهَا الشَّاهِي
وَلَا عَجَبٌ أَنَّ لَا تَتِمُّ بِدُونِهِ وَمَا تَمَّ لِلْأَجْنَادِ أَمْرٌ بِلَا (شاهي)

وله بيتان في القهوة :

رُبَّ سَوْدَاءَ فِي الْكُوُوسِ تَبَدَّتْ تَهَبُ الرُّوحَ نَفْحَةً فِي الْحَيَاةِ
فَإِذَا ذُقْتُهَا تَحَقَّقَتْ مِنْهَا أَنَّ مَاءَ الْحَيَاةِ فِي الظُّلُمَاتِ

وأنشدني لعلي بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين الباجي :

رَأَيْتُ لِي عَوْدِي إِذْ عَايَنُونِي وَسُحِبُ الدَّمْعَ فِي مِثْلِ الْعُيُونِ
وَرَأَمُوا كَحُلِّ عَيْنِي فَقُلْتُ كَفُّوا فَاصِلُ بِلَيْتِي كَحُلِّ الْعُيُونِ

وأنشدني بعضهم :

إِذَا كُنْتَ لِلآدَابِ دَوْمًا مُرَاعِيًا وَلَمْ تَكُ مِنْ حُسْنِ الْمَوَدَّةِ عَارِيًا
مَلَكْتَ قُلُوبَ النَّاسِ طَرًّا وَسُدَّتْهُمْ وَبَتْ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْهَمِّ خَالِيًا

(للكلام صلة)

الحواشي : —

(الْوَقْبَا) غير (قُبّة)

... قرأت في كتاب «بلاد القصيم» تأليف الشيخ محمد العبودي في كلامه على قُبّة هجرة القمر ، — ج ٥ ص ١٩٢٢ — ما نصّه : (ثم رأيتُ الإمام لغدة الأصفهانيّ ذكر ما قد يشير إلى أنّ اسمها القديم كان الوقْبى ، وإن كان الاسم يطلق على أماكن أخرى) ثم أورد كلاماً طويلاً.

وأجبُّ أن أوضح لكم أن هذا القول خطأ ، فالوقبا من مياه الظفير — من الطوال ولا تزال معروفة ، ولا نعرف ما يُسمّى بهذا الاسم غيرها .

الحواشي :

- (١) كَلَامَات في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لا تجوز شرعاً .
- (٢) من الطرق المبتدعة ، والطريقة المثلّية طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيههم بإحسان .
- (٣) كتاب «الجمهور المنظم» لابن حجر المكيّ يحوي آراء لا يُقرأها علماء السلف ، كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الله بن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمهم الله — في رسالته التي كتبها إلى أهل مكة المكرمة وهي في كتاب «الهدية السنية» .
- (٤) هذه قصة خرافية الغاية من إيرادها إدراك ما عليه أهل ذلك العصر من السّذاجة حتى تنظلي عليهم مثل هذه الخرافة . والإمامان مالك وأبو حنيفة مبرّهان منها . وهما أجلُّ من أن يقع منهما ما نسب إليهما فيها . ومالك أتقى الله أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ميتٌ . والدعاء عبادة لا يصرف إلا لله وحده .
- (٥) إنشاد الشعر أمام الضريح الشريف من البدع . والمشروع السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه بالطريقة الواردة عن السلف الصالح .
- (٦) يقصد أصحاب الطرق . وكلها باطلة إلا ما وافق طريقة السلف الصالح .
- (٧) الحدّاد من المخرفين . ودويوانه هذا مشحون بالمغالاة في مدح الرسول . هو ممن عادي الدعوة الإصلاحية فردّ عليه الشيخ سليمان بن سحان رحمه الله بكتاب «الأسنة الحدّاد» في الرد على الحدّاد .
- (٨) التّباني معروف بعدائه للدعوة السلفية . ومغالاته . في مدح الرسول إلى درجة دعائه والاستغاثة به ، ولهذا لا يقبل ولا يوثق به أما لبيت الرسول صلى الله عليه وسلم فصالح العمل منهم يجب أن يكون محبواً . وفاسده كآني لم يجب بُغضه . وآل الرسول المحبوبون أتباع سنّته وشرعه .
- (٩) هذا الذي وصفه بأنه مفتي نجد نكرة مجهولة . وجُلُّ أهل نجد على مذهب أهل السنة والجماعة ، بخلاف ما ذكره هذا الذي إن صحَّ النقل عنه فهو ذو دخل في عقيدته .

(الْوَقْبَا) غير (قُبّة)

... قرأت في كتاب «بلاد القصيم» تأليف الشيخ محمد العبودي في كلامه على قُبّة هجرة القمر ، — ج ٥ ص ١٩٢٢ — ما نصّه : (ثم رأيتُ الإمام لغدة الأصفهانيّ ذكر ما قد يشير إلى أنّ اسمها القديم كان الوقْبى ، وإن كان الاسم يطلق على أماكن أخرى) ثم أورد كلاماً طويلاً.

وأجبُ أن أوضح لكم أن هذا القول خطأ ، فالوقبا من مياه الظفير — من الطوال ولا تزال معروفة ، ولا نعرف ما يُسمّى بهذا الاسم غيرها .

الحواشي :

- (١) كَلَامَات في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لا تجوز شرعاً .
- (٢) من الطرق المبتدعة ، والطريقة المثلّية طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيههم بإحسان .
- (٣) كتاب «الجمهور المنظم» لابن حجر المكيّ يحوي آراء لا يُقرّها علماء السلف ، كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الله بن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمهم الله — في رسالته التي كتبها إلى أهل مكة المكرمة وهي في كتاب «الهدية السنية» .
- (٤) هذه قصة خرافية الغاية من إيرادها إدراك ما عليه أهل ذلك العصر من السّذاجة حتى تنظلي عليهم مثل هذه الخرافة . والإمامان مالك وأبو حنيفة مبرّهان منها . وهما أجلّ من أن يقع منهما ما نسب إليهما فيها . ومالك أتقى الله أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ميتٌ . والدعاء عبادة لا يصرف إلا لله وحده .
- (٥) إنشاد الشعر أمام الضريح الشريف من البدع . والمشروع السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه بالطريقة الواردة عن السلف الصالح .
- (٦) يقصد أصحاب الطرق . وكلها باطلة إلا ما وافق طريقة السلف الصالح .
- (٧) الحدّاد من المخرفين . ودويوانه هذا مشحون بالمغالاة في مدح الرسول . هو ممن عادي الدعوة الإصلاحية فردّ عليه الشيخ سليمان بن سحان رحمه الله بكتاب «الأسنة الحدّاد» في الرد على الحدّاد .
- (٨) التّباني معروف بعدائه للدعوة السلفية . ومغالاته . في مدح الرسول إلى درجة دعائه والاستغاثة به ، ولهذا لا يقبل ولا يؤثّر به أما لبيت الرسول صلى الله عليه وسلم فصالح العمل منهم يجب أن يكون محبواً . وفاسده كآني لم يجب بُغضه . وآل الرسول المحبوبون أتباع سنّته وشرعه .
- (٩) هذا الذي وصفه بأنه مفتي نجد نكرة مجهولة . وجُلّ أهل نجد على مذهب أهل السنة والجماعة ، بخلاف ما ذكره هذا الذي إن صحّ النقل عنه فهو ذو دخل في عقيدته .

أما قبة فهي هجرة بني علي قوم عبد المحسن الفرم معروفة عند كل العرب .. فكيف يقع الخلط في كتاب أشرف عليه .. حمد الجاسر.

حفر الباطن — الحرس — سعد الظفيري

العرب : الأخ الشيخ العبودي استدلل بقول لُغْدَة الأصفهاني في ذكر مياه بني مالك بن جندب : (فلهم ينسوعة والوقبا وهي ماء قرية من النُسوعة في مَهَبُ الشمال منها عن يمين المُصْعَد) قاتلاً بعده عن النيسوعة (تسمى الآن بَرِيكة الأجردي ، وهي تابعة لقبة ، وقرية منها) .

وفات الأخ الشيخ العبودي أن قبة لا تقع في مَهَبُ الشمال من بركة الأجردي (النيسوعة) بل تقع غَرَبَها بميل نحو الشمال ، فقبة تقع على خط الطول ٤٤/١٨ ، وبريكة الأجردي تقع على خط الطول ٤٤/٤٥ ، والوقبا على خط الطول ٤٥/٣٠ .

والقول بأن اسم الوقبا يطلق على أماكن أخرى غيرها لا أعرف أصله ، كما أنني لم أر فيما اطلعت عليه من النصوص القديمة ما يفهم من أن هناك من المواضع ما يسمى بالوقبا غير الوقبا التي ذكر الأخ ولا تزال معروفة وهضبات في حِمى ضربة — إذا صح نص المهجري ولم يكن مُحَرَّفًا ، وقد تحدّث عن الوقبا في قسم (شمال المملكة) ^(١) من «المعجم الجغرافي» كما تحدّثت عن قبة ، وأوردت كلام ياقوت عن (فرغ القبة) . وها هو نص ما ذكرتُ عن الموضوعين :

قبة : — بضم القاف بعدها باء موحدة مفتوحة مخففة وآخره هاء : — من أشهر الهُجَر ، وأكثرها سكاناً وقدر الريحاني سكانها بـ ٢٠٠٠ — وذلك قبل خمسين عاماً ، وهي من بلاد قبيلة حرب ، وغلط ابن دُخيل فعلها في ديار الأسلم . وتكتب خطأ (قبا) و(قبا) .

ولم أر لهذا الاسم ذكراً في المؤلفات القديمة . سوى ما جاء في «معجم البلدان» : فرغ القبة وفرغ الحفر : بلدان لقيم بين الشقيق وأود وجفاف ، وفيها ذئاب تأكل الناس انتهى .

وقبة تقع شرق الشقيق ، وأود في جهات الحزن ، وجفاف هنا — بالجيم — بقرب
الثلعية وما جاء في «المعجم» ينطبق على قبة هذه .

وتقع قبة في الطرف الجنوبي الغربي من صحراء التيسبة التي هي من الحزن ، الواقعة
في الدهناء ، ويقع عرق المظهر أحد جبال الدهناء جنوب غرب قبة ، يخترقه الطريق
منها إلى القصيم .

(قبة بقرب درجة الطول ١٨/٤٤ ودرجة العرض ٢٨/٢٧) وتبعد عن مدينة حائل
بما يقارب ٣٥٠ (ثلاث مئة وخمسين كيلاً) ^(١) .

الوقبا : ^(٢) يفتح أوله وثانيه — والوقب في اللغة : كلُّ قَلْبٍ أو حفرة في صخر ،
وله معانٍ أخر — قال أبو الغول الطهوي — إسلامي ^(٣) : —

هُمْ أَحْمُوا حِمَى الْوَقْبَا بِضَرْبِ يُؤْلَفُ بَيْنَ أَشْجَاتِ الْمُنُونِ
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
فَدَلَّتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقْتُ فِيهِمْ ظُنُونِي
فَوَارِسَ لَا يَمْلُونُ الْمَسَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَا الْحَرْبِ الزُّبُونِ
وقال ابنُ مخفَضٍ المازني (واسمه حرث يخاطب بكر بن وائل) ^(٤) .

إِنْ تَكُ دِرْعِي يَوْمَ صَحْرَاءَ كُلِّيَّةٍ أَصْنَبَتْ فَمَا ذَاكُمْ عَلَيَّ بِعَارِ
أَلَمْ تَكُ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَاكُمْ عَلَى وَقْبَا يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ

وفي كتاب «بلاد العرب» ^(٥) : وأما بنو مالك بن جندب (بن العنبر) فلهم
الينسوعة والوقبا ، وهي ماء قريبة من الينسوعة في مَهَبِّ الشمال منها ، عن يمين
المصعد . انتهى .

وفي كتاب «المناسك» ^(٦) : ولأهل البصرة إلى المدينة طريقان : أحدهما لم يركب
مِنْدُ دَهْرٍ ، للخوف ، وكانت تسلك ، ما بين الشَّحِيحِ والرَّحِيلِ يسند في القفر ، ثم يؤخذ
في الحزن ، على مياه كانت متصلة ، منها الوقبا لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ،
لهم فيها حصن ، وكانت بها وقائع مشهورة . ذلك ما يقول الراجز :

يَا وَقَبَا كَمْ فِيكَ مِنْ قَتِيلٍ قَدْ مَاتَ ، أَوْدِي رَمَيَّ قَلِيلٍ
وَشَجَّةٌ تُسَبَّرُ بِالْفَتِيلِ يَفْصِلُ فِي أَحْثَاهَا بِالْمِيلِ

ثم نقل عن أبي عبيدة أن الفرزدق بلغه عن رجل من أهل الوقبا شيئا كرهه ، فأراد
هيجاءهم فكلّم ، فأعرض عنه فأنشد يقول في شعره ^(١) :

لَقَدْ خِفْتُ لَوْلَا الْجِلْمُ ثَوْرِي حَفِظَنِي عَلَى الْوَقْبَا يَوْمًا مَقَالَةً دَبَسَمَ

وفي كتاب نصر : الوقبا : مائة قرية من النيسوعة في مهبّ الشمال منها ، عن يمين
المصعد . انتهى وهو يقصد المصعد مع الطريق البصري ، أما الطريق الكوفي فعن
يساره .

وقد أورد في «معجم البلدان» القول من (وهي لبني مازن) إلى (تسبر بالقتيل) عن
السكوني ، وزاد عنه : والوقبا من الضجوع على ثلاثة أميال ، والضجوع من السلطان
على ثلاثة أميال انتهى ، ولكن المسافة بين السلطان والوقبا أطول مما ذكر . وذكر أنه كان
للعب بها أيام بين مازن وبكر .

والوقبا — أيضاً — : هضبات في جَمِي صَبْرِيَّة على ما ذكر المعجري . وليس لها شهرة
الوقبا الأولى التي هي من أشهر المناهل في شرق الجزيرة ولا تزال معروفة عند التقاء
الحدود (بقرب الدرجة ٢٨/٤٨ عرضاً و ٥٠/٣٠ طولاً) ^(٢)

وكلمة عَثَب أوجَّهها للأخ الظفيري السائل :

(١) : كان الأجدر به أن يوجَّه اللوم إلى مَنْ وقع منه عدم التفريق بين الموضعين لا
إليّ وحدي ، وإن كنتُ شريكاً له ، ولكنني لم أقرأ الجزء الذي وقع فيه الخلط قبل
الطبع ، ولم أظلمه إلا بعد وصول رسالة الأخ .

(٢) : لا داعي للاستدلال بكلام فؤاد حمزة عن الظفير على جهل المثقفين في
عصرنا بهذه القبيلة ومنازلها ، فأنا من أول من نبّه فؤاداً على ما وقع فيه من الخطأ ،
فاستدرك ذلك في آخر كتابه «قلب جزيرة العرب» .

ومع كل ما تقدم فللسائل العاتب حقُّ الإرضاء ، والسلام عليه ورحمة الله .

أُسْرُ بَنِي تَمِيمٍ فِي مَنْطِقَةِ حَائِلٍ

حول عزمكم على القيام بعمل معجم لقبائل المملكة العربية السعودية ، ويسرني أن أقدم هذه المشاركة علّها تساعدكم فيما ترمون إليه .

ومشاركتي عن قبيلة بني تميم بمنطقة حائل ، والتي هي قبيلتي .

١ — تشكل نسبة بني تميم في منطقة حائل نسبة مرتفعة بين قبائل المنطقة . ولعلّ بني تميم القاطنين في منطقة حائل أقرب إلى البداوة من غيرهم من بني تميم ساكني المناطق الأخرى ، بسبب كون المنطقة بدويّة ، وإن كانت جميع الفروع التميمية حضريّة ولا شك أن بني تميم هم حاضرة منطقة حائل .

٢ — ينتمي بني تميم في منطقة حائل إلى فرع واحد من الفروع التميميّة هو فرع بني عمرو ، وهناك فئة قليلة تنتمي إلى بني سعد ، وإلى الوهبة .

(حواشي مقال (الوقبا)

- (١) : ص ١٠٦٩ / ١٠٧٠ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ .
- (٢) آثرت كتابة الاسم بالألف كما ينطق ، صوتاً للسان عن الخطأ فيه ، وقواعد الإملاء وسيلة لصحة النطق ، وليست غاية في ذاتها .
- (٣) الحيوان ٣ — ١٠٧ و ٦٠ و ٢٤٦ و معجم البلدان : الوقبا .
- (٤) الحيوان ٣٠ — ٧٨ .
- (٥) : ٢٥٠ .
- (٦) : ص ٦٠٤ .
- (٧) : أنظر مجلة العرب ٨٥٨ ص ٦ .

أُسْرُ بنِي تَمِيمٍ في منطقة حائل

حول عزمكم على القيام بعمل معجم لقبائل المملكة العربية السعودية ، ويسرني أن أقدم هذه المشاركة علّها تساعدكم فيما ترمون إليه .

ومشاركتي عن قبيلة بني تميم بمنطقة حائل ، والتي هي قبيلتي .

١ — تشكل نسبة بني تميم في منطقة حائل نسبة مرتفعة بين قبائل المنطقة . ولعلّ بني تميم القاطنين في منطقة حائل أقرب إلى البداوة من غيرهم من بني تميم ساكني المناطق الأخرى ، بسبب كون المنطقة بدوية ، وإن كانت جميع الفروع التيممية حضرية ولا شك أن بني تميم هم حاضرة منطقة حائل .

٢ — ينتمي بني تميم في منطقة حائل إلى فرع واحد من الفروع التيممية هو فرع بني عمرو ، وهناك فئة قليلة تنتمي إلى بني سعد ، وإلى الوهبة .

(حواشي مقال (الوقبا)

- (١) : ص ١٠٦٩ / ١٠٧٠ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ .
- (٢) أثرت كتابة الاسم بالألف كما ينطق ، صوتاً للسان عن الخطأ فيه ، وتوابع الإملاء وسيلة لصحة النطق ، وليست غاية في ذاتها .
- (٣) الحيوان ٣ — ١٠٧ و ٦٠ و ٢٤٦ ومعجم البلدان : الوقبا .
- (٤) الحيوان ٣٠ — ٧٨ .
- (٥) : ٢٥٠ .
- (٦) : ص ٦٠٤ .
- (٧) : أنظر مجلة العرب ٨٥٨ ص ٦ .

٣ — تُعتبر بلدة قفار — الواقعة شرق جبل أجا — الموطن الأصلي لمعظم بني تميم في منطقة حائل ، وسكنى بني تميم للقرى المنتشرة في منطقة حائل في الجنوب ، والجنوب الشرقي منها إنما كان بعد ظهورهم من قفار ، بسبب الوباء الذي تعرضوا له في قفار ، والمشهور بجُمى قفار ، وبسبب الحروب التي حدثت بينهم ، وبالأخص ما حدث بين آل عبادات وآل مُفيد .

وأَجِبُ أَنْ أَقِفَ قَلِيلاً لِأَصْحَحَ كَلِمَةً وَرَدَتْ فِي كِتَابِ ضَارِي الْفُهَيْدِ بْنِ رَشِيدٍ « نَبذة عن تاريخ نجد » فقد ورد أن أحد حكام حائل التجأ إلى (حميد بن عياد) هكذا والصحيح أن اسمه حُمَيْرُ بْنُ عِيَادَةَ ، من العيادات من بني تميم يقول ابن رشيد : — يا حُمَيْرُ بْنُ عِيَادَةَ هِيَاثَ هِيَاثَ هِيَاثَ وَنِ سِيُوفَكُم وَنِ أَثَرَهَا وقد تَرَجَّحَ آلُ مُفِيدٍ عَنْ قَفَارٍ إِلَى جُفَيْفَا ، وَإِلَى السَّبْعَانَ يَقُولُ ابْنُ رَشِيدٍ :

وَبَغْرِي سَلَمَى لِلْمُفِيدَةِ مَحَلَّةٌ كَيْلٌ يَحْدُرُ مَرْزُقَةٌ مِنْ وَعَرَهَا
حيث تقع بلدة السبعان غربي سَلَمَى ، وكانت لآل طوالة من شمر فسكنها بنو تميم ، وبعد حرب بينهم وبين الأسلم وشيوخهم آل طوالة أَصْبَحَتْ خَالِصَةً لآل مُفِيدٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ .

٤ — هناك من غير بني عمرو ، المناقير من بني سعد من تميم ، ويسكنون الحِيفَنَ . وكذلك الشبارمة من الوُهَبَةِ وَهُمْ أَهْلُ سَمِيرَاءَ يَقُولُ ابْنُ رَشِيدٍ :

حِثْنَا غَدَبْنَا مِثْلَ رَاعِي سَمِيرَا اللَّيْ عَصَا يَدْيَارِكُم بِالْجَلَّاسَاتِ
والجلَّاسَاتُ مِنْ عَتْرَةِ .

ويقول شاعر الشبارمة في مناظرة بينه وبين آل جلعود من عَتْرَةِ : —

جَدِّي وَهَيْبٌ مِنْ مَعْرَبِينَ الْأَجْدَادِ الخ

وهناك آل صُقَيْهِ ، في حائل (المدينة) وفي جَبَّةٍ مِنْ الْقَرْيَةِ الشَّاهِلَةِ مِنَ الْوُهَبَةِ . وكذلك آل بكر عائلة كبيرة في حائل من الوهبة أيضاً .

[العرب] : آل بكر من آل سعيد من المزاريع من بني نعيم على ما ذكر ابن عيسى وغيره [.

فما عدا من ذكر فإن البقية كلهم من بني عمرو ، أحد الفروع الثمينة الكبيرة .
ومن بني عمرو : آل عيادة ، أهل قفار ، والمشار إليهم آنفاً ، وهؤلاء فنوا ولم يبقَ منهم إلا عائلة أو عائلتان بسبب ما أشرنا إليه سابقاً .

وغير آل عيادة نجد آل حميد وآل حماد ، ومنهم أهل قفار الآن . ومن أشهرهم آل خوير (بيت الإمارة) وآل سلامة وغيرهم .

وكذلك أهل قصر العشروات ، ومنهم القبالي (بيت الإمارة) وآل دُخَيْل وآل حرید وغيرهم ، هذا عدا من انتقل إلى البلاد التجديدية الأخرى وهذا مما لا يدخل في موضوعي هذا .

وغير آل عيادة وآل حميد وآل حماد نجد من بني عمرو ، آل مُعَيْد ، وآل حُمران ، فأما آل مُعَيْد فآشرنا إلى موطن سكنهم ومن أشهر أسرهم آل عثان في جُفَيْفًا ، وآل عثنان ، وآل إبراهيم ، وآل سليمان ، وآل فيصل ، وآل غربي ، وآل شايح في السُّهَاح ، وآل جَار الله في صَرْغَط .

أما الحمران فيقطنون المستجدة والروضة والحفن . والوسيطاء والغزاة ، والمهاش ، وقصير غصور ، والسليبي .

ومن أشهر أسرهم آل لُحَيْدَان ، في المُسْتَجْدَة والحفن ، وآل رُيَّعَان في المُسْتَجْدَة ، وآل مُلَيْحَان وآل شهيل وآل مَهْوس ، في الوُسيْطَاء ، وآل طَوِير وآل هَرِيش في السَّليبي .

٦ — هناك أسر تقطن مدينة حائل من بني نعيم ، وقد أسرنا إلى آل صقيه وآل بكر ، ونضيف هنا : آل فايز ، وآل جرّاد ، وهما أسرتان عَمْرِيَّتان ، الأولى يشغل معظم أفرادها بالتجارة ، وهم من النواصر ، من بني عمرو من نعيم جاؤا إلى حائل من الفرعة ، في الوشم ، وكانوا قبلها يسكنون بلدة قفار كثيرهم من النواصر من أهل قرى

دُومَةُ الْجَنْدَلِ

[أحد مباحث كتاب «بلاد الجوف» ، أو دُومَةُ الجندل ، تأليف الشيخ سعد بن جندل ، صدر حديثاً من منشورات (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر)]

دُومَةُ الْجَنْدَلِ :

دُومَةُ بضم أوله وسكون ثانيه ، وقال ياقوت بضم أوله وفتح هـ ، وأنكر ابن دريد الفتح وعدّه من أغلاط المحدثين ، وعدّها ابن الفقيه من أعمال المدينة . سمّيت بدوماء بن اسماعيل بن إبراهيم ، وقال ابن الكلبي : لما كثر ولد اسماعيل عليه السلام بتهامة خرج دُوماء بن اسماعيل حتى نزل موضع دُومَةَ وبني حصناً فقليل دُوماء ونسب الحصن إليه ، وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال ابن

الوشم إذ أصلهم من قَفَّار .

وأما أفراد الثانية فهم من أشهر الفلاحين الأوائل ، في منطقة حائل ، وهم من بني عمرو ، كما أشرنا ، ومن الأسر المعدودة في مدينة حائل ..

علي حمد الصالح

العرب : شكراً للأخ ، ومزيداً من هذه المعلومات ، وقد صدر لصاحب هذه المجلة كتابان عن الأنساب أحدهما «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» في جزءين ، وهذا عن القبائل التي لم تتحصّر جميع فروعها — والثاني «جمهرة أنساب الأسر المتحصّرة في نجد» في جزءين أيضاً ، وفيه ذكر للأسر القيّمة ، التي ذكرها الكاتب الكريم ، نقلاً عن كتاب للشاعر التميمي عبدالله بن علي بن صقيّه ، بعنوان «بنو تميم في بلاد الجبلين» صدر حديثاً ، وهو من منشورات (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) .

وتأمل «العرب» أن تتلقّى دائماً من الملاحظات والمعلومات ما تُثجّف به قراءها والله الموفق .

سعد : دُومة الجندل في غائط من الأرض خمسة فراسخ ، ومن قبل مغربه عين تثج فتسقي ما به من النخل والزرع ، وحصنها مارد . وسُميت دُومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل .

والواقع أن حصن مارد مبني بالجندل ، وكذلك مساكن الأحياء القديمة الملاصقة للحصن مبنية بالجندل المرصوص بعضه فوق بعض ، ومن بينها مسجد عمرو مؤذنته كلها مبنية بالجندل ، ومازال البعض من سكانها يبنون بيوتهم بالجندل على نمط مبانيها القديمة .

وقال ياقوت : دُومة من القريات ، والقريات : دُومة وسُكاكة وذو القارة ، فأما دُومة فعليها سور يُتحصَّن به ، وفي داخل السور حصن منع يقال له مارد ، وهو حصن أكيدر الملك ابن عبد الملك بن عبد الحمي بن أعيان بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أمانة بن سلمة بن سُكامة بن شبيب بن السكون ابن أشرس بن ثور بن عُفَيْر وهو كندة السكوني الكندي .

وتحدّث ياقوت عن فتح دُومة في الإسلام وذكر طرقاً مختلفة ثم قال : وأحسن : ما ورد في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في كتاب الفتوح له وأنا حاك جميع ما قاله على الوجه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة تسع إلى أكيدر بن عبد الملك بدُومة الجندل فأخذه أسيراً وقتل أخاه وقدم بأكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ديباج بالذهب ، فأسلم أكيدر وصالح النبي صلى الله عليه وسلم على أرضه وكتب له ولأهل دُومة كتاباً ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام ، ولأهل دُومة . إن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والخافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور ، لا تُعذّل سارحتكم ولا تُعدّ فاردتكم ولا يُخطر النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة لحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم به الصدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين . قيل الضاحي البارز ، والضحل الماء

القليل ، والبور الأرض التي لم تُستخرج ، والمعامي الأرض المجهولة ، والأغفال التي لا آثار فيها ، والحلقة الدروع ، والحافر الخيل والبراذين والبغال والحميز ، والحصن دُومَة الجندل ، والضامنة النخل الذي معهم في الحصن ، والمعين الظاهر من الماء الدائم ، وقوله : لا تُغْدَل سارحتكم أي لا يصدقها المُصَدِّق إلّا في مراعيها ومواضعها ولا يحشرها . وقوله : لا تُعَدّ فاردتكم أي لا تضم الفاردة إلى غيرها ثم يُصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة ، ثم عاد أكيدر إلى دومة .

فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أكيدر الصدقة وخرج من دومة الجندل ولحق بنواحي الحيرة وابتنى قرب عين القمر بناء وسماه دُومَة ، وأسلم حريث بن عبد الملك أخوه علي ما في يده فسلم له ذلك ، فقال سُوَيْد بن الكلبي :

فَلَا يَأْمَنَنَّ قَوْمٌ زَوَالَ جُدُودِهِمْ كَمَا زَالَ عَنْ خَبْتِ ظَلَائِنُ أَكْدَرَا

وتزوج يزيد بن معاوية ابنة حريث ، وقيل إن خالداً لما انصرف من العراق إلى الشام مرَّ بدُومَة الجندل التي غزاها أولاً بعينها وفتحها وقتل أكيدر . وأهل كتب الفتوح مجمعون على أن خالداً بن الوليد رضي الله عنه غزا دُومَة أيام أبي بكر رضي الله عنه ، عند كونه بالعراق في سنة ١٢ وقاتل أكيدر لأنه كان نقض وارتد .

وقد ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين علي ومعاوية كان بدُومَة الجندل ، وأكثر الرواة على أنه كان بأذُرْج ، وقد أكثر الشعراء في ذكر أذُرْج وأن التحكيم كان بها ، ولم يبلغني شيء من الشعر في دومة الجندل إلّا قول الأعور الشنّي وإن كان الوزن يستقيم بأذُرْج وهو هذا :

رضينا بحكم الله في كلّ موطن	وعمر وعبداً الله مختلفان
وليس بهادي أمة من ضلالة	بدُومَة ، شيخاً فتنة عَمِيان
بكت عين من يبكي ابن عفان بعدما	نفا ورق الفرقان كلّ مكان
نوى تاركاً للحقّ متبع الهوى	وأورث حزناً لاحقاً بطعان ^(١)
كلا الفتنين كان حياً وميتاً	يكادان لولا القتل يشتهان

وقال أعشى بني ضور من عترة :

أَبَاحَ لَنَا مَا بَيْنَ بُضْرَى وَدُومَةَ ، كَتَابَ مِنَّا يَلْبِسُونَ السُّنُورَا
إِذَا هُوَ سَامَانًا مِنَ النَّاسِ وَاحِدٌ لَهُ الْمَلِكُ خَلَا مَلِكُهُ وَتَقَطَّرَا
نَفَتْ مَضَرَ الْحَمْرَاءَ عَنَّا سَيُوفَنَا ، كَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ النَّهَارَ فَأَدْبَرَا
وَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْزَرِ يَذْكُرُ أَهْلَ الرَّدَةِ :

عَصَيْتُمْ ذَوِي الْبَابِكُمْ وَأَطَعْتُمَا ضُجَيْمًا ، وَأَمَرَ ابْنَ اللَّفِيطَةِ أَشَامًا
وَقَدْ يَمُمُوا جَيْشًا إِلَى أَرْضِ دُومَةَ فَقُبِحَ مِنْ وَفْدٍ وَمَا قَدْ تَيْمَمُوا
وَقَالَ الْبَكْرِيُّ : دُومَةُ الْجَنْدَلُ : بَضْمُ الدَّالِ ، وَهِيَ مَا بَيْنَ بَرْكِ الْغَادِ وَمَكَّةَ (٢) ،
قَالَ الْأَحْوَصُ :

فَمَا جَعَلْتُ مَا بَيْنَ مَكَّةَ نَاقِيٍّ إِلَى الْبَرْكِ إِلَّا نَوْمَةَ الْمُتَهَجِدِ
وَكَادَتْ قَبِيلَ الصَّبْحِ تَنْبِذُ رَحْلَهَا بِدُومَةَ مِنْ لَغَطِ الْقَطَا الْمُتَبَدِّدِ
وَقِيلَ أَيْضًا : إِنَّهَا مَا بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَةُ .

وَدُومَةُ هَذِهِ عَلَى عَشْرِ مَرَاكِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَعَشْرُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَثَمَانٌ مِنْ دِمَشْقَ ،
وَاثْنَتَا عَشْرَةَ مِنْ مِصْرَ ، وَسَمِيَتْ بِدُومَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَنْزِلُهَا ، وَيَدْلِكُ
أَنَّ دُومَةَ هَذِهِ مُتَّصِلَةٌ بِدُورِ بَنِي سُلَيْمٍ قَوْلُ الْكَلْبِيِّ :

مَنْ أَرَاهُنْ دُورَ بَنِي سُلَيْمٍ فَدُومَةُ فَلَا أَبَاطِحُ فَالْشَّافِئُ
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

طَوَاهُنَّ مَا بَيْنَ الْجَوَاءِ وَدُومَةَ وَرَكَبَانَهَا طِيَّ الْبُرُودِ مِنَ الْعَصْبِ
وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا إِلَى دُومَةَ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
عُوفٍ ، وَعَمَّمَهُ يَدَهُ ، وَقَالَ : أَغْدِ بِاسْمِ اللَّهِ ، فَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، تَقَاتِلْ مِنْ كَفَرِ
بِاللَّهِ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِي ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيَّ يَدِيكَ ، فَإِنْ فَتَحَ فَتَزَوِّجْ بِنْتَ مَلِكِهِمْ .
وَكَانَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حِصْنِ بْنِ ضَمْصَمٍ مَلِكَهُمْ فَفَتَحَهَا ،
وَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ تَامِرَ بْنَتِ الْأَصْبَغِ . فَهِيَ أَوَّلُ كَلْبِيَّةٍ تَزَوَّجَهَا قُرَشِيٌّ ، فَوُلِدَتْ لَهُ أَبَا سَلَمَةَ
الْفَقِيهِ ، وَهِيَ أُخْتُ التَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ لِأُمِّهِ .

وكان افتتاح دُومَة صلحاً ، وهي من بلاد الصلح التي أدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية ، وقال ابن سعد : غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دُومَة الجندل في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من مهاجره ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بدُومَة الجندل جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من أمرهم من الضافطة ، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، وهي طرف من أفواه الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستخلف على المدينة سباع بن عُرْقُطَة الغِفَارِي ، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين فكان يسير الليل ويكن النهار ، ومعه دليل له من بني عُذرة يقال له مذکور ، فلما دنا منهم إذا هم معزبون ، وإذا آثار النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دُومَة ففرقوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد بها أحداً فأقام بها أياماً وبث السرايا وفرقها فرجعت ولم تصب منهم أحداً ، وأخذ منهم رجل فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمتهم فعرض عليه الإسلام فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيداً لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر .

وقال ابن سعد أيضاً : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني سعيد بن مسلم بن قاذين عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف في سبعمائة إلى دُومَة الجندل وذلك في شعبان سنة ست من الهجرة ، ففقد عامته بيده ثم عممه بعمامة سوداء فأرعى بين كفيه منها ، فقدم دُومَة فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ثلاثاً ، ثم أسلم الأصبح بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً ، وكان رأسهم ، فبعث عبد الرحمن فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فكتب إليه أن تزوج تأخر بنت الأصبح ، فتزوجها عبد الرحمن وبني بها وأقبل بها ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن .

وقال ابن سعد أيضاً : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع سرية إلى أكيدر بن عبد الملك بدُومَة الجندل ، وبينها

وبين المدينة خمس عشرة ليلة — كان بعثه والنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك — وكان أكيدر من كتدة قد ملكهم ، وكان نصرانياً ، فأنهى إليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان ، فشددت عليه خيل خالد بن الوليد فاستأسر أكيدر وأمتنع أخوه حسان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معها ، فدخل الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل ، ففعل وصالحه على ألني بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ، فعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفياً خالصاً ثم قسم الغنيمة فأخرج الخمس ، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قسم ما بقي بين أصحابه ، فصار لكل رجل منهم خمس فرائض ، ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وبأخيه مصاد وكان في الحصن وبما صالحه عليه قافلاً إلى المدينة ، فقدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له هدية فصالحه على الجزية وحصن دمه ودم أخيه وخلي سبيلهما . وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بظفره .

قلت : ومما تقدم يتضح لنا أن دومة الجندل غُزيت في عهد رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ثلاث مرات ، المرة الأولى غزوة النبي صلى الله عليه وسلم في مطلع السنة الخامسة للهجرة ففر أهلها منها ووجدوها خالية منهم ، وأصاب من ماشيتهم ثم عاد إلى المدينة .

والمرة الثانية غزوة عبد الرحمن بن عوف حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها في السنة السادسة للهجرة فأسلم رئيسهم الأصمعي الكلبي وتزوج عبد الرحمن بن عوف ابنته وقدم بها معه إلى المدينة .

والمرة الثالثة غزوة خالد بن الوليد حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها من تبوك في السنة التاسعة للهجرة ففتحها وأسر ملكهم وقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، فارتد بعد وفاة رسول الله (ص) . ثم غزاها خالد بن الوليد في عهد أبي بكر رضي الله عنه وفتحها في السنة الثانية عشر للهجرة .

أما فيما يخص التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

فقد تقدم ما ذكره ياقوت .

وقد تحدث الشيخ حمد الجاسر عن تاريخ هذه البلاد ، وذكر أن خالد بن الوليد غزاها وفتحها ثم تحدث عن التحكيم فيها فقال : ولما فرغ خالد بن الوليد من عين التمر سار إلى دُومَة الجندل ، وذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة . فلما بلغ أهلها مسيرة بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكتب وغسان وتنوخ والضجاعم ، وكان وديعة قد أتاهم من قبل في كلب وبهراء يسأنده بن وبرة بن رومانس ، وأتاهم الحدرجان في الضجاعم وابن الأيهم في طوائف من غسان ، فلما بلغهم دنو خالد وهم على رئيسين أكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة ، وقد اختلفوا . فقال أكيدر : أنا أعلم الناس بخالد ، ولا أحد أمين طائراً منه ، ولا أحد في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قَلَوْا أو كَثُرُوا إِلَّا انصرفوا عنه ، فاطيعوني وصالحوا القوم فأبوا عليه . فقال : لن أمالكم على حرب خالد فشأنكم ، فخرج وبلغ ذلك خالداً فبعث عاصم بن عمرو معارضاً له ، فأخذه ، فقال : إنما تلقيت الأمير خالداً ، فلما أتى به خالداً أمر به ففُصِرَت عنقه ، وأخذ ما كان معه ومضى خالد حتى نزل على أهل دُومَة ، ورؤساؤهم الجودي بن ربيعة ووديعه الكلبي وابن الأيهم الغساني وابن الحدرجان الضجعمي فجعل خالد دُومَة بين عسكره وعسكر عياض ، وكان النصاري الذين أمدوا أهل دُومَة من العرب محيطين بالحصن لم يحملهم الحصن . فلما اطمأن خالد خرج الجودي فنهض بوديعة فرحفاً لخالد ، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض فاقتتلوا ، فهزم الله الجودي ووديعة على يدي خالد ، وهزم عياض من يليه ، وركبهم المسلمون ، فأما خالد فانه أخذ الجودي أخذاً ، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة ، وأررز بقية الناس إلى الحصن فلم يحملهم ، فلما امتلأ الحصن أغلق من فيه الباب دون أصحابهم ، فبقوا حوله حرداء ، فقال عاصم ابن عمرو : يا بني تميم حلفاءكم كلب أجبروهم وأسروهم ، فانكم لا تقدرون لهم على مثلها ، ففعلوا ، وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بني تميم بهم . وأقبل خالد على الذين أُرِزُوا إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن . ودعا خالد بالجودي ففُصِرَت عنقه ، ودعا بالأساري ففُصِرَت أعناقهم ، إِلَّا أسارى كلب فان عاصماً والأقرع وبني تميم قالوا : قد أمّناهم فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالي ولكم ؟ تحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام ؟ فقال له عاصم : لا تحسدهم العافية ولا تمحّوهم الشيطان .

ثم أطاف خالد بالباب فلم يزلّ عنه حتى اقتلعه ، واقتحموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الشَّرْحَ فَأَقَامُوهُمْ فِيمَنْ يَزِيد ، فاشترى خالد ابنة الجودي ، وكانت موصوفة ، وأقام خالد بدوْمَة مدة ثم سار منها إلى الحيرة .

وممن استشهد في هذه الواقعة في دُوْمَة الجندل مع خالد بن الوليد ، نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي ، فجزع عليه غيلان وكثر بكأوه ، وقال يرثيه شعراً .

وأبرز ما نقرأه في عهد الخلفاء الراشدين من أخبار هذه البلاد وقوع التحكيم بين علي ومعاوية — رضي الله عنهما — في دُوْمَة الجندل ، على أنّ بعض المؤرخين يحاول التشكيك في ذلك ، فياقوت يقول ما هذا نصه : وقد ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين علي ومعاوية — رضي الله عنهما — كان بدوْمَة الجندل ، وأكثر الرواة على أنه كان بأذُرْج ، وقد أكثر الشعراء في ذكر أذُرْج وأنّ التحكيم كان بها .

ولم يبلغني شيء من الشعر في دُوْمَة الجندل إلا قول الأعور الشَّيْثِي — وإن كان الوزن يستقيم بأذُرْج — قال :

وليس بهادي أمة من ضلالة بدومة شيخا فتنة عِمِيان^(٣)

ثم أورد حديثاً عن أبي موسى عن النبي (ص) أنه حكم في بني إسرائيل في هذا الموضع — يقصد دُوْمَة الجندل — حكمان بالجور ، وأنه يحكم في أمّتي في هذا المكان حكمان بالجور ، قال الراوي فما ذهبت إلا أيام حتى حكم هو وعمرو بن العاص فيما حكما ، قال فلقبته فقلت : يا أبا موسى قد حدثني عن رسول الله (ص) بما حدثني فقال : والله المستعان .

ولكن ابن جرير وقبله ابن سعد في الطبقات وغيرهما من المؤرخين نصّوا على وقوع التحكيم في دُوْمَة الجندل ، وذكروا بأن أذُرْج هي المكان الثاني ، بعد مرور عام إذا لم يحضر الحكمان ، أو أحدهما .

وقد ورد في تاريخ ابن جرير عبارة موهمة هي : حتّى توافوا بدوْمَة الجندل بأذُرْج . وأرى أنّ صواب العبارة : بدوْمَة الجندل لا بأذُرْج .

وها هو نصّ عبارة ابن جرير رحمه الله ، قال : فكتب كتاب القضية بين علي ومعاوية — فيما قيل — يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ٣٧ على أن يوافي علي موضع الحكيم بدوومة الجندل في شهر رمضان ، ومعاوية ، ومع كل واحد منها أربعائة من أصحابه فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا في العام القادم بأذرح .

ثم قال بن جرير : اجتمع الحكيم بدوومة الجندل .

وذكر أن عليا ومعاوية بعث مع كل واحد منها ٤٠٠ رجل حتى توافوا بدوومة الجندل بأذرح — كذا جاءت العبارة في تاريخ الطبري المطبوع .

وجاء في تاريخ ابن خلدون : والتقوا بأذرح من دوومة الجندل . وعلق المحشي : كذا في الأصل وهكذا وردت في تاريخ بن الأثير ١٦٧/٣ : (حتى توافوا من دوومة الجندل بأذرح) .

وفي الطبري (حتى توافوا بدوومة الجندل بأذرح ، وقد ورد في الطبري : (وأنها يجتمعان بدوومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام القادم بأذرح) .

وأن بين دوومة الجندل وأذرح تسع مراحل ، والمعروف أن اجتماع الحكيم كان بدوومة الجندل ، وأن كلمة أذرح زائدة هنا ، وفي الطبري وابن الأثير ، ونضيف إلى هذا أن أذرح هي في الشام ، وليست متوسطة بين الفريقين ، فعلي رضي الله عنه كما هو معروف في الكوفة ومعاوية — رحمه الله — في دمشق ، وأذرح قريبة من دمشق بخلاف دوومة الجندل التي تقع في مكان متوسط وعلى بعد متساو من مكاني الرجلين ، ولعلّ بما أوقع ياقوتاً وغيره أن كتاب القضية ينصّ على أن التحكيم يكون في دوومة الجندل في السنة الأولى ، وإذا لم يتم فيكون بأذرح ، ولعل اختيار أذرح كان من معاوية رحمه الله ، وأن علياً رضي الله عنه لم يتم لهذا الاختيار اعتباراً ، لأنه صمّم على اجتماع في السنة الأولى ، وفعلّا تمّ ذلك . وينقطع عنا خبر هذه البلاد فيما بين أيدينا من مؤلفات ويختفي ذكرها وينعدم صوتها : والدّار لو كلمتنا ذات أخبار .

حتى يكون أول القرن الرابع الهجري ، حيث نجد أن هذه الرمال العظيمة المعروفة الآن باسم النفود الكبير الفاصل بين بلاد الجبلين وبين بلاد الجوف ، فنجدها بينما كانت

تعرف باسم (عالمج) أصبحت تعرف في القرن الرابع الهجري برملم بختر ، حيث قوي نفوذ هؤلاء وهم من طيء ، ثم ما زال نفوذ الطائيين يقوى حتى أصبح الجوف من منازلهم ، وأصبح يعرف بجوف آل عمرو ، نسبة إلى جذم كبير من قبيلة طيء ، وقد كان سكنى هذا الجذم في الجوف قبل القرن السابع الهجري ، ذلك أننا نجد ابن فضل الله العمري في كتاب «مسالك الأبصار» وهو يعد بطون آل فضل وأحلافهم يذكر أن آل عمرو بالجوف ، ويضيفهم إلى أبناء عمومته من آل فضل الذين سيطروا على شمال الجزيرة وجنوب الشام ، حتى جاءت الأيام الأخيرة فكان لقبيلة الرولة . وهي مجموعة من القبائل العدنانية وغيرها فانتشرت في هذه البلاد^(٤) .

قلت : مما تقدم يتبين لنا مدى الجهد الذي قام به الشيخ حمد في تتبع تاريخ هذه البلاد ، ومدى توفيقه بين أقوال المؤرخين في تحديد مكان التحكيم ، وبيان سبب تسمته الجوف ، جوف آل عمرو ، وقد وفق في جهده وأتى على حقائق وتعليقات مفيدة ومقبولة .

وممن ذكروا أن التحكيم بين علي ومعاوية وقع في دومة الجندل المسعودي : قال : والتقاء الحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٨ سنة وخمسة أشهر وأربعة وعشرون يوماً^(٥) .

مدينة دومة الجندل في هذا العهد :

كانت هذه المدينة هي أشهر مدن بلاد الجوف وأعرقها تاريخاً ، وكانت هي مقر إدارة البلاد على مر العصور غير أن مدينة سكاكة — المدينة الثانية من مدن الجوف — أخذت في الظهور كمنافس لها في المركز الاجتماعي والعماري منذ ظهر فيها رجلاً بن مؤشير وأخوه حمد ، وقادا حركة المعارضة ضد حكم آل شعلان ، وأقدم رجلاً بن مؤشير على قتل عبده عامر المشورب .

وقد كان نقل مقر الأمانة من دومة الجندل إلى سكاكة بداية تحول واضح بالنسبة لكلتا المدينتين .

وقد أشار الشيخ حمد الجاسر إلى ذلك فقال : دومة الجندل هي أشهر بلدة في

الجوف ، وكان الاسم عند إطلاقه يقع عليها ، وكانت قاعدة تلك البلاد حتى كان عام ١٣٧٠ هـ حينما كان الأمير تركي بن أحمد السديري أميراً لهذه البلاد ، فنقل القاعدة في ذلك العهد إلى سكاكة ، وتبعد الجوف (دومة الجندل) عن سكاكة خمسين كيلاً ، والطريق معبد بين المدينتين^(١) .

بعد نقل مقر الإمارة منها مرت بفترة ركود نسبي غير أنّ النهضة الاجتماعية والعمرانية التي عمّت في أنحاء المملكة شملتها فأخذت بنصيب منها ، وفي السنوات الأخيرة تطوّرت تطوّراً ملحوظاً في مرافقها الحيوية ، فطوّرت إمارتها ومرافقها الأمنية ، وطوّرت بلديتها واستكمل فيها التعليم مراحله الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين وللبنات ، وظهرت فيها المباني الحديثة الضخمة للمدارس والبلدية والإمارة وسفلت شوارعها وتأسست فيها شركة كهرباء حديثة ، فوصل التيار الكهربائي إلى كلّ حيّ في المدينة ودخل في كلّ بيت ، وسوّرت المقابر القديمة ، وهذّبت الشوارع والطرق ، وجدّت البلدية في تنظيفها وتنسيقها ، وتوفرت فيها المرافق الاجتماعية المختلفة ، محكمة شرعية ، ومكتب للجوازات والجنسية ومستوصف صحيّ ودفاع مدني وهيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغيرها من المرافق الهامة .

وقامت فيها سوق تجارية ، وقد شيّدت الدكاكين والمتاجر في السوق الجديد بالاسمنت المسلح وبشكل جذاب ونمت فيها الحركة التجارية وتطوّرت أساليبها ، وارتفعت فيها أثمان البيوت وأثمان الدكاكين ، وأمتد عمران المدينة وتوسّعت أنحائها .

وبما زاد في نموّها وتطوّرها الاقتصادي سفلتة الطّرق الرئيسيّة التي تربطها بالمدن المختلفة كمدينة عرعر ومدينة سكاكة ومدينة تبوك والمدينة المنورة ، وغيرها من المدن والبلدان .

حصن مارد :

تقع هذه القلعة في مدينة دومة الجندل (الجوف) وهي قلعة قديمة مشادة من الحجارة ، على متن جبال الجوف مطلّة على مدينة الجوف القديمة من ناحية الجنوب ،

تمثل حصناً شامخاً منيعاً ، غير أنه قد أهملت صيانته أخيراً وبدأ فيه الخراب ، ويتكون هذا الحصن من أديار وأبراج عالية للمراقبة ، وكلها مبنية بالحجارة ، وفي داخله بئر عامرة وفيرة الماء مرصوفة بالحجارة ، غير أن ماءها لا يصلح للشرب ، وفيه قصبية متصلة بأديار الحصن يستقي منها ماء عذب ، يتصل بداخل الحصن بواسطة قناة تنبع من عين من عيون البلدة القديمة ، وقد نفذت القناة تحت أرض الحصن ووصلت بها قناة نافذة يستقي منها ، وهذه القصبية ما زالت عامرة .

كان هذا الحصن معروفاً بهذا الاسم قديماً ، وقد تحدث عنه المؤرخون بهذا الاسم ، وقد غزت الزباء دومة الجندل وأمنع عليها فتح هذا الحصن وانصرفت عنه مهزومة آيسة بعد حصار ضربته حوله .



حصن (مارد) كما هو مشاهد الآن (سنة ١٤٠١ هـ)

قال ياقوت : مَارِدٌ : بكسر الراء ، والمَرِيد كل شيء تَمَرَّد واستعصى ، وهو حصن بدوْمَة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزَّيَاء وقد غزتها فامتعا عليها : تَمَرَّد مَارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَقُ . فصارت مثلاً لكلّ عزيز ممتنع .

وقد مرَّ بدوْمَة الجندل الرحالة الفنلندي (جورج أوغست فالين) ووصفها وصفاً دقيقاً وتحدث عن حصن مارد وموقعه من المدينة فقال : وبلدة الجوف هي في آخر منحدرات الجبل الكلسي ، في بقعة نصف دائرية الشكل ، وفي مركز نصف الدائرة هذه تنتصب قلعة (المارد) ^(٧) القديمة مواجهة للشمال فوق حرف من الجبل الكلسي ، وتطلّ على الجوف والوادي بكامله ، وهي خربة خالية من السكّان ، تبدو وكأنها مركز البلدة ، فقد شيّدت حولها الأسواق والأحياء ^(٨) .

أما الرحالة الإنجليزية (الليدي آن بلنت) فانها قد زارت هذه البلاد في وقت متأخر عن زيارة الرحالة الفنلندي وتحدثت عن هذه القلعة فقالت : القينا نظرة على قلعة (المارد) البناية الوحيدة من الحجر في الجوف ، ويرجع تاريخ تشييدها ، كما يمكن أن أقول إلى العصور الوسطى ، وانها بالتأكيد ليست كلاسيكية وليس لها ملامح خاصة تجعلها مثيرة للاهتمام ، وتبدو أجمل على بعد ، أجد الخرائط تضعها على طول الطريق من الجوف ولكنها في الحقيقة داخل أسوار المدينة ، على الطّرف الغربي ، وتقف على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ^(٩) .

وبلاحظ على هذه الكاتبة ثلاثة أمور :

أحدها أنها قالت : البناية الوحيدة من الحجر في الجوف ، وهذا القول لا ينطبق على الواقع ، إذ أن البيوت والأسواق القديمة في مدينة الجوف القريبة من قلعة مارد ومن بينها مسجد عمر ومثذنته كلها مبنية بالحجارة .

ثانياً : أنها أخطأت في تقدير تاريخ بناء هذه القلعة ، وقالت أنه في العصور الوسطى ، علماً بأن هذه القلعة معروفة ولها ذكر في كتب المؤرخين منذ القدم ، وقد غزتها الزَّيَاء قبل الإسلام ، وقالت فيها مثلها المعروف .

ثالثاً : قالت : إنها على الطرف الغربي من البلدة ، بينما هي في الطرف الجنوبي ،

وتحدث العلامة حمد الجاسر عن هذا الحصن فقال : ومن أبرز آثار الجوف حصن مارد الذي لا تزال أطلاله شاهقة فوق دُوْمَة الجندل ، ويحس أن نورد ما ذكره المتقدمون حوله ، وما ذكره غيرهم ، ومارد حصن دُوْمَة الجندل أشهر موضع أطلق عليه هذا الاسم وعرف به .

ولا شك أن كلمة (مارد) مشتقة من القوة والامتناع ، كما يفهم هذا من كلام علماء اللغة ، والقصر المرد : هو المزين المحكم الصنعة ، ولم يأت المتقدمون بطائل عن مارد أكثر من شرح المثل (تمرد مارد وعز الأبلق) فلم يحددوا زمن إنشائه ، غير أن المفهوم من عباراتهم مع مقارنتها بغيرها أنه كان موجوداً في القرن الخامس الميلادي ، كما يفهم من زمن الزباء ، وصيغة اسمه تدلّ على قوة بنائه ، وعرف العرب الأبنية المردّة ، ومن طبيعتهم تحليل ما يجهلون بأنه من آثار قوى خارجة عن قوة البشر ، وهذا من الأمور التي لا تثبت أمام النقد ، وآثار القصر تدلّ على قوة ، ولكن لا تبلغ القوة المشاهدة في الآثار الأبنية التي لا تزال قائمة كالأهرامات وهاكل بعلبك ، والهاكل اليونانية والرومانية وغيرها . وهذا الحصن لم يبق على بنائه القديم ، إلّا من حيث المساحة والأساسات القوية الصخرية القائمة على تلّ صخري ، أمّا ما عدا ذلك فقد تغيّر كثيراً . وبالإجمال ، يظهر أن هذا الحصن أقيم ليحمي منطقة الجوف من هجوم الغزاة ، كما حدث عندما حاصرته الزباء ، وعندما غزا دُوْمَة الجندل خالد بن الوليد رضي الله عنه في صدر الإسلام . وقد شاهدهت تحت الحصن أنفاقاً قد تكون وضعت لاتّصال المياه أو للاتّصال من البلدة الواقعة تحت الحصن إلى الحصن ، أو إلى المزارع ، وقد تهدّم أكثرها .

إنّ المطلّ من أعلى الحصن من ارتفاعه الموجود الآن لا شك أنه يرى كل من يقدم إلى هذه البلدة من مسافات شاسعة ، وبالإجمال فقد كان هذا الحصن من أقوى وسائل الدفاع عن دُوْمَة الجندل ، وهذا ما نراه بارزاً في أول الفتح الإسلامي حيث استعصى على الرسول صلى الله عليه وسلم الاستيلاء على هذه البلاد ، ثم استعصى على السرية التي أرسلها برئاسة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، ومن ثم لم يتم الاستيلاء الكامل إلّا عندما غزاها خالد بن الوليد ، وألقى القبض على ملك البلدة المدعو الأكيدر ، وكان خارج الحصن ، والحصون في بلاد الجوف كانت كثيرة بقي منها مارد وحصن آخر يُدعى

زعل ، في المدينة الثانية من مدن الجوف وهي سكاكة (١١) .

البرج :

ببء موحدة وراء مهملة وجيم معجمة ، اسم لأنف بارز من جبال الجوف ، واقع في الشمال الغربي من مدينة الجوف ، وعلى قته آثار حصن قديم صغير قد درست معالمه ، وأهل الجوف يطلقون الاسم في هذا العهد على أنف الجبل ويقولون أنه اسم للحصن القديم الذي كان فوقه ، وحينما تكون في أعلى البرج تجد أنه يناوح قلعة مآرد من الشمال وأنه ترى منه مدينة الجوف وما قرب منها من أي صوب ، وتلاحظ أن المنخفض الذي تقع فيه مدينة الجوف وتخيّلها ومزارعها واقع بين هذين الحصنين الشائخين ، وأنها بمثابة حارسين قائمين على هذه البلاد بمتونها الشائعة ، وجوانبها العالية المتعمّدة ، وفي أعلا البرج ترى بقايا من جذور سور الجوف القديم وفيما المنحدر منه شرقاً ، وهو مبني من الحجارة ، وكان قديماً محيطاً بمدينة دومة الجندل ومزارعها وتخيّلها .

ويقول أهالي المدينة فيما تناقلوه عن أسلافهم إن هذا السور كان محيطاً بالمدينة إحاطة كاملة ، فلا يدخل إليها إلا من بابين ، أحدهما بجانب قصر مآرد في الجنوب ، والآخر من جانب البرج في الشمال ، وأن هذين المدخلين لها بابان قويان ، وأن مصاريعها وأقفالها حديدية ، وقد شدّت حول كلّ منها سلاسل حديدية ، وأن لها حراساً ثابتين ، فن أراد الدخول إلى المدينة حرّك السلاسل حتى يسمعه الحراس ويفتحوا له الباب فيدخل .

أما تهديم هذا السور وخراب مداخله فانهم ينسبونه إلى الضياغم عمير وعرار وقومها ، ويتناقلون قصة حول هذا الموضوع ملخصها : أن الضياغم عميراً وعراراً وقومها أتوا إلى دومة الجندل ، وكان فيها باشا تركي ، وكان يدعى سلطان مآرد ، وعنده قوة من الجند والحيلة ، وكانت البلاد عامرة بالزراعة والتجارة ، وكانت مسورة ، وفيها قلعتان ، هما قلعة مآرد وقلعة البرج ، والسور محيط بهما مع البلدة ، وكانت صلة الضياغم بسلطان مآرد وثيقة ، وكانت علاقته بالأمر عمير أقوى ، وصدافته له أوثق ، فغضب عرار لذلك وأخذته الغيرة حينما رأى احتفاء سلطان مآرد بعمير دونه ، فسعى لإيجاد حيلة يفسد بها ما بينها ، فأخذ قطنه وجعل فيها طيباً ممتازاً ومسح بها خدأخته

ميثاء زوجة عمير وهي نائمة ، وكانت جميلة ، وذهب بالقطة إلى سلطان مارد ، فاستغرب السلطان رائحة هذا الطيب ، فقال له إِنَّ هذا الطيب عرق ميثاء عند صديقك عمير . وعندما أتى عمير إلى سلطان مارد أحضر له القطة فقال ما هذه ؟ فقال عمير لا أعرفها ، فقال : هذه روائح زوجتك ميثاء ، ولا بد أن تأتي بها إليّ في هذا القصر ، فقال عمير : سأفعل .

وخرج عمير من القصر وذهب إلى قومه وأخبر إخوته الخبر ، وهم عقيل وحجاب وحميدان ، وكانوا يقيمون داخل سور المدينة : ففكروا في حيلة يخرجون بها من السور ، فقال حميدان : اجمعوا مباسم الابل ودقوها في جانب السور وتسلقوا بها إلى أعلاه ثم أهدموه لتتمكنوا من الخروج منه ، ففعلوا وقد أخبروا بوادهم الذين خارج السور الخبر وأمروهم بالاستعداد للقتال ، وخرجوا بأهلهم إلى قومهم خارج السور ، فأغار سلطان مارد عليهم . وطلبهم لينتقم منهم ، فالتقى الفريقان شمال المدينة عند قويرات الصريخ فقابل سلطان مارد حميدان ، فضرب كل منهما خصمه ضربة قضت عليه وماتا معاً ، فانهزم جيش السلطان بعد مقتلة كبيرة جرت عليهم ، فقال عمير في ذلك :

مَا نَاسِيَ إِلَّا مِنْ بَنُوكَ^(١١) مَعَادِنَ
عَمَى الرَّأْيِ مَا يَجْلَاهِ الطَّبُّ وَالِدَوَا
كَبِيرٌ لَنَا يَمْشِي عَلَى مَا يَضُرُّنَا^(١٢)
يَبُونُ مَيْثَا نَفْوَ مِنْ حَرِيمَتَا
وَطَلَقَ عَقِيلٌ مِنْ ثَلَاثٍ مَجْزُورَةً
وَتَلَقَى حَمِيدَانِ وَسُلْطَانُ مَارِدَ
تَلَأَفُوا حَدَّ الدَّمْتِ وَالرَّمْتِ وَالْفَضَا
فِي مَقَرِّ الدَّرِزِينَ كَذَرًا عَجَاجَةً
وَأَنْ عَبْرَ التَّشْمَانِ إِلَى بَابِ مَارِدَ
تَرَى أَوَّلَ مَنْ يَشِي عَقِيلُ بْنُ وَالِدِي
وَمَا طَابَ مِنْ يَتْلُو المَعَادِنَ طَابَ
عَمَى الرَّأْيِ مَا دَامَ الغَرَابُ غَرَابَ
وَهُوَ بِالْعَيَا مِنْ يَوْمِ شَبِّ وَشَابَ
وَأَنَا أَقُولُ فِيهَا خَزْوَ وَعَتَابَ
إِنَّهُ مَا يَصُكْ دُونَ مَيْثَا بَابَ
وَصَحَّ كُلُّ لَهٍ مِنْ كَفِّ ذَاكَ صُوبَابَ
وَحَدَّ قَوِيرَاتِ الصَّرِيخِ نَضَابَ
يَتَمَنَّا حُضَارَ الرِّجَالِ غِيَابَ
عَلَى الثَّرَكِ مَا تَنِي لَهْنُ رَقَابَ
وَحُضْنِ وَزْنِ الْجَاذِيَاتِ حَجَابَ

يَنْخَنَّا بِأَسْمَانَا عَارِفَاتِنَا بِأَصْوَاتٍ مِنْ فَوْقِ الْحَيِّ صِلَابٍ
لَكِنَّ لَمِيعَ الطُّوسِ فِي مَتْنَعِ الصَّفَا لَمِيعَ بَرْقٍ مِنْ عُلُوِّ سَحَابٍ
وَلَا يَنْفَعُ الْمَضْيُومُ كُودَ ابْنِ عَمَّةٍ وَإِنْ غَطَّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نَابِهِ نَابٌ

مر في القصيدة ذكر قويرات الصَّريخ ، تصغير قارات ، وهي ثلاث قور صغار معروفة بهذا الاسم في هذا العهد ، تقع شمالاً من دُوْمَة الجندل على بعد اثني عشر كيلاً تقريباً .

أما الدربان اللذان ذكرهما ، فهما طريق الفاو ، وطريق المَصْفَرَة ، يخرجان من دُوْمَة الجندل شمالاً ، يفترقان عن قويرات الصَّريخ ، ويلتقيان في فيضة أُجْرَبَة .

وهناك قبر مشيد بالحجارة يقع على حافة جبل أُجْرَبَة من الجنوب ، يقول أهل الجوف إنه قبر حميدان الضيغمي الذي التقى بسلطان مارد وقتل أحدهما الآخر .

ومنذ ذلك العهد تهدم سور المدينة ، وزال الكثير منه ولم يبق منه إلا جدره وأطلاله .

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر قصة مماثلة ، مع بعض الاختلاف في سبب وقوع الحادثة وفي أبيات القصيدة ، وفي موقع الحادثة ، وأوردها على ذكر حصن خرب قديم يدعى مارداً واقع في عيون ابن فهيد في شرقي القصيم ^(١٣) ، ولا أدري أي القولين أخرى بالصواب ، ما يقوله أهل الجوف أو ما يقوله أهل القصيم .

مسجد عمر :

يقع هذا المسجد في مدينة دُوْمَة الجندل في الحي القديم من المدينة قريباً من حصن مارد ، شمالاً غربياً منه ، وقد شيد هذا المسجد بالحجارة ، ويبدو على محرابه وأعمدته ومدخله أثر القدم ، أما سقفه فانه يبدو عليه أثر الترميم ، وأهم ما تبقى من بنائه القديم مثذنته الحجرية الجميلة ، وقد أقيمت هذه المثذنة على مدخل المسجد منتصبة على متن



منارة مسجد عمر كما تبدو الآن سنة ١٤٠١ هـ.

الشارع الذي يحفّ بالمسجد من جانبه الأيمن ينفذ الشارع من تحتها ، وقد شيدت جميعها بالحجارة ، ويصعد لها من داخل المسجد بدرج من الحجارة ، وقد صممت على شكل مربع ، ذي زوايا أربع متساوية ، غير أنها تدق قليلاً وبشكل تدريجي كلما ارتفعت إلى أعلا ، وأعلاها مخنوم بطريقة مدببة ، ولها أربعة أدوار ، وفي كل دور منها نوافذ أربع ، في كل جهة منها ، مستطيلة إلى أعلا يؤذن منها ، وما زالت هذه المئذنة محتفظة بشكلها الأصلي عامرة ، لا يبدو عليها أثر تغيير أو ترميم .

وهذا المسجد واقع في أقدم أحياء المدينة ، ويرى أهل الجوف أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ويرى الشيخ حمد الجاسر أنّ نسبته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير مؤيدة بدليل ، وقد تحدّث عن هذا المسجد فقال : مسجد عمر ، ويقع في سفح الجبل الذي يقع فوقه الحصن حصن مارد ، ويقع الحصن في قبلته ، لا يفصل بينه وبين الحصن إلّا بيوت خربة قليلة ، والشائع عن أهل البلدة أنه ينسب إلى عمر بن الخطاب ، غير أنني لا أرى ذلك ، ففي المسجد محراب ومئذنة ، وهما مما أحدث في الإسلام بعد عهد الفاروق ، وقد يكون منسوباً إلى عمر بن عبد العزيز إذ هذه الجهات كانت قوية الصلة بخلفاء بني أمية في الشام ، والفاروق وإن كانت له إصلاحات في بعض القرى الواقعة في الشمال ، كأمره ابن غريص اليهودي بطي بئر تبوك ، وبنائه مسجد وادي القرى إلّا أنني استبعد من طراز المسجد نسبته إليه .

يضاف إلى هذا أنه مسقف بمجدوع النخل ، ممّا يدلّ على أنّ التسقيف حديث ، وقد يُقال : بأنّ عمر أمر بإنشائه أولاً ثم بعد ذلك جدّد ، ولا شك أن المئذنة قديمة ، وطراز بنائها يلفت النظر . أما البلدة التي يقع فيها هذا المسجد فلا شك أنّها من الأماكن الأثرية (١٤) .

قلت : لقد زرت هذا المسجد ودخلته وصعدت في أعلى مئذنته ، وهو لا يزال مستعملاً للصلاة ، وكذلك مئذنته ، وهي لا تزال محتفظة بقوتها وشموخها الجذّاب من بين البيوت المحيطة بالمسجد .

ومن العجيب أن الرحالة الانجليزية (الليدي آن بلنت) ذكرت في حديثها عن مدينة الجوف أنهم ينادون للصلاة من سطح المسجد ، وأنه ليس هناك منارة في الجوف (١٤) . فأين هي من مسجد عمر ومثذنته التاريخية الحجرية البارزة ، القريبة من قلعة مارد ، وهذا مما يؤيد القول أن هذه الكاتبة لم تتح لها حرية التجول في أحياء المدينة ، وأنها تصف أحياء لم تراها ، ومسجد عمر ومثذنته بقعان في وسط الحي الذي هي تحميم فيه .

ومما يؤكد بطلان ما قالته — إلى جانب الواقع المحسوس — ما قاله الرحالة الفنلندي عن أحياء هذه المدينة ومساجدها ، وقد زارها قبل هذه الكاتبة بأربعة وثلاثين عاماً حيث قال : ولكل سوق مسجد تقام فيه الصلاة اليومية وتلقى على منبره خطبة الجمعة . قلت : بطبيعة الحال وجود الجوامع ومنابر الخطابة يستلزم معه وجود المآذن للنداء للصلاة .

سعد بن جُنَيْدِل



الرياض

الحواشي :

- (١) هذا شعر لا يليق بالصحابة رضوان الله عليهم .
- (٢) البكري رحمه الله صحف (دوقة) بالقاف فهي التي بين البرك ومكة وهي التي ينطبق عليها شعر الأحرص .
- (٣) كتاب «شمال غرب الجزيرة» : ١٤٢/١١٨ .
- (٤) «التنبيه والإشراف» .
- (٥) «في شمال غرب الجزيرة» ، ٥٣٣ .
- (٦) الصواب (مارد) بدون لأن (أل) لا تدخل على أسماء الأعلام إلا سماعا .
- (٧) صور من شمال الجزيرة ٤٣ — ٤٤ .
- (٨) رحلة إلى نجد ٦٥ — ٦٦ .
- (٩) في شمال غرب الجزيرة ١٤٠ — ١٤٦ .
- (١٠) البنوك جمع بنك وهو الأصل ، والكلمة عربية فصيحة .
- (١١) كبير لنا : يعني بذلك عرارا .
- (١٢) في شمال غرب الجزيرة ١٤١ — ١٤٢ .
- (١٣) في شمال غرب الجزيرة ١٥٠ — ١٥٢ .
- (١٤) رحلة إلى نجد ٦٦ .

بنو وائل

ونسب آل مدلج

في كتاب ابن لعبون

[قلت في مجلة العرب، ص ٤٥٠ وما بعدها في سنها الجارية : إن ابن لعبون ألف كتابين أحدهما : في التاريخ ، جعل أساسه (مقدمة ملخصة من لُكن آدم أبي البشر . إلى أثناء القرن الثالث عشر) . وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً .

والكتاب الثاني : خصصه للأنساب ، استجابة لطلب ضاحي بن عون في إثبات نسب قبيلته آل مدلج الواليتين . ولكنه لم يقتصر على ذكر نسب هازلاء . بل ذكر أنساب أهل نجد بصفة عامة . كالسعود . وبني نهم . وغيرهم وطبع من هذا الكتاب قسم في مطبعة (أم القرى) بمكة المكرمة سنة ١٣٥٧ .

وها هي نبذة تتعلق بنسب آل مدلج . مما لم يرد ذكره في الكتاب المطبوع . ويظهر أن كتاب ابن لعبون المتعلق بالأنساب دخله تخوير وتغيير . قد يكون بعد وفاة المؤلف . من ابنه زامل . كما يتضح من الاختلاف في هذه النسخة ، التي نقلت عن نسختين — فني إحداهما ينص على أن زمن كتابها سنة ١٢٥٥ — في حياة من ألف له الكتاب الشيخ ضاحي بن عون ، ويفيض في الثناء عليه — وفي النسخة الثانية يذكر وفاته سنة ١٢٦٠ — ولا ينفي عليه وهذه النسخة الثانية هي الواردة في كتاب «تحفة المشتاق» وقد أوردت نص ما في ذلك الكتاب ، ثم علّقت ما ورد في النسخة التي لا أشك في أنها نقلت عن أصل كتبه ابن لعبون نفسه ، ولهذا رمزت لها بحرف (أ) — أي الأولى ، أما ما في كتاب «تحفة المشتاق» فقد يكون من عمل زامل ابن المؤلف — وأن ما جاء في ذلك الكتاب من أنه (بقلمه) يحتاج إلى تلييت [.

جاء في كتاب «تحفة المشتاق» ما نصّه :

تفصيل نسب آل لعبون :

وإليك تفصيل نسب آل مدلج نقلته من تاريخ حمد بن محمد بن لعبون المعروف في بلد التّويم بقلمه ، قال :

أول من سُمِّي لنا من أجدادنا حُسَيْن أبو علي ، وهو من بني واثل ، ثم من بني وهب من الحُسَنة ، وكان لوهب ولدان وهما مُنْبِهٌ وعليٌّ ، وهو جد (وَلَد علي) المعروفين اليوم .

ولمُنْبِهٍ ولدان وهما حسن جد الحُسَنة ، وصاعد جد المصاليخ .

ولصاعد ولدان وهما : يعيش وقوعي (؟) والنسل لهما .

فتزل حسين أبو علي المذكور في بلد أُشَيْقِر ، ونزل عليه بعد ذلك في بلد أُشَيْقِر عِدَّة رجال من بني واثل منهم يعقوب أخو شميسة جد آل أبو رباع ، أهل حُرَيْمِلَاء من آل حسني من بشر .

وحَتَايتُ جدُّ آل حَتَايتِ المعروفين من وَهْبٍ من التَّوَيْطَات .

وسليم جدُّ آل عَقِيلٍ منهم أيضاً .

وتوسَّعوا في أُشَيْقِر بالفلاحة ، وصار لهم شهرةٌ وكثرت أتباعهم .

ونزل عندهم جدُّ آل هُوَيْلٍ ، وآل عُبيد المعروفين الآن في التويم من آل (أبو رباع) .

واشتهر حسين أبو علي في أُشَيْقِر بالسَّخَاء والمروءة وإكرام الضيف .

وفي أثناء أمره أَقْبَلَ غَزُو من آل مُغْيِرَة ، ومعهم أموال كثيرة ، قد أخذوها من قافلة كبيرة بين الشام والعراق ، فألقاهم الليل إلى بلد أُشَيْقِر ، فزَلُّوا قريباً من نخل (أبو علي) وكانوا مُتَبَرِّزِينَ عن ضيافة البلد ، فأمر أبو علي بِجَدَائِزٍ جُمْلَةٍ من نَخْلَةٍ ، ووضعه في الأرض بين أَسْطَرِ النخل ، ثم دعا الغَزُو المذكورين ، وأميرهم حِينَثِلِجَ مَدْلِجِ الْخِيَارِي ، المشهور في نجد بالشجاعة ، وكثرة الغزوان ، وهو رئيس عربان آل مُغْيِرَة ، فدخلوا إليه ، وأجلسهم على التمر ، فأكلوا حتى شبعوا عن آخرهم ، وهم نحو مئة رجل ، ثم أَمَرَ على مَدْلِجِ المذكور ورؤساء الغزو بالمبيت عنده ، وذبح لهم ، وصنع لهم طعاماً خَصَّصَهُم به ، فلما كان آخر الليل وعزموا على المسير وضع مَدْلِجُ تحت الوسادة صُرةً كبيرةً فيها مالٌ كثير . مما أخذوه من القافلة ، وساروا فلما كان بعد صلاة الصبح ، وطَوَّأُوا الفراش

وَجَدُوا الصُّرَّةَ تَحْتَ الْوَسَادَةِ ، فَرَكَبَ أَبُو عَلِيٍّ فَرَسًا لَهُ ، فَلَحَقَهُمْ ظَنًّا أَنَّهُمْ قَدْ نَسَوْهَا فَأَبَى مُدْلِجٌ أَنْ يَأْخُذَهَا وَقَالَ : إِنَّمَا وَضَعْتُهَا لَكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَعَاوَنَةِ لَكَ عَلَى مَرَوْتِكَ ، فَرَجَعَ أَبُو عَلِيٍّ بِهَا . وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ حَامِلًا فَقَالَ لَهَا : إِنَّ صَيفَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَرْوَةِ وَالْكَرْمِ . فَإِنَّ رِزْقَنَا اللَّهُ وَلَدًا ذَكَرًا سَمَّيْنَاهُ عَلَى اسْمِهِ مُدْلِجٌ (٢) . وَوُلِدَتْ ذَكَرًا فَسَمَاهُ مُدْلِجٌ (٣) . وَنَشَأَ مُدْلِجٌ فِي بَلَدٍ أَشْيَقَرٍ ، فِي حَجَرٍ أَبِيهِ ، ثُمَّ صَارَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ شَهْرَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْ قَرَابَتِهِ جَاعَاتٌ وَمِنْ بَنِي وَائِلٍ ، وَتَمَكَّنُوا فِي أَشْيَقَرٍ بِالْمَالِ وَالرِّجَالِ وَالْحِرَاثَةِ ، فَخَافُوا مِنْهُمْ الْوَهْبَةَ أَهْلُ أَشْيَقَرٍ ، أَنْ يَطْمَعُوا فِي الْبَلَدِ ، فَهَاتُوا الْوَهْبَةَ عَلَى إِجْلَائِهِمْ مِنَ الْبَلَدِ ، بَلَا تَعْدُ مِنْهُمْ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ . وَكَانَ أَهْلُ أَشْيَقَرٍ قَدْ قَسَمُوا الْبَلَدَ قِسْمَيْنِ : يَوْمَ يَخْرُجُونَ (٤) الْوَهْبَةَ بِأَنْعَامِهِمْ وَسَوَانِهِمْ لِلْمَرْعَى ، وَمَعَهُمْ سِلَاحُهُمْ ، وَذَلِكَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ ، وَيَقْعِدُ بَنُو وَائِلٍ فِي الْبَلَدِ ، يَسْقُونَ زُرْعَهُمْ وَنَحْلَهُمْ ، وَيَوْمَ يَخْرُجُ فِيهِ بَنُو وَائِلٍ بِأَنْعَامِهِمْ وَسَوَانِهِمْ ، وَيَقْعِدُونَ (٥) الْوَهْبَةَ ، يَسْقُونَ زُرْعَهُمْ وَنَحْلَهُمْ . فَقَالَ الْوَهْبَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ الرَّأْيَ إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ بَنُو وَائِلٍ لِلْمَرْعَى ، وَانْتَصَفَ النَّهَارُ أَخْرَجْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ خَارِجَ الْبَلَدِ ، وَأَغْلَقْنَا أَبْوَابَ الْبَلَدِ دُونَهُمْ ، وَأَخَذْنَا سِلَاحَنَا وَجَعَلْنَا فِي الْبُرُوجِ يَوَارِثِيَّةً ، يَحْفَظُونَ الْبَلَدَ بَيْنَادِقِهِمْ ، فَإِذَا رَجَعَ بَنُو وَائِلٍ مِنْ دُونِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَجَعَ بَنُو وَائِلٍ آخِرَ النَّهَارِ ، مَنَعَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ ، وَقَالُوا لَهُمْ : هَذِهِ أَمْوَالُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ قَدْ أَخْرَجْنَاهَا لَكُمْ ، وَلَيْسَ لَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ طَمَعٌ وَإِنَّا نَخَافُ مِنْ شُرُورِ تَقَعِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، فَارْتَحِلُوا عَنْ بِلَدِنَا ، مَا دَامَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ أَصْحَابُ . وَمَنْ لَهُ زَرْعٌ فَلْيُوكَلْ وَكِيلًا عَلَيْهِ مَنَا ، وَنَحْنُ نَقُومُ بِسَقْيِهِ حَتَّى يُحْصَدَ ، وَأَمَّا بَيْوتُكُمْ وَنَحْلُكُمْ فَكُلْ مِنْكُمْ بِخَنَارِهِ وَكِيلًا مَنَا ، وَيُوكَلُهُ عَلَى مَالِهِ فَإِذَا سَكَنْتُمْ فِي أَيِّ بَلَدٍ فَمَنْ أَرَادَ الْقُدُومَ إِلَى بِلَادِنَا لِيَبْعَ عَقَارَهُ فَلْيَقْدَمْ . وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَأْسٌ ، وَلَيْسَ لَنَا طَمَعٌ فِي أَمْوَالِكُمْ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ خَوْفًا مِنْكُمْ أَنْ تَمْلِكُوا بِلَدَنَا وَتَغْلِبُونَا عَلَيْهَا . فَتَمَّ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ عَلَى ذَلِكَ (٦) .

ثُمَّ رَحَلَ بَنُو وَائِلٍ ، مُدْلِجٌ وَبَنُوهُ وَجَدَّ أَهْلَ حَرَمِلَاءَ وَسَلِيمَ ، وَجَدَ آلَ هُوَيْلٍ الَّذِينَ مِنْهُمْ آلُ عُبَيْدِ الْمَعْرُوفُونَ فِي التَّوَيْمِ ، وَالْقَصَارَى الْمَعْرُوفُونَ فِي الشَّقَّةِ مِنْ قُرَى الْقَصِيمِ ، وَآلُ نَصْرِ اللَّهِ الْمَعْرُوفُونَ فِي الزُّبَيْرِ . فَاسْتَوَطَنُوا بِلَدَ التَّوَيْمِ (٧) .

وكان أول من سكنها مدلج وبنوه ثم اجتمع عليه قرابته .

وكانت بلد التَّوَيْم قبل ذلك قد استوطنها أناسٌ من عايد بني سعيد ، بادية وحاضرة ، ثم إنهم جَلَّوْا عنها ودمَّرتْ ، وعمرها مُدْلَج وبنوه وذلك سنة ٧٠٠ تقريباً .

ونزل آل حمد آل (أبورباع) في حلة ، وآل مدلج في حلة البلد ، ثم إنه بدا لآل حمد الارتحال والتفرُّد لهم في وطن ، فسار عليُّ بن سليمان بن حمد الذي هو أبو حمد الأَدْنَى ، وراشد وتوجه إلى وادي حنيفة ، فقدم على ابنِ مُعَمَّرٍ رئيس العُيَيْنَةِ ، وكان قد صار طريقه على أرض حُرَيْمِلَاء ، وفيها حَوَطة لآل (أبوريشة) الموالي ، قد استوطنوها قبل ذلك ، ثم ضَعَفَ أمرهم ، وذهبوا ، واستولى عليها ابن مُعَمَّر ، وذلك بعد دمار ملهم ، وانتقال شرايد أهلِهِ إلى بلد العُيَيْنَةِ ، فساوم عليُّ بن سليمان المذكورُ ابنَ مُعَمَّرٍ في حَوَطة حريملا ، واشتراها منه بست مئة أحمر ، وانتقل إليها من التَّوَيْم ، وسكنها هو وبنوه سويد وحسن ابنا راشد آل حمد ، وجدُّ آل عَدَوَان ، وجدُّ البُكُورِ ، وآل مبارك وغيرهم من بني بكر بن وائل وذلك سنة ١٠٤٥ .

ثم إنَّ سليم جد آل عقيل قدم على ابنِ مُعَمَّرٍ من بلد التَّوَيْم ، فقتل عنده في بلد العُيَيْنَةِ فأكرمهم ، ونشأ ابنه عقيل بن سليم ، وصار أشهر من أبيه وله ذرية كثيرة . وأما مُدْلَجُ فَإِنَّهُ تَقَرَّدَ في بلد التَّوَيْم هو وأتباعه وجيرانه ، وعمره وغرسوه . ثم نشأ ابنه حسينُ بن مدلج ، وعظُمَ أمرُهُ ، وصار له شهرة ^(٤) ، وله أربعة أولاد إبراهيم وإدريس ومانع وحسن وصار لهم صِيَتٌ ^(٥) .

فأما إدريس فإنه أعقب زاملَ (أبو محمد) الفارس المشهور ، الذي قتل في وقعة (القاع) سنة ١٠٨٤ وهي وقعة مشهورة بين أهل التَّوَيْم وأهل جُلَاجِل ، قتل فيها محمد بن زامل بن إدريس رئيس بلد التَّوَيْم ، المذكور ، وإبراهيم بن سليمان بن حمَّاد بن عامر الدَّوَسَرِيُّ رئيس بلد جُلَاجِل ^(٦) .

ومحمد المذكور هو أبو فوزان جد عبدالله بن حمد بن فوزان ، ومُفَيِّزُ جَدِّ مُفَيِّزِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُفَيِّزِ بْنِ حَسَنِ وَهُمْ مِنْ آلِ زَامِلٍ ^(٧) .

وأما مانع فهو جد آل حُزَيم بن مانع المعروفين^(٨) .
وأما حسن فهو جد آل جطيل والمفارقة^(٩) .

وأما إبراهيم بن حسين فإنه ارتحل في حياة أبيه إلى موضع بلد حرمة المعروفة ، وهي مياه وآثار منازل ، قد تعطلت ، من منازل بني سعيد من عابذ ، ونزلها إبراهيم المذكور ، وعمرها وغرسها ، ونزل عليه كثير من قرابته وأتباعه ، وتفرّد بملكها عن أبيه وإخوته .
وكان نزول إبراهيم بن حسين بن مدلج المذكور بلد حرمة وعمارته لها تقريباً سنة ٨٢٠ . وعماره بلد المَجْمَعَة سنة ٨٢٠ .

ثم إنه توفي حسين بن مدلج في بلد التَّوَم ، وصار أميرها بعده ابنه إدريس .
فأما إبراهيم بن حسين فإنه استقر في بلد حرمة وكان لأبيه فدائيٌّ فارس يقال له عبدالله الشَّمْرِي من آل ويار ، من عبدة من شَمْر ، فلما مات حسين المذكور قدم على ابنه إبراهيم في حرمة ، وطلب منه قطعة من الأرض لينزلها ويغرسها فأشار أولاد إبراهيم على أبيهم أن يجعله أعلى الوادي ، لثلاث بحول بينهم وبين سعة الفلاة والمَرعى ، فأعطاه موضع المَجْمَعَة المعروفة ، وصار كلما حضر أحد من بني وائل وطلب من إبراهيم وأولاده النزول عندهم ، أمروه أن ينزل عند عبدالله الشَّمْرِي طلباً للسَّعة وخوفاً من التَّضييق عليهم ، في منزل وحرث وفلاة ، ولم يَحْطُرْ بياهم النظر في العواقب ، وأن أولاد عبدالله الشَّمْرِي وجيرانهم لا بدَّ أن يُتَازَعُوهم بعد ذلك ويحاربوهم فيكون من ضَمَّوهم إليهم تَقْوِيَةً لهم عليهم .

فأتاهم جدُّ التَّوَجَر وهو من جَبَّارة من عترة .
ووجدت في بعض التَّوَارِيخ أن التَّوَجَر من بني وهب من التَّوَيْطَات من عترة .
وجدَّ آل بَدْر وهو من آل جلاس من عترة ، وجدَّ آل سُحَيْم من الحِيلَان من عترة .

وجد الثَّامَرِي من زَعْب ، وغيرهم فَنَزَلُوا عند عبدالله الشَّمْرِي .
وكان أولاد عبدالله الشَّمْرِي ثلاثة : سَيْف ودُهَيْش ، وحمد .

فأما حمد فهو أبو سويد ، وذُرَيْتُهُ في الشُّقَّةِ المعروفة من قُرى القصيم .

وأما سيف فهو أبو علي وغانم وإبراهيم .

فأما غانم فهو أبو محمد ، جد آل مُجَحِّدِ المعروفين .

وأما إبراهيم بن سيف فهو أبو الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف ، العالم المشهور ، في المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والشيخ عبدالله هذا هو أبو الشيخ العالم العلامة إبراهيم بن عبدالله بن سيف بن عبدالله الشَّمرِيّ المتوفي في المدينة المنورة سنة ١١٨٩ رحمه الله تعالى ، وهو مصنف كتاب «العذب الفائق شرح ألفية الفرائض» وله عَقِبٌ في المدينة المنورة .

وأما علي بن سيف فهو أبو حمد بن علي المشهور .

وعثمان جد آل فايز وآل فوزان ،

وأما حمد بن علي بن سيف فهو أبو عثمان ومنصور وناصر الشيوخ المعروفون في بلد المجمعَة .

وعثمان بن حمد بن علي بن سيف بن عبد الله الشَّمرِيّ ، هذا هو الذي عناه حُمَيْدَانُ الشُّوَيْعِرِ بقوله :

أَلْفَيْحَا ذِيْرَةَ عَثْمَانَ وَمَقَابِلَهَا بِلَادَ الزَّيْرَةِ

وهو جدُّ آل عثمان شيوخ المجمعَة في الماضي ، الذين من بقيتهم اليوم في المجمعَة آل مَزِيدِ المعروفين .

وباقى اليوم من آل سيف آل معرج ، وآل حمَّاد ، وآل جَبْر ، وآل فايز ، وآل مُفَيْر ، وآل مُجَحِّدِ .

وأما دُهَيْش بن عبدالله الشَّمرِيّ فله عدة أولاد ، وصار بينهم وبين بني عمهم آل سيف ابن عبدالله الشَّمرِيّ حُرُوبٌ عظيمة ، عند رئاسة بلد المجمعَة ، وصارت القلبة لآل سيف ، فارتحلوا آل دُهَيْش إلى بلد حرَّمة ، وسكنوا عند آل مُدَلِج ، وكانوا

أصهاراً لهم ، فقاموا معهم في حرب آل سيف ، ووقع بينهم حروب كثيرة وقُتل من الفريقين عدّة قتلى ، منهم عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي الشجاع المشهور ، وهو الملقب بلَعْبُون وهو جد آل لعبون .

وقد تقدم ذكر السَّبِّ الذي أوجب تسميته بهذا الاسم .

وقد انقطعوا (٩) آل دُهيش ابن عبدالله الشَّمْرِيّ ما نعلم اليوم منهم أحداً .
وأما إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائليّ صاحب بلد حرّمة فأولاده أربعة : محمد وعبدالله وإسماعيل وحمد .

فأما محمد فأولاده : حمد وإبراهيم ومانع .

ولحمد بن محمد ولدان : محمد وناصر .

وأولاد محمد بن حمد بن محمد خمسة : إبراهيم وناصر ومحمد وعثمان وعبدالله .
وأما إبراهيم بن محمد بن إبراهيم فهو جد آل مانع .

والمشهور منهم اليوم ذرية مانع بن إبراهيم وهم : إبراهيم أبو عودة ، ومانع ومحمد وعثمان ومحمد . فيكون عودة وأخوه عبد العزيز ابنا إبراهيم بن عودة بن إبراهيم ابن مانع بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج بن حسين الوائلي .

وأما محمد فهو جد آل المَعْيِ هاؤلاء آل محمد (١١) .

وأما آل عبدالله بن إبراهيم بن حسين فهم المعروفون اليوم بالحسانا غلب عليهم الاسم وإلّا فهُم وقيلتهم في النسبة إلى حُسَيْن سواء .

والموجود منهم : آل حمد بن عبد الوهاب بن حمد ، وآل حمد بن جاسر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم ابن حسين (١٢) .

وأما إسماعيل بن إبراهيم بن حمد بن حسين فله من الولد : مانع ، وإبراهيم (١٣) .

والباقي من ذريتهم اليوم ذُرِّيَّةُ محمد بن إبراهيم بن عون بن إبراهيم بن إسماعيل .

وحمد ابن عبدالله بن مانع بن إسماعيل .

منهم ضاحي بن محمد بن عون بن إبراهيم بن إسماعيل التاجر المشهور المتوفي في بلد
بمبي من بلاد الهند سنة ١٢٦٠ (١٤).

وأما حمد بن إبراهيم بن حسين بن مُدَلِّج فهو أبو ناصر وإبراهيم وحسين (١٥).
ولناصر خمسة أولاد : حمد وعثمان وعبدالله وعون وإبراهيم.
فأما حمد فمات ولم يُعقب.

وأما عون بن ناصر فله : إبراهيم قُتِلَ في مُغِيرَا.

وأما إبراهيم فله عبدالله اليايس ، الشجاع البوارديُّ المشهور ، ومبارك (١٦).
وأما عثمان فله : ناصر وحمد وعبدالله (١٧).

ولناصر ستة أولاد : محمد وعليُّ ، وعبدالله وعثمان وفراج وفوزان (١٨).
فخلفَ محمد بن ناصر حمد ، وخلفَ عبدالله ناصر.
ولناصر ثلاثة أولاد : عبدا العزيز وإبراهيم ومحمد.
ولفراج بن ناصر ثلاثة أولاد ، فراج وناصر وزيد.
وأما فوزان بن ناصر وعثمان بن ناصر فانقطعا.

ومات محمد بن ناصر أبو كاتب هذه الشجرة سنة ١١٨٢.

وأما حمد بن عثمان بن ناصر فله ثلاثة أولاد : عثمان وفوزان ومحمد.

وأما حسين بن حمد بن إبراهيم فله : عبدالله وعثمان أبو حسين العميم.

ولمحمد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الملقب
بأبن لعبون ولدٌ ، وهو حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة.

ولحمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ثلاثة أولاد :

محمد الشاعر المشهور ، المولود في بلد نادق سنة ١٢٠٥ وقت جلوسه.

وذلك أن عبد العزيز بن محمد بن سعود لما ملك بلد حرمة أمر بهدم بعض بيوتها ، وقطع بعض نخيلها ، وجلا بعض أهلها وذلك سنة ١١٩٣ .

وكان من جلا حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ، وعمه فراج وأولاده ، وسكنوا في القصب ، ثم ارتحلوا منها إلى ثادق ، وولّد الابنُ محمد بها كما ذكرنا ، وحفظ القرآن ، وتعلم الخط ، وكان خطه فائقاً ، وتكلم بالشعر في صغره ، ومدح عمر بن سعود بن عبدالعزيز بقصائد كثيرة ، ثم سافر قاصداً بلد الزبير ، وهو ابن سبعة عشر سنة ، وصار نابغة وقته في الشعر ، وله أشعار مشهورة عند العامة ، نرجو الله أن يسامحه .

ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧ في الطاعون العظيم الذي عمّ العراق والزبير والكويت ، هلكت فيه حايل وقبايل ، وختّت من أهلها منازل ، وبقي الناس في بيوتهم صرعى لم يدفّنوا : فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فيكون عمره ٤٢ سنة وليس له عقب رحمه الله .

وإخوته زامل وعبدالله ساكنان مع أبيهما في بلد التويم ، وذلك أن إبراهيم باشا لما أخذ الدرعية سنة ١٢٣٣ ارتحلت أنا والعلم فراج من ثادق ، ومعه أولاده ، فسكن العم فراج وأولاده في حرمة ، وأما أنا فسكنت في حوطة سدّير ، فلما كان سنة ١٢٣٨ ارتحلت بأولادي إلى بلد التويم ، وسكنت فيه وجعلته وطناً ، والحمد لله رب العالمين .

الحواشي :

(١) أول مخطوطة (أ) .

وردة الرّجبان : ... (سقط أوله) :

لما سمع سقيم فذمها وأنّ فيها ، ثم سأل عنه اللبلة الثانية فقال : لمن هذا ؟ فقالوا : للوهبة ، فإنّ فيها وحقرها ، ثم جمع بسني اللبلة الثالثة فإذا لها زجلٌ وزلزلة وإحساس لعاملها وعاملها ، فقال : لمن هذه الوردة ؟ فقالوا : لبني وائل ، فرفع صوته وقال : يا بني وهيب أدركوا بلدكم فإنها قد عرفت أهلها ، ما بقي إلا أن يخرجوكم منها ، أو تكونوا رعيةً تحت أيديهم ، فوقع ذلك في قلوبهم وأجمعوا على إجلائهم ، وكانوا إذا كانت وردة بني وائل ظهروا (٢) الوهبة والرّجبان بأهاليهم وسوانيمهم ومناعهم وما يكفهم من الزاد إلى القلعة والمرعى — فيرعون ويبتون ويحشون ما يكفهم إلى وردتهم فإذا رجعوا ظهروا (٣) بني وائل بأهاليهم وسوانيمهم ومناعهم

إلى القلعة وحشوا ما يكفيهم ورجعوا . فانفق رأي الوهبة على أنهم إذا خرجوا (٢) بني وائل أغلقوا الأبواب دونهم ومنعهم من الدخول . فلما رجعوا إذا الأبواب مغلقة ، فقالوا : ما الخبر ؟ فقالوا لهم الوهبة : نحن محاذرون على بلدنا . ولا نرون منا ما تكرهون . وحققكم علينا أن نحن نخدعكم في حرثكم وكذبتكم حتى يُفصد ويُرطب . وكل من له حرث يختار له وكيل منا ، وأنتم توسعوا في بلد الله ، فلم يري (٣) بني وائل بداً من ذلك .

(٢) في نسخة (أ) :

فصار من له كد بوكل عليه وكيل (٢) على كرو منهم وغيظ . حتى أن (حتاب) حين قالوا له : وكل قال : وكيله الشيطان ! نُجلوننا عن نخيلنا وحرولنا وتقولون : وكلوا ١٢ فبقيت كلمته مثلاً سائراً ، فإذا ذم وكيل قيل : وكيل (حتاب) .

(٣) في (أ) :

فذهب مدليج ورهط يعقوب آل (أبورباع) الذين يقال لهم آل حمد ، هوعل ، وبقايا الوهبيين الذين مع مدليج ، وتوجهوا إلى سدير ، وحاصل الأمر أنهم استقروا في التويم ، بعد سكانه له قد درسوا ، يقال : إنهم من عابد ، ويقال : إنهم من عربة ، ويقال : من غيرهم ما حققنا أمره الأول ، وإلا فهو بلد قديم ، قد ذكره صاحب القاموس وذكره السيوطي عن الحمداي — كما مر — فإنه قال لما ذكر عابد بن سعيد : ومنازلهم حرمة وجلالج والتويم ووادي القرى . وهو المسمى سدير — آخر ما ذكر فيا سبق في الفصول .

(٤) في (أ) : فصل في ذكر ذرية مدليج :

اعلم أن مدليج قد أُرث حسين ابنه ، وهو الذي انتقل بأصحابه إلى التويم ، وملكه وكان لحسين أربعة بنين هم : إدريس وإبراهيم ومانع وحسن فنشأوا عند أبيهم في التويم . ثم بدا لإبراهيم الإنفراد ، وارتاد موضع حرمة ، وكان فيها آثار منازل دارسة ، وأبيار تردها البوادي فاستحسنها ، واستأذن أباه بالرحيل إليها فاذن له ، فلما مات حسين بعث بنوه إلى إبراهيم وقالوا : أنت الأكبر وتريد منك الخلف أن تكون أنت الرئيس بعد أبيك فقال : أنتم فيكم الكفاية ، وقد استقر في القرار في منزلي — يعني حرمة — والحال واحدة .

وأما إدريس فأعقب زامل واستقل برياسة التويم ، ثم ولده محمد بن زامل الرئيس المشهور الذي قتل في حرب جلالج ، في الواقعة التي قتل فيها شيخ جلالج إبراهيم ابن سليمان سنة ...

(٥) في (أ) :

ثم إنه نشأ بعد مدليج ابنه حسين ، وتمكن في التويم ، وساد الذين غيره من بني وائل وغيرهم ، وصاروا رعاياه ففاز ذرع أكثرهم ، فذهبوا آل هوعل إلى القصم ، وتزولوا الموضع المسمى بالثقة ، وكذلك آل مبارك المسمون بالتواجر ، تزولوا الطرقة ، وكذلك آل حمد ، بعدما توطنا وبنوا لهم حلة مشهورة بهم ، وقم لهم أمور الجاهت إلى الجلاء ، ففترقوا . وذهب علي بن سليمان رئيسهم إلى ابن معمر ، رئيس القينة ، وأضافه وأكرمه ، فقال : إني قد جشكت في حاجة ، وهي طلب القرب منك ، نريد منزلاً من نواحيك بالخيل . فقال : أطلب ما بدا لك . فطلب منه موضع حرمة ، فأجابه ، واشترأها بثمن معلوم ، وكانت قبله حولة لآل أبي ريشة (ريشة) وناس من موالي الشام (٢) المعروفين ، وقد درسوا وأجلوا عنها ، فنزلها علي بن سليمان ومن معه من آل أبي رباح ، وعمرها وبنوا المنازل ، وغرسوا الفروس ، وتداولها ذرية آل سليمان وآل راشد ، الذي تجمعهم الأحمدية (٢) وكذلك نزل معهم البكور ، وآل داود من بني وائل وصار لهم قسمة في البلد . وزولهم حرمة وعاربتهم لها سنة ١٠٤٥ (١٠٣٥) .

هذا ما بلغنا عن انتقامهم من أشيقر.

وأما آل حُثَيان فنزلوا رغبة.

(٦) في (أ): وقعة القاع جاء ذكرها في كتاب «تحفة المشتاق» بهذا النص: ثم دخلت سنة أربع ومائتين وألف: في هذه السنة وقعة القاع المشهورة بين أهل جُلَاجِل والثَّوَم، قتل في هذه الوقعة محمد بن زامل بن إدريس بن حسين بن مدليج الوائلي، أمير بلد الثَّوَم، وإبراهيم بن سليمان بن حماد بن عامر الدوسري، أمير بلد جُلَاجِل، وناصر بن يزيد، وغيرهم انتهى.

(٧) في (أ): ثم عقب محمد أبناء وهم فوزان (فوزان) وقاثر ومقيز. هاولاء أبناء إدريس المسنون آل زامل. انتهى. وجاء في أخبار حوادث سنة ١١٢٠ من «تحفة المشتاق» ما نصه: وفيها قُتل حسين بن مقيز الوائلي أمير بلد الثَّوَم، قتله ابن عمه فايز بن محمد بن مقيز المدليجي الوائلي وتولى بعده في الثَّوَم، ثم إن أهل بلد حرمة من آل مدليج من وابل ساروا إلى الثَّوَم وقتلوا فايز بن محمد المذكور، ونصبوا فوزان بن مقيز أميراً في الثَّوَم. ثم غدر ناصر بن حمد في فوزان المذكور فقتله، فتولى في الثَّوَم محمد بن فوزان، ثم تملاً عليه أربعة رجال وهم البُغَرُوح وحمد بن عثمان الخزيمى وزامل بن إدريس وأخوه عبدالله فقتلوه، وقسموا البلد أربعاً كل واحد شاخ في رُبع منها، فسُموا المربعة، وانهزم عبدالله بن فوزان ومقيز بن حسين إلى بلد جُلَاجِل.

(٨) في (أ): وأما مانع بن حسين فذريته يقال لهم آل مانع، وغلب على أكثرهم اسم حَزِيم، لقب لجدهم فهم الآن يقال لهم آل حَزِيم.

(٩) في (أ): آل جبطل ونااس مهمم، اختلطوا بآل مانع. وتَسَمَّوا بالمفاعة. انتهى وتقدم في الحاشية ذكر (البُغَرُوح) بكسر الميم واسكان الفاء.

(١٠) في (أ): وأما إبراهيم بن حسين — جده أهل حرمة — كان له من الولد أربعة: محمد وحمد وإسماعيل وعبدالله، فصاروا آباءً لأربعة بطون، وصارت رئاسة البلد مشاعة بين الأربعة، لا يختص بها واحداً عن الآخرين انتهى.

وفيها أيضاً: وقد ذكرنا لنا آل شبانة حمد بن عثمان وأخوه محمد أنهم رَوَّوا عَمَّنْ قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريباً، نحو السبعين ومائاً مئة، وظهور الجمعة بعد نزول إبراهيم بمئتين سنة، لأن الذي اختط الجمعة وسكنها هو عبدالله الشَّعْرِيُّ الفارس المشهور كان خيلاً عند حسين بن مدليج فداوياً بمنزلة الوزير، فلما توفي حسين أقام مدة عند أولاده، ثم اختار جانب إبراهيم فانتقل إليه في حرمة فسكن عنه زماناً على حشمة ووقار، ثم طلب من إبراهيم أن يبرز في منزل على حدته، يتوسع فيه ويحترث ويفرس هو وذريته، ومن التجأ إليه، فأذن له.

(١١) في (أ): فذرية محمد بن إبراهيم الجدل لصلبه: حمد وإبراهيم ومانع.

فأما حمد فأرث محمد، وحمد أرث إبراهيم وعبدالله ومدليج. ومانع.

وإبراهيم أرث حمد وناصر وحمد وعثمان، وآخر ذرية إبراهيم بن محمد أحمد، وانقرضوا.

وكذلك مانع ومدليج انقرضوا.

وأما عبدالله بن محمد بن محمد بن الجدل إبراهيم فأولاده أربعة:

عثمان — الذي قتله أخوه خضير.

وحمد العميق. وناصر وخضير. وانقرضوا أيضاً إلا ذرية القليل فإنه أعقب عبدالله، وهو الآن باق، سلمه الله تعالى. — وقت التاريخ. — لاستيلاء سنة ١٢٥٥. وله طفلان (٩) ولابنه الذي توفي طفل ومن يلحق

آل محمد : عبدالله الملقب أبو بابشلق (بابشلق) وابن ناجم ، وانقرضوا .
وأما مانع بن محمد بن الجذ الأكبر إبراهيم فذريته آل المعبي (آل المعبي) .
وأما إبراهيم بن محمد بن الجذ إبراهيم فأرث مانع (؟) ومانع أرث إبراهيم وعثان ومحمد .
وإبراهيم بن مانع المذكور أرث عودة الذي قتله أهل العارض ومانع ومحمد .
وعودة أرث إبراهيم ومحمد . وإبراهيم أرث عودة وعبد العزيز ، فيكون عودة الموجود حال التاريخ — ابن إبراهيم بن عودة بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الجذ .
هاؤلاء آل محمد ، يجتمعون في محمد .
(١٢) (أ) : وأما عبدالله بن الجذ إبراهيم فذريته الآن يسمون الحسنات لقب على بهم والافالحسية عامة القبيلة كلها يقال أولاد الحسين .
فأعقب عبدالله محمد وأعقب محمد عبدالله الثاني ، وولد لعبدالله حمد أبو عثان وعبد الوهاب أبو ماضي ومحمد وخضير ، ومحمد أبو زامل وحسين وجاسر ومنصور أبناء لعبدالله أيضاً .
وأما حمد وعبد الوهاب ومحمد ومنصور وجاسر فاطمة بنت عبد الوهاب بن سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ودخلت سنة خمس وخمسين بعد المئتين والألف والموجود من ذراري من ذكرنا من ذرية عثان : إبراهيم بن جاسر بن عثان . وعلي ومنصور ابنا حمد بن جاسر بن عثان ومن ذرية عبد الوهاب خمسة غلخان ابنا حمد بن ماضي بن عبد الوهاب والباقون انقرضوا .
(١٣) في (أ) : وأما اسماعيل بن الجذ إبراهيم فأولاده لصلبه مانع وحمد وعثان ، فأما مانع فأستعت له الدنيا ، وملك في حرمة عقارات كثيرة . وَفَقْنَا عَلَى أَهْلَانَا فِي وَثِيقَةٍ لَهُ مَوْفَقٌ جَمِيعَ عَقَارَاتِهِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُولِدَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَوَقْتُ التَّوْقِيفِ سِتَّةَ ثَمَانِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ وَالثَّوِيقَةِ عِنْدَنَا مَخْطُ الْقَاضِي أَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدٍ التَّوْبِيرِيِّ وَذَكَرَ أَنَّهُ نَقَلَ مِنْ خَطِّ عَبْدِ الْقَادِرِ الْعَدِيلِيِّ ، وَذَكَرَ عَبْدُ الْقَادِرِ أَنَّهُ نَقَلَ مِنْ خَطِّ الْعَالِمِ الْقَاضِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ سَيْفٍ وَهُوَ عَالِمٌ مَشْهُورٌ فِي زَمَنِهِ وَصُورَةُ تَرْجُمَةِ الْوِثِيقَةِ (السبب الداعي لتحريره ، هو أن المكلف العاقل الرشيد مانع بن اسماعيل بن إبراهيم بن حسين بن مدليج قد وقف وحبس عقاراته الكائنة في القرية المسماة حرمة وهرن حائطه المعروف بالعميري ، وحائطه المسمى بالعادية والمسمى فيد سليم ، وأرضه المعروفة بطالعة المريسة ، وداره المعروفة بعقدة حرمة ، ومخزنه الذي يلي دار أخيه حمد — وذكر فيها أن الوقف على ابنته فائزة وشايعة ومن سيولده بعد ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، ثم على أولادها وأولاد من سيجده من ولده فإن انقرضوا صرف للمستحق من إخوته عبدالله وحمد وعثان وأولادهم وذكر أيضاً شقوق (؟) تابعة المقارنات المسماة هذا ما اختصرنا منها فاستفدنا منها أموراً منها تحقق النسب ، ومنها معرفة أبناء اسماعيل أنهم أربعة ومنها تقدم غراس حرمة لأن أملاكه التي ذكر مملوكة قبله وبالغة أشدها كما سميت بملاكها .

وقد ذكروا (؟) لنا آل شبانة حمد بن عثان وأخوه محمد أنهم حرروا عمن قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريباً نحو السبعين وثمان مئة . وظهرت الجمعية بعد نزول إبراهيم بمخمين سنة لأن الذي إخطت الجمعية وسكنها هو عبدالله الشَّيرِي الفارس المشهور ، كان خيلاً عند حسين بن مدليج فداوياً بمنزلة الوزير ، فلما توفى حسين أقام مدة عند أولاده ، ثم اختار جانب إبراهيم فانتقل إليه في حرمة فسكن عنده زماناً على حشمة ووقار ، ثم طلب من إبراهيم أن يبرز في منزل على جذية ، يتوسع فيه ويحرق ويغرس هو وذريته ومن التجأ إليه ، فأذن له فأشار على إبراهيم أولاده أن يجعل في هذا الموضع ، ولا يجعله أسفل منهم فيتسع ويكدر عليهم المراعي ، فلما إخطت منزله فيها صار من جاء من بني وائل أو غيرهم يريد النزول عند إبراهيم

يقول : انزل عند آل عبد الله خوفاً من تضييقهم عليهم في المزارع والمراعي ، وغاب عنهم نظر العواقب من جهة السيل ، ومن جهة وقوع المشاجرة ، فيما بعده شيئاً وقع من الهذور . ولزجج إلى أبناء إسماعيل فنقول : كان مانع المذكور أكثر أبناء الجدد إبراهيم عقارات وأثاثاً ، ثم إنه بعد توقيفه عقاراته ولد له عبد الله المشهور ، وقوتٌ وعوُشٌ المشهورة بالجمال والخلق الكثير ، الذي تضرب به الامثال . وتدل عليها عبد الله بن محمد بن معمر رئيس المعارض المشهور فخطبها وتزوجها وسارت إلى النسيئة معه في هودج وأبهاء وموكب حافل . وأما عبد الله بن مانع المذكور فإنه قام مقام أبيه بعد وفاته وازداد بشيء من العقارات منها القويسمي وقيد (أبا عود) وأشقاوص غيرهم في الفاضلية وفي طالعة عون ، وأوقفهن تبعاً لأبيه على ذريته للذكر مثل حظ الأنثيين ، وكان له من الولد حبيثذ فوزان ، وحمد ، وخمس بنات وهنّ : لولوة وموضي وقوت وزاهرة وبثا . وكان إيقاف عبد الله أملاكه بخط عبد الله بن عيسى المويس سنة ١١٦٢ وهي سنة الغلا والحل المعروف بشية (بشية) فيكون بين إيقافه وإيقاف أبيه اثنين وعثمانين سنة .

(١٤) في (أ) : وأما إخوة مانع بن إسماعيل وهم عبد الله وحمد وعثمان فلمهم ذرية انقرضوا مثل مهوس وغيره ولم يبق إلا ذرية عون .

وعون أبوه حمد بن إسماعيل ، وأزث عون إبراهيم ، وأزث إبراهيم حمد ، وهو أبو إبراهيم وضاحي وكان لهم عقارات في البلد مثل جبيرة وطلالة عون وغيرها وكان بنو إسماعيل أكثر بني معهم عقارات . وكان إسماعيل وأخوه حمد ابنا الجدد إبراهيم شقيقين ، دون أخويهما محمد وعبد الله وكان يلتجئ بعض ذريتهم إلى بعض ، ويكونون بدأ واحدة على بني معهم بالولولة والحمية وكف الأذى ، لأن آل حمد أكثر عدداً بالرجال .

ودخلت السنة الخامسة والخمسون بعد المثني والألف والموجود من آل إسماعيل الركن الشديد ، والحسن الشديد ، الجواد المفيد ، ضاحي بن محمد بن إبراهيم بن عون بن حمد بن إسماعيل وابن أخيه محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عون .

ومن ذرية مانع ولد فرج بن حمد نال الله أن يتمتع بهم ، وينشئ لهم ذرية الذين ذكرهم الشاعر النبيل حيث يقول :

إذا ما مات ذو علم وتَفَوَّى	فقد قُلِمَتْ من الإسلام ثُلُمَةٌ
وموتٌ في كُتُبِ الجود محلٌ	لأن بقاءه خُصْبٌ ونُفْعَةٌ
وموت الساجد الملك المولى	لأمر الناس جائحةٌ وقُضْمَةٌ
وموت السابد الأواب نَقْصٌ	في لُقْبائه للأرواح نَسْنَةٌ
وموت الفارس المقدم وهنّ	وكسَم دَقَقَتْ شجاعتهُ مُهْمَةٌ
فَحَبَبُكَ خَسْمَةٌ يُنْكِي عليهم	وموتُ القُفَر تخفِيفٌ ورُحْمَةٌ

وقد فقد موت الابن السعيد ، الصالح الشهيد أحمد بن ضاحي خير كثير ، وقَفَدَه جَمُّ غَفَر ، وهو غُصْن من شَجَر ، ونهر من بحر ، فالحرحم شابه ، ويخلفه يَعدُّ من أضرابه والأمر كما قيل :

لممرك ما الرزئة قَفْدُ مَالٍ	ولا شاةُ تَمُوتُ ولا بَعِيرٌ
ولَكِنْ الرزئةُ قَفْدُ شَخْصٍ	يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

(١٥) في (أ) : وأما حمد بن الجدد إبراهيم — أحد الأربعة من بني — فأعقب ناصر وحسين ومبارك وإبراهيم . وأما إبراهيم فأعقب عبد الله الملقب بالبابس وانقرض نسله .

وأما مبارك فلم يبق من نسله إلا سويد الذي من نسله سعدون وناصر وحمد ، ولهم بقية في البحرين إلى

الآن عقاراتهم في حرمة قد درست وانتقلت وهن البداريات والبديع وما يلين .

وأما حسين بن حمد فن ذريته حسين بن عثمان المصم لقباً وأخوه محمد (بياض) محمد وحمد (بياض) العقيل وحمد بن حسين الذي من عياله محمد الحرني وعلي وحسين لقبوا بالحراباً لأنهم نشأوا في المدينة وأخوانهم من حرب .

(١٦) في (أ) : وأما ناصر بن حمد فأعقب حمد وعون وعثمان ، وعون أعقب تركي ، وتركبي أعقب ناصر الذي قتلوه (٢) آل محمد في مغيرا وانقضوا .

وحمد بن ناصر لم يعقب ذكوراً وهو الذي غرس الناصرية في حرمة والحويط الذي قريب من العقدة ، وخلف ابنتين غالية وشايعة ، غالية تزوجها ابن عمها ناصر بن عثمان ، وولد له منها محمد وعلي .

وشايعة تزوجها عبد الرحمن بن عقيل وولد له منها محمد ومريم أم بعض عيال عبدالله بن حسن .

(١٧) في (أ) : وأما نسل عثمان بن ناصر بن حمد بن الجد إبراهيم فهم ناصر وعبدالله وحمد .

فدريه حمد لم يبق منهم إلا فوزان ، وعبدالله أعقب عثمان ، يلقب عبوس ، وعثمان أعقب عبدالله ومحمد الذي تغرب للشمال قبل تدمير حرمة بعدما تزوج شايعة بنت محمد أخت جامع البتة ، وهو الملقب هناك بمحمد الوابلي ، ثم نسب هناك بعد رحلات وأسفار وطلب أن تحدر عليه زوجته فتولون مسيرها وشقت به الغربة فتزوج غالية بنت الفريح العنقري التي بعد محمد بن إبراهيم بن عون ، ثم بعد ذلك حدثت عليه زوجته فأولدها ثلاث بنات وتوفي هناك فاستخرجها أخوها حمد الوابلي إلى نجد ، وكفلها وكفل بناتها حتى زوجهن من أكفاهن ، وهن بالقيات حال التاريخ ولهن ذرية .

ومن أهلنا من ذرية مبارك جد سويد حمد الوابلي الشجاع الشاعر المشهور الذي غاضب رفاقته حين أغضبوه وعتبوا عليه من قبل دخوله حايط سيف القريحي المسمى بالفاضلية الذي في جنب الناصرية نخل ابن عمه ، وأخذ العناقد من عتبه هو وممشر معه ، حين تبعوا طائراً يرمونه فتشوه عليه سيف القريحي وقطع غصون (٢) من العتبه ودخل بها يجرها على حمار وقال : اليوم يتوصل للعتبه وبعده على البنات ، واصطفقوا عليه رفاقته حمية لجارهم الشمرى فاج عنهم وانتقل إلى العراق وبعث إليهم قصيدته المشهورة التي أولها :

على الناس دالوب الزمان يدير	وخيل الليالي بالفجأة تغير
ومن عاش في الدنيا ليال كثيرة	سوا ذلك والي يموت صغير
ومن عاش في الدنيا ولو شب مترف	فصيرها تبحت كداه أخير
ولو كان في حق من العاج مطبق	فلا عن مقادير الإله يطير

إلى أن قال : —

أنا حمد لا بد ما تذكروني إلى طين في بعض المواقف زير
ثم إن رفاقته حنا عليه وأمروا شاعرهم المشتق يحاويه بشير يزيه فيه ، يحذاه على الظهور فجأبه بالشعر الذي يقول فيه :

يوم أنت في حوران تثل مطابخ	وأهلك من خبز المنود خبير
ونحن نصالي في سدبر قبابل	نعدل في ملاثها وندير
ونصير على أكل الهيد وخلطه	قصيل وعيش المصنات شعير

وظهر من رحلته قانص قتل المشتق على غرة فلما قربت الرحلة من حرمة سبقهم ، ودخل معلق بندقه وصوت للمشتق في بيته في الليل وقال : غريب مبعوث إليك بغرض ! وقال : ما في الليل قصي أغراض ولا

أفتح بابي في الليل !! فقال : طُل عليّ مع الفرجة أخبرك . وقد بشم القليلة لرميه فانتبه المشتق وقال : إن كان
الوالي حيّ فهو أنت وأنا شاحٌ بعصري ، وثابت عما مضى من أمري ، فلما انتكث أمره عدل إلى الجمعة وأصبح
فيها ، فلما علموا رفاقته مشوا إلي وأرضوه ، ورجعوا به معهم إلى حرمة على وقار وحشمة .
(١٨) في (أ) : وأما ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن الجدل إبراهيم فأعقب ستة بنين :

محمد وعلي وعبدالله وعثمان وفراج وفوزان .

فمحمد وعلي أمهما غالية بنت حمد بن ناصر .

وعبدالله وعثمان أمهما أخت عثمان بن حمد الحسيني .

وفراج وفوزان أمهما موزي بنت محمد القفيعي .

ولم يعقب منهم ذكوراً إلا ثلاثة محمد وعبدالله وفراج فأعقب محمد حمد .

وولد لحمد ثلاثة بنين زامل وناصر وعبدالله .

وأعقب عبدالله ناصر وولد لناصر عبدالله وإبراهيم .

وأعقب عبدالله ناصر موجود حال التاريخ .

وأعقب إبراهيم ناصر ونحته طفل .

وفراج أعقب فوزان وناصر وزيد .

فناصر أعقب عبد العزيز .

وزيد أعقب ثلاثة فوزان ومحمد وفراج موجودون حال التاريخ .

ودخلت السنة الخامسة والخمسون بعد المئتين والألف والموجود من آل حمد .

ذرية حمد بن الجدل إبراهيم خمسة عشر ما بين الصغير والكبير .

حمد وبنوه أربعة .

وزيد وبنوه أربعة .

وناصر بن إبراهيم .

وابن عمه ناصر بن عبدالله .

وعبد العزيز بن ناصر بن فراج .

وابن ناصر بن محمد بن حسين العمم .

وفوزان بن حمد بن عثمان .

وبني عمهم الذين من ذرية سويد بن مبارك في البحرين مالى بهم خير حال التاريخ .

وسويد بن مبارك بنفسه خاله ناصر بن عثمان أبو محمد وفراج .

وأما علي بن ناصر وعثمان بن ناصر فلم يعقبوا (؟) إلا بنات وانقرضوا .

وأما فوزان بن ناصر قتله آل مرة مع غزو ابن سعود ولم يعقب .

هذا ما أحاط به علما من هذه القبيلة وإنما ذكرنا الأطفال وبعض النساء والأصهار تذكراً وتنبهاً للحي
منا ، ولئن يأتي بعدنا ، حفظاً للنسب وكرم للمصاهرة ، وتنبهاً لمن أراد المواصلة من الأحياء ، ومن بعدهم كما
في الحديث : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، والله سبحانه أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم .

العرب في القرن السابع

من كتاب «مسالك الأبصار»

— ٢ —

[نشر القسم الأول في جزء رمضان (من ص ٢٧٤ إلى ٣٠٠) وتحسن الإشارة إلى أن النسختين المخطوطتين من كتاب «المسالك» سيكتنا الحظ ، كثيراً التّخريف فلم أستطع تقويم جميع الأخطاء ، إلا أن كل ما ذكر ابن فضل الله عن القبائل نقله القلقشندي في كتابه ، صبح الأعشى ، و نهاية الأرب ، وقد طبعا وهما مشحونان بالأغلاط ، ثم جاء السّويدي فأورد في كتاب «مسالك الذهب» ما في كتاب «نهاية الأرب» .
لهذا يحسن بالقارئ المتبع التحرّي للدقة الرجوع إلى الكتب الثلاثة مع تاريخ ابن خلدون .]

وأما طوائف العرب الموجودين في زماننا فهم :

عرب الشام :

ثعلبة الشام ، تلي مصر إلى الخربة . وهم من درما إلى غياث الجواهرة ومن الحنابلة ، ومن بني وهم ، ومن الصيحيين . ومن أحلافهم فرقة من النّعيميين ، ومن المعار والحنان .

ثم جرّم ، وهي ببلاد غزة والداروم ، مما يلي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام .

وفي العرب جروم كثيرة : جرّم قضاة ، ومنهم بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف .

وجرم بَجيلة .

وجرم عاملة .

وجرم طي .

ومنها هاؤلاء الذين نحن في ذكرهم . قال الحمداني : واسمه ثعلبة ، واسم أمّه جرّم فحضنته فسُمّي بها . وهو جرم بن الغوث من طي .

وهم شمعان ، وفران ، وجيّان ^(١) . وقال : وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام ، يداً

مع الإفرنج على المسلمين ، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد جاءت ثعلبة وطائفة من جرم ، ومُصّر وبقيت بقايا جرم مكانها .

قال والمشهور من جرم هذه الآن : خزمية^(١) ، ويقال : إنَّ لهم نسباً في قریش ، وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم ، وقال آخرون : بل من خزمية بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر .

قال : وخزمية هذه : آل عوسجة ، وآل أحمد ، وآل محمود . وكلهم في إمارة شاور بن سنان ، ثم في بنيه ، وكان لشاور أخوان ، فيها سُوْدُدٌ ، وهما غانم وخضر ومن هاؤلاء خُزمية : جايح الزايدين ، جماعة منصور بن جابر ، وجماعة عامر بن سلامة .

ومنها بنو أسلم ، قال : وهذه أسلم من جذام ، لا من خزمية لكنّها اختلطت مع خزمية^(٢) ومنها شبل ورصيفة جرم ، وسعور ، والورره ، جماعة علي بن رميح ، والأحامدة والرمثة ، وكور من جرم جماعة جابر بن سعيد ، وموقع وكان كبيرهم مالك الموقعي ، وكان مقدما عند السلطان صلاح الدين وأخيه العادل .

ومنها بنو غور قال : ويقال : انهم من جرم بن جرم بن سنيس . ومن هاؤلاء : المعاجلة والصمان والعبادلة ، وبنو تمام وبنو جميل .

ومن بني جميل : بنو مقدم .

ومن بني غور أيضاً : آل نادر وبنو غوث وبنو نهي ، وبنو خولة ، وبنو هرماس ، وبنو عيسى ، وبنو سهيل وأرضهم الداروم ، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاروهم قوم من زبيد تعرف ببني فهيد ، ثم اختلطوا بهم .

قال الحمداي : فهذه جرم الشام ، وحلفاؤهم ومن جاورهم ولاذ بهم .

وبنو جابر تدمري من غرة ويعرف بالحريث ، جماعة فهد بن بدران .

وأماً بنو صخر ، وهم الدعيجيون والعطويون والصويطيون فبلادهم ما حول الكرك ، ومنهم طائفة بمصر ، وبنو خصيب وهم أشات بمصر والشام .

وبنو هوير ، ووفد منهم طائفة على المُعَزَّ أَيْك بمصر ، وبقيتهم في الشام .
وبنو مَرَّة خفراء القدس ، وبنو قنص وبنو شجاع بالقدس أيضاً . والعناترة ببلد
الخليل عليه السلام ، وبنو أيوب بجنين .

وبنو سمير بن قيس خفراء عور الكافرين ونمرين ^(٣) .
وبنو وهدان بجبل عود ^(٤) .

وبنو عمر عرب الصلت ، ومرجعها إلى جذام .
بنو طريف من جذام ، ومنهم مبشر وعجربة ، ومهدي .
وبنو مهدي منهم المشاطية ، ومنهم أولاد ابن عسكر .
ومن الأدعيا جماعة نهم .

ومن بني مهدي أيضاً : العناترة جماعة أولاد راشد ، والنيرات ، ^(٥) واليعاقبة ،
والمطارفة والعفين ، والرويم والقطارية وأولاد الطائية ، وبنو دوس ، وآل يسار ،
والمخابرة ، والسماعة والعجاربة ، من بني طريف . كان شيخهم مسعود بن جرير ، ذا
مكانة عند ولاية الأمور .

وبنو خالد والسلمان والفرانسية ، والدراالات والجلالات ، والمساهرة ، والمغاورة ،
وبنو عطا ، وبنو مياد ، وآل شبل وآل رُوَيْم — وهم غير الرويم — والمخارقة ، وبنو
عباض .

وهاؤلاء ديارهم البلقا إلى ما يوالي الصوان ، إلى علم أعفر . وهاؤلاء بالبلقا طائفة
من حارثة ، ولهم نسب بقري بني عقبة .

ومن بني مهدي أيضاً : بنو داود . وجماعة فضل بن عليم من المشاطية ، وجماعة زايد
بن بھير من العناترة . وجماعة قرشة بن جريان من السماة ، وجماعة غضبان بن عمر بن
جرير من العجايرة ، وجماعة سلمان العبادي من بني عباد ، وجماعة عساكر بن حياش ،
وهاؤلاء ديارهم حول الكرك .

وبنو جوشن خفراء الموجب ، وبنو نعيمة من هلبا خفراء الزويرة ، وبنو عجرة
خفراء الرقطانة والحسبة من بني عقبة .

وعقبة من جذام : وديارهم من الشوبك إلى حسنا إلى تبوك ، إلى تَمَا إلى برد ورواف^(٦) ، إلى الحريدا^(٧) وهي شرقي الحجر . وآخر أمراءهم كان شطحي بن عبيّة ، وكان سلطاننا الملك الناصر قد أقبل عليه إقبالاً أحلّه فوق السباكين ، وألحقه بأمرآة آل فضل ، وآل مرّاء ، وأقطعه الاقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف الكبير ، وأجزل له الحيا ، وعمر له ولأهله البيت والخبأ .

وبنوزهير عرب الشوبك أيضاً . والحريث وهم بالساحل الغزاوي ، وغزوا عسقلان أيام الملك الصالح مع بيبرس الكنجي ، فأقطعهم هناك .

وبنو سعيد عرب صرخد ، وهم من سعد جذام .
وزُبيد فرق شتى بصرخد منهم ، وبغوطه دمشق ، وبيلاذ سنجار ، وبالحجاز وباليمن .

والذين بصرخد منهم : آل مياس وآل صني ، وآل صيني ، وآل برة وآل محسن وآل جحش وآل رجا .

وبغوطه دمشق آل رحال وآل بذاك ، والروس ، والحريث ، وهم جماعة نوفل الزبيدي .

وأما ربيعة : وهم ملوك البرّ ، وأمراء الشام والعراق والحجاز فهم آل فضل وآل مرّاء ، وآل علي من آل فضل قال الحمداني : وربيعة رجل من سلسلة نشأ في أيام أتابك زنكي وولده نور الدين — رحمهما الله — ونبغ بين العرب ، قال : ويقال إن أباه رجل من علقي . قال : وتقول ربيعة الآن إنه من ولد جعفر بن يحيى بن خالد الدين برمك . قال : وليس هذا بصحيح .

قلتُ : وأصلهم إذا انتسبوا إليه أشرف لهم ، لأنهم من سلسلة بن عنين بن سلامان من طي ، وهم كرام العرب ، وأهل البأس والنجدة فيهم . والبرامكة وإن كانوا قوماً كراماً ، فإنهم قوم عجم ، وشَتان بين العجم والعرب ، وقد شرف الله العرب إذ بعث منهم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ، نبيّه ، وأنزل فيهم كتابه ، وجعل فيهم الخلافة والملك ، وابتر بهم مُلك فارس والروم ، وقرع بأستنهم تاج كسرى وقيصر ، وكفى بهذا

شرفاً لا يطاول ، وفخراً لا يتناول .

قال المهندار الحمداني : وزعموا أنهم من ولد جعفر ، من أخت الرشيد التي عقد له عليها — كما قالوا — لتخرج عليه على أن لا يطأها فوطها على حين غرة ، فحبلت بغلام كان هذا ربيعة من بنيهِ . قال : وهذا الخبر ليس بصحيح ، وإن كان صحيحاً فقد دفت المرأة وولدها ، كما قيل في تمام الحكاية ، ولم يعلم لها أثر . قالوا : وكانت نكبة البرامكة بهذا السبب وما يدل على بطلان هذه الدعوى ما نُقل عن ثقات أن مسروراً الخادم سُئل عن سبب الإيقاع بالبرامكة فقال : كأنك تظن حديث المرأة صحيح ، وأن الإيقاع بهم كان بسببه ؟ فقلت : نعم . فقال : ما لهذا الخبر صحة ، وإنما حسد موالينا وملكهم . قلت : ولا يبعد ذلك من ملك الملوك ، ولا سماً البرامكة كان قد علا صيتهم ، وانتشر ذكركم ، وكثرت فيهم المدائح ، وقصدتهم الشعراء ، ووفدت عليهم الوفود ، حتى تضاعفت الخلافة بهم .

قال الحمداني : والأصح في نسب ربيعة هذا أنه ربيعة بن حازم بن علي بن مُعْرج بن غفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعد بن حرب بن سكين بن رفيع بن علق بن حوط بن عمر بن خالد بن معبد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غم بن ثوب بن معن بن عتود بن عُنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي . فهذا ما ذكره الحمداني وأما نسب ربيعة إلى برمك فقالوا : ربيعة بن سالم بن شبيب بن حازم بن علي بن يحيى بن خالد بن برمك .

قال الحمداني : ولد ربيعة أربعة : فضل ومرا ، وثابت ودغفل ، وسندكرهم على ما هم في وقتنا ، على ما ذكره لي محمود بن عدام من بني ثابت بن ربيعة .

قال : فضل منهم آل عيسى ، وقد صاروا بيوتاً ، بيت مُهْثَا بن عيسى ، وأميرهم وأمير سائر آل فضل أحمد بن مُهْثَا ، وبيت فضل بن عيسى وأميرهم سيف بن فضل ، وبيت حارث بن عيسى ، وأميرهم قناة بن حارث .

وأما أولاد محمد بن عيسى ، وأولاد حديثة بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى ، فَبُتَّاعٌ .

وهذا البيت أسعد بيت في العرب في وقتنا الذي أشرقت فيه طوالع سعودهم ، وأنتع منهم مُخضِرُ عودهم ، وأما بقية بيوت آل فضل فيهم آل فرح ، والأمير فيهم زيد بن طاهر وغانم بن هبيرة ، وآل سميطة والإمارة فيهم في صافية بن حجيرة بن الصميد . وآل مسلم والإمارة فيهم في طامي بن عياش ، وآل عامر ، والإمارة فيهم في بني عامر بن دراج وأما آل علي فيهم وإن كانوا من ضئضي آل فضل ، فقد انفردوا منهم ، واعتزلوا عنهم ، حتى صاروا طائفةً أخرى ، وسيأتي ذكرهم — فهاؤلاء آل فضل .

وأما مَنْ ينضاف إليهم ويدخل فيهم فن يذكر ، وهم زغب والحريث وبنو كلب وبعض بني كلاب ، وآل بشار — وهم موال — وخالد حمص ، وطائفة من سنيس ، وسعيدة وطائفة من فريز ، وبنو خالد الحجاز ، وبنو عقيل من كرز ، وبنو دميم ، وبنو حي ، وقران ، والسراحين .

ويأتيهم من عرب البرية من يذكر : فن غزيرة غالب وآل أجود . والبطنين وساعدة .

ومن بني خالد : آل جناح والضبيات من مياس ، والجبور والدعم والقرشة ، وآل منيخر ، وآل بيوت ، والمعامرة ، والعلجات وهاؤلاء من خالد .

وفرقة من عايد ، وهم آل يزيد وشيخهم ابن مغامس ، والمزايدة ، وشيخهم كليب بن أبي محمد ، وبنو سعيد وشيخهم محمد العليمي ، والدواسر ، وشيخهم روا بن بدران .

هاؤلاء غير من يُحالفهم في بعض الأحيان ، على أنني لأعرف في وقتنا من لا يؤثر صحتهم ، ويظهر مودتهم .

وأمر القوم — كما تقدم — أحمد بن مهنا . وهذا نسبه إلى ربيعة : أبوه مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حذيفة بن غصية^(١) بن فضل بن ربيعة .

وديارهم من حمص إلى قلعة جعبر ، إلى الرحبة آخذين على سبي الفرات وأطراف العراق ، حتى ينتهي حدهم قبله بشرق إلى الوشم ، وأخذ من يسار إلى البصرة ، ولهم

مياه كثيرة ، ومناهل مورودة :

ولها منهل على كُلِّ ماءٍ وعلى كل دمنَةٍ آثارُ

قلت : وكان من خبر هذا البيت الذي رفعت عُمُدُهُ وشُدَّ بطنب الجوزاء وتَدَّهُ ، يَدُّ سلفتَ لعيسى بن مَهْنا عند الظاهر بيبِرسَ حال تشريده وتطريده ، احتاج فيها إلى فرس يركبه ، فبالغ في إكرامه ، وأركبه خير خَيْله . فلما ملك قلده الإمرة ورقاه ، وأنهله ريَّ الأمل ورواه ، ثم لم [يزل] يزداد سُمُوًا ، ويزرقى علُوًا حتى مات :

وقلَّد في الأيام المنصورية مهنا ولده الإمرة ، وعظم بنفسه وبأبيه ، وعُرف بعلوِّ الحمم ، وبلغ المرجو من رعاية الذمِّ وعفٍّ عن الفواحش إلا اللَّمَم ، فزاد قدره ارتفاعاً ، وصدره إتساعاً .

قلت : هذا البيت أوله رجل من طي ، من بني سلسلة بن عنين بن سلامان ، نشأ هذا الرجل في أيام أتابك زنكي وأيام ولده نور الدين الشهيد — كما تقدم — وقدَّ عليه فأكرمه ، وشاد بذكره .

وإلى هذا عنين ينتسب كلُّ عرب عُنين من كان من ولده أو من حلفائه ، أو من استخدمه الأمراء الذين من ولده .

ومهنا جدُّ مهنا هذا أبو أحمد الأمير الآن ، هو الأمير مانع بن حُدَيْثَة بن فضل بن ربيعة الطائي الشامي التدمري ، وكان أمير عرب الشام في دولة طغتكين ، صاحب دمشق .

ولم يصرح لأحد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر ، أخِي السلطان صلاح الدين ، أمر منهم حُدَيْثَة ، ثم إنَّ ابنه الكامل قسم الإمرة نصفين نصفاً لمانع بن حُدَيْثَة ، ونصفاً لغنام أبي طاهر بن غنام ، ثم إنَّ الإمرة انتقلت إلى أبي بكر بن علي بن حُدَيْثَة ، وعلاً فيها قدره ، وبعد صيته ، فلمَّا كان من البحرية ما كان ساقَت تصاريِف الدهر الملك الظاهر بيبِرس إلى بيوتهم ، وهو طريد مشرَّد ، ولم يكن قد بقي معه سوى فرس واحد يُعَوَّل عليه ، فسأل عليَّ بن حُدَيْثَة فرساً

يركبه ، فلم يعطه شيئاً ، وكان ذلك بمحض من عيسى بن مهنا ، فأخذته عيسى ، وضمه إليه وآواه وأكرمه وقراه ، وخيره في رباط خيله ، فاختر منها فرساً ، فأعطاه ذلك الفرس ، وزوده ، وبالع في الإحسان إليه ، فعرفها له الظاهر ، فلما تملك انتزع الإمرة من أبي بكر بن علي وجعلها لعيسى بن مهنا ، وأتاه أحمد بن طاهر بن غنام ، وسأله أن يشركه معه في الإمرة ، فأرضاه أن يعطيه إمرة بيق وعلم ، وبقي أبو بكر بن علي شريداً طريداً ، تارة بنجد ، وتارة بأطراف الشام إلى أن مات . وأمنه الملك الظاهر غير مرة ، وحلف له ، فإ وثق به ولا اطمأن .

ثم إن درجة عيسى بن مهنا علت عند الملك الظاهر ، ولم يزل مُعظماً إلى أن مات . ثم إن الإمرة صارت لولده الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى في أيام الملك المنصور قلاوون ، وعَلَتْ مكانته في أيام المنصور أكثر من مكانة أبيه .

حكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الشنا محمود وقال : حضرت طرنطاي المنصوري ، وهو مخيم بالخربة ، وقد حضره أحمد بن حججي أمير آل مرا ، يدعي بألف بعير ، أخذتها آل فضل لعربه ، ومهنا حاضر ، وكل منها جالس إلى جانب من طرنطاي ، فالتح أحمد بن حججي في المطالبة ، واحتد ، وارتفع صوته . ومهنا ساكت لا يتكلم ، فلما طال تمادي أحمد في الضجيج ، وتمادي مهنا في السكوت ، أقبل طرنطاي على مهنا . وقال : ما تقول يا ملك العرب ؟ فقال : وما أقول ؟ نُعطيهما ما طلبوا ، هم أولاد عمنا ، وإن كانت لهم عندنا هذه البعيرات أعطيناهاهم حقهم ، وإن كان ما لهم شي فما هو كثير إذا أعطينا بني عمنا من مالنا . فقال له أحمد : إلا قلْ تكلم !! وزاد في هذا ومثله . ومهنا ساكت فلما زاد رفع مهنا رأسه إليه وقال له : يا أحمد إن كان كلامك عليك هين ، فكلامي علي ما هو هين ، وهذه الأباغر أقل من أن يحصل فيها كلام ، وأنا معطيك أيأها . ثم قام . فقال طرنطاي : هكذا والله يكون الأمير !!

ودام مهنا على هذا حتى مات (١) الدولة الأشرية .

ولما خرج الأشراف لفتح قلعة الروم مرّت العساكر بسرمين ، إقطاع مهنا ، فأكلت زروعها وأتت أهلها فشكوا إلى مهنا أذية العساكر ، فشكى إلى الأشراف ، فغز عليه ،

واستنقصَ همته . وقال : كم جهدنا أو حتى تواجهني بالشكوى ، وما كان يعتقد هذا الفعل لهذا الجيش العظيم ، الخارج لأجل إذلال العدو ، وقصَّ جناح الكفر . واسمعه من هذا ومثله .

ثم لما كان الفتح ركب الأشرف في الفرات في خواصه ، ومعه جلساؤه من بني مهدي ، وكانوا يُضحكونه ، فجاء مهنا بن عيسى . فأمر بمدَّ (الإسقالة) له ليدخل ، فلما دخل عليها غمز عليه فحركت (الإسقالة) فوقه في الماء ، وتلوث بالطين ، فهربت بنو مهدي ، وضحك الأشرف ومن حوله ، وطوى مهنا جوارحه على آلِها . ثم إنه استأذن في الإنصراف إلى بيوته فأذن له وقال : إلى لعنة الله !! فأسرَّها مهناً في نفسه ولم يُبديها ، وركب من وقته وتوجَّه إلى أهله ، وأقام عندهم على حذر ، ثم عاد الأشرف ونزل بحمالة ، بعث إليه مهنا بالخنيل والجمال فقبلها ، وخلع على رسوله ، وبعث إليه خلعة سنية ، ليطمئنه ، ثم يكبسه . فلما جاءت لبسها إظهاراً للطاعة ، وارتحل لوقته ضارباً في وجه البر ، فلم يتم للأشرف ما أرادته منه . وعاد إلى مصر ، وفي نفسه من إمساك مهنا وبنيه وإخوته . وظنَّ مهنا أن لا حقد عنده . فلم يلبث الأشرف أن خرج إلى الكرك ، وخرج إلى دمشق ، وخرج منها على أنه لصيد كباش الجبل ، ثم إنَّ مهناً عمل له ضيافة عظيمة فحضرها الأشرف وأكل منها . ولما فرغ ذلك أمسك مهنا ومعه جماعة ، وجهزهم إلى مصر ، وجبهم في القلعة ، وضيق عليهم إلا في الراتب لهم ، وكان مهناً في الحبس لا يأكل إلا بعد المدة ، وإذا أكل ، أكل ما يقيم رمقه ، ويصلي الصبح ، ويدبر وجهه للحائط ، ويصمت ولا يكلم أحداً حتى تطلع الشمس ، ثم يقوم بعجلة وسرعة ويأخذ كفاً من حصا وتراب كان هناك ، ثم يزجر ، ويرمي به إلى الحائط ، كالأسد الصائل ، فلما خرج الأشرف إلى الصيد ترك ذلك الفعل . فقيل له في ذلك فقال : قضى الأمر ، ولم يرَ مُنسطاً إلا في ذلك الحين .

قال : وحديثي مظفر الدين موسى ولد مهنا قال : لما كنَّا بالاعتقال كان عمي محمد بن عيسى مُغرًى بدخول المرتفق ، والتطويل فيه ، وكان المرتفق قريباً لدور حريم السلطان ، ولبعض الأمراء . فقلت له في ذلك . فقال : يا ولد مهناً لمي أسمع خبراً من النسوان ، فأنهنَّ يتحدثن بما لا يتحدث به الرجال . فبينا نحن ذات يوم وإذا بمحمد قد

خرج ، وقال : بشراكم ، قد سمعت صاحبة النساء تقول : واسلطاناها !! فقلتُ له :
دَعْنَا مِنَّا نقول ، فقال : ما أقول لكم حَقٌّ . وكان لنا صاحب من العرب ، تنكَّر ،
وأقام بمصر ، فكان يَقِفُ قبالة مَرَمَى البُرج ، ويومي إلينا ، ونومي إليه ، غير أنه لا
يسمعنا ولا نسمعه . فلما كُنَّا تلك الساعة ، ومحمد يحدثنا ، وإذا بصاحبنا قد جاء وأومأ .
ثم مدَّ يده إلى التراب . وصنع فيه هيئة قبر ، ونصب عليه عوداً عليه خرقه ، صفراء ،
كأنها سنجق السلطان ، ثم نكسها وقعد كأنه يبكي ، ثم وقف قائماً ورقص ، فتأكد
الأمر عندنا بموت الأشرف ، فلما فتح لنا من الغد سألنا الفتاح والسجانيين ، فأُنكرنا ،
ثم اعترف لنا بعضهم ، فكان ذلك أعظم سرور دخل على قلوبنا .

ولما أخرجوا من السجن شكوا احتياجهم إلى النساء . فأطلق لهم جماعة من
الأشرفيات ، ولم يكن مرادهم بذلك الا التشفي ، وأُعيد الجماعة إلى أهلهم إلا مهنا ،
فإنَّ أَمْرَ مَدَّة ، ثم جهَّز ، فلما خرج إلى دمشق لحقه البريد إلى ثنية العقاب ، بأن يعود ،
فامتنع ، وتوجه إلى أهله ، وكانوا قد ندموا على إطلاقه ، ثم إنه قدم مصر بعد ذلك
مرَّات ، وهو كالمطائر الحذر ، الذي نصب له الشرك في كل مكان . وآخر مدة قدمها في
آخر الدولة الناصرية الأخيرة ، سنة عشر وسبع مئة . وكان برلغي مملوك مهنا . وهو الذي
قدَّمه ، فلما وجده قد أمسك ، تَحَدَّثَ فيه مع السلطان ، وقال : هذا مملوك قدمته
لِيُعْطَى إقطاعاً في الحلقة ، فأعطيتموه فوق حقِّه ، حتى صار ملكاً من الملوك ، وأنا أريد
أن تأخذ ماله كله ومماليكهُ ، وتعطيني هو برقبته ليكون عندي إلى أن يموت . فوعد
بذلك . ثم إنَّ برلغي مات في ذلك الوقت . فقيل له : قد مات ، فعزَّ ذلك عليه عدم
قبول شفاعته مع ما كان يُمْتُّ به من سوابق الخدم .

ولما كان السلطان في الكرك . فخرج مهنا . وقد طار خوفاً ورُعْباً ، ولما اجتمع
بقراستقر ، وكانت بينها صداقة قديمة مؤكَّدة وكلُّ منها مستوحش . بمجدد الأيمان
والعهد على المظافرة ، وأن لا يُسلم أحدٌ منها صاحبه ، فلما توجه قراستقر إلى حلب زاره
مهنا ، فخلا به مهنا ، فأراه قراستقر كتاباً من السلطان ، فيه إعمال الحيلة على إمساك
مهنا ، فقال له مهنا : ما أنت صانع ؟ فقال : أنا أطيعه فيك ، وأجأه وهو يحليني
ذاته وولده ، فمن يحميني منه إذا قصدني ؟ قال له مهنا : نجي إلينا فتحالفا على ذلك ،

ثم إن مهناً وفي لقراسنقر . لما توجه إليه ، على ما هو معروف في موضعه ، حتى إن زوجة مهنا عايشة بنت عساف بالغت في خدمة قراسنقر ، وكانت تقول لمهنا : يا مهنا ذكر الدهر لا تدعه . وكذلك محمد بن عيسى بن علي ، إلفضل بن عيسى ، أخو مهنا ، فما كان رأيها إلا التقرب بإمساك قراسنقر ، والجماعة إلى السلطان .

وكانت عائشة تقول : نَعْساً لَأُمِّ ولدت الفضل بعد مهنا وعيسى .

وكتب مهنا إلى السلطان يستعطفه ويقول : هاؤلاء ممالكك ، وممالك أهلك وكبار بنيكم ، وقد هربوا من الموت ، وسألوا أن تكف عنهم ، وتكون البيرة لقراسنقر ، والرجة للأفرم ، والصلت للزركاش ، وإذا حضر مُهمُّ جامع للإسلام حضروا إليه ، وجاهدوا بين يديك . فأجابهم بإطابة القلب ، وأنه قد جعل الصبية لقراسنقر ، وعجلون للأفرم ، والصلت للزركاش وأمر به كما كان ، فما أطمأنوا لذلك . وزادهم نفوراً ، فجهزهم إلى خرّيندا ، ^(١٠) وقال له : متى حميت هاؤلاء كنت أنا في طاعتك معهم . وأخضر الركب العراقي وسيرهم مع ابنه سليمان ، وبعث معهم من جهته إلى خرّيندا ومن حوله خيولاً مسوّمة ، فقبلوا بالإكرام والرعاية ، وخلع على سليمان ، وأطلق له أموالاً جمّة ، وجّهز لمهنا خلعة وإنعامات ، ومرافع بالبصرة له ولأهله ، ومعه الحلة والكوفة وسائر البلاد الفراتية ، واشتدّت الوحشة بينه وبين السلطان الملك الناصر وتأكدت ، فأعطى الإمرة لأخيه فضل ، وتظاهر مهناً بالمتافرة والمباينة والوحشة ، وحضر إلى عند خرّيندا ، فأكرمه غاية الإكرام ، وأجلّه نهاية الإجلال ، وقرر أمر الركب العراقي ، وأعطى عصاه خفارة لهم وتأميناً وصاع (؟) الزمان . وامتدت الأيام والليالي في المراوغة من مهنا ، وهو يعدّ السلطان أن يحضر إليه ، ويمنيه ويسوف به من وقت إلى وقت ، والبريد يروح ويحيي ، والرسل تردد ، وجّهز إليه أرسالن الدوادر ، والطنبغا الحاجب ، الذي عمل نيابة حلب ، والشيخ صدر الدين بن الوكيل ، ولا السوي ، ولا عاج .

ثم كان أولاده وإخوته يتناوبون الحضور إلى السلطان ، وهو ينعم عليهم بمئين ألف ، والاقطاعات العظيمة والأملاك ، وهم يمتنون حضوره ، ويعيدونه بقدمه ، ومهنا لا يزداد إلا حذراً ، والسلطان لا يزداد إلا طمعاً في حضوره . وإذا حضرت

للمسلمين نصيحة أو مصلحة ، كان مهناً ينه عليها ويشير بها ، وكان السلطان يقبل نصحه ، ويعرف ديبانته .

ثم لما كان سنة أربع وثلاثين توجه مهناً بنفسه إلى السلطان ، ودخل إلى مصر ، فأكرمه غاية الإكرام ، وأنعم عليه إنعامات كثيرة إلى الغاية ، وعاد منها راجعاً إلى بلاده ، ولم يزل بها إلى أن توفي بقرب سلمية ، وأقاموا عليه المائتم ، ولبسوا السواد ، وعاش نبياً وثمانين سنة ، وكان وقوراً متواضعاً لا يحتفل بملبس .

تتميم :

وهاؤلاء آل عيسى في وقتنا ملوك البر ما بعد واقتراب ، وسادات الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب ، وقد ضربوا على الأرض نطاقاً ، وتفرقوا في فجاجها حجازاً وشاماً وعراقاً ، أتى نزلوا خلت الأرض قد رمت أفلاذها ، أو السماء قد مرّت رذاذها ، ترتج بجيوبها صخيلاً ، وتحتج بسوقها على الرقاب صليلاً ، يجمع قنابل ، وبلغ مناصل ، وتنتب قنا ، وتنتب قنا . وقد نصبوا بمدرجة الطريق خيامهم ، وأوقروا في علم الاستماع أعلامهم أن الكرم أعلامهم وتقارعوا على قرى الضيفان ، وسارعوا إلى تقريب الجفان ، قد داروا على البلاد أسواراً حصينة ، وسواراً على معصم كل نهر ، وعقد في كل جيد كل مدينة ، وأحاطوا بالبر من جميع أقطاره ، وحالوا بين الطير المحلق وبين مطاره ، وحفظوه من كل جهاته ، وحرسوه من سائر مواضعه وآفاته ، وصانوه من كل طارق يتطرق ، وسارق يتسلل أو يتسرق ، فلا تبصر إلا مرسى خيام ، ومسرى هيام ، ومورد كرام ، وموقد ضرام ، ومقعد دمام ، ومجال غمام ، وآجال رزق أو حام ، ومعهذ أباذ جسام ، ومشهد يوم يعرف به أنف قناة أو حُسام ، وتكبير وتكثير صلات ومكاد مفرع ، وأمان من يجرع ، وملجأ خائف ، وملحم حائف ، وسجايا ملكية ، وعطايا برمكية ، ومواهب طائية ، ومذاهب حاتميه ، وبوادر ربيعيه ، ونوادر مرعيه ، وصوارم تحس يدبها الرقاب ، ومكارم يتنجس على آثارها السحاب ، لا يطرق لهم غاب ، ولا يطرف لهم بذل رغب ، ولا يطرح لهم بيت مظيف ، ولا يطيح إلا إليهم تابع مشتي ومصيف ، لا يخلو ناديبهم عن سيد مسود ، وكريم مقدم ، وشجاع

بطل ، وجواد كريم ، وحليم وقور ، ووافد أمل ، وقاصد يتأمل ، وصارخ ملهوف ،
 وهارب مستجير ، لا تنفك لهم ناراً قرى وقراع ، ومنارا منى ومناع ، تسرح عدد الرمل
 لهم إبل وشاء ، ومدد البحر ما يريد المرید منهم وما يشاء ، تُطلُّ منهم على بيوت قد
 بنيت على الرُّبَا ، وبلغت السحاب وعقدت عليها الحبا ، قد اتخذت من الشعر الأسود ،
 وبطنت بالديباج والحريز والوشى المرقوم ، وفرشت بالمفارش الرومية ، والقطائف
 الكرنية ، ونصدت بها الوسائد ، وقامت خولها الولائد ، وشدَّتْ بوتد السماء أطناها
 وأعدت لطوالع النجوم قبائنها ، وأرخيت سجعها وشرعت أبوابها إلى الهواء ،
 واستصرخت واستغِيثَ بها لدفع اللاأواء ، ورفعت عمدها ووضعت حجلاها . وقرر في
 الأرض وتدها وطلعت البدور في أكلتها ، ورتعت الطباء في مشارق أهلتها ، وحولهم
 خيول تحمي حجبا . وترى إزاء البيوت سحبا ، وتعرف بين العرب الأتراب عربها ،
 وتعرض في الشهب الحسان نخبا ، من كرائم الخيل المخبورة ، وعظام السيل معنى
 وصورة ، قد تماثلت ألواناً ، وتقابلت في مناسب الخيل إخوانا ، وتنوعت شياتها فبرزت
 بستانا ، وشرعت أعوجبتها السوايق ، تقصر مدى لاحق ، وتقدمت قدامه ميدانا ،
 وتفرغت في أصول العرب في ربيعة ومُضَر ، وتبرعت بما لا يلزمها ، فنها ما انتظر ما
 خلفه ، ومنها ما فات النظر ، وتقدمت وأمهلت وراءها الرياح ، وأقدمت وأهلت
 ظمأها مورد الصباح ، ومركل طرف منها وطرف البرق حائر ، ومدَّ وجواء الحرة ما فيها
 طريق لسائر ، وجفت والطير في وكناتها لم تريح ، ووفت والوحوش في مكان بياتها لم
 تريح ، تمت كأنها كتابان ، وهمت كأنها عقبان ، قد صلدت حوافرها كأنها قَعْبُ
 حالب ، وصلدت مشاعرها كأنها وجه عاتب ، واتسع منخرها كأنه وجار ثعالب ،
 وارتفع مؤخرها كأنه رُبُوءُ مراقب ، وطال عرفها كأنه انتظار غائب ، ومالت نواصيا
 كأنها عقود ترائب ، ودق منخرها كأنه طرف قاضب ، ورق أدبها كأنه حديث
 حباب ، واتسع ذيلها كأنه ذيل راهب ، وتلد مغزها كأنه إقعاء أراب ، وقصر عجم
 ذنبا كأنه نقا ذاهب ، ونهد موضع لبها كأنه نهد كاعب ، ونبا صدرها كأنه نهضة
 وائب ، وألَّتْ آذانها كأنها أقلام كاتب ، ولانت شعرتها كأنها عليها لون سليط ذائب ،
 ولانت عريكها كأنها للتأديب لعبة لاعب ، ونظرت نظر حاذر ، وتلفتت التفتات
 رباب ، وأشبهت الوحش والطير فطوراً تخلق وطوراً تواب ، وقد برزت شهباً ودُماً ،

وحُمرًا وشقرًا وصفراً وخضرًا ، وما بين هذه الالوان ، وما بين ، صنوانًا وغير صنوان ،
 قد رتعت كالظبا ، ورفعت كالخبا ، وطلعت كالكوكب ، وتطلعت كالرقائب ،
 وجالت أمام بيوت الحي تنز ندوة عطفه ، وخطوة فارسه المعلم في موقف صفه ، فكمن
 ترى من سابق وسابقة ، توافقا فلم ترأيها سلبية سابقين تناجلاها ، ولا بأبيها تعقد الطبية
 الأدماء طلاها ، ولا أيها بلغ السماء واغتصب النجوم حلاها ، ولا أيها الموصوف في
 كرائم الخيل ، ولا أيها ابتز رداء النهار وأطاح رداء الليل ، من حصون كالحصون
 الشوامخ ، يتحصن على صهواتها ، ويتحصل الظفر ولا تروى فواغر لهواتها ، قد
 اشتدت مبانيها الوثيقة ، وشيدت فكات حصونًا لا حصنًا كالحقيقة ، ومن حجر
 كالحجر بل هي أشد من الحجارة ، وأسد من السهم في مهاجمة الغارة . قد تبرجت
 تبرج الحسان ، وتخرجت تخرج الكاعب وبرزت للفرسان ، وأقبلت في ميدانها تتمطر ،
 وجالت وعنائها لا يريد على أنه يتخطر ، كلاهما محفوظ النسب ، ملحوظ الحسب ،
 محظوظ البخت لا عن غير سبب ، فن قرطاسية بيض ذاب على أعطانها اللجين ، وبقي
 عليها أثر الفضة وذهب العين ، أقبلت كأنها الكواكب ، واستقبلت كأنها أيام وصل
 الحباب ، وكأنها جُلَّتْ بالنهار ، أو حولت إلى مطالع الأقار ، أو حولت مما تلبس
 الشمس من حلل الأنوار ، جاءت قرطاسية لما قرطست سهامها ، وقربت مواعيد الظفر
 أيامها ، ومن دهم لم ترض بالليل رد ردتها ، ولا يلهم التشبيه شبيه ظلماها ، ولا
 بالأهله إلا تحت مواطىء حوافرها . ولا بالصباح إلا لما بين وظيفها ومشاعرها ، فأما ما
 سال أو استدار من القدر الصلج ، فإنه مما قرأ أو تموج بين عينها من لوامع الأسنة لا
 من طلائع الصباح .

ومن حمراء أو قد الشفق عليها جمرة ، وبدد الشقيق على كاسها خمرة ، منها معصم
 بسواد كأنما دُر المسك على وردها أو امسك الليل فحمته عن وقدها .

ومنها كميت يميل براكه مثل الكميت بشاربها ، ويستطيل باقي طلائه في شفق
 الصباح على ذاهبها .

ومنها ورد كأنه إياه قد قطف ، أو رياه إذا شبّه بجذ غانية أو وصف .

ومنها صامت وأعز منها ما طلع كوكب الصباح بمحلقة ، ومنها ما هاب خوض
الدماء فتغطى سجاج أفعه .

فأما الحجول فمنها ما أدار عليه حياها ، ومنها ما قال هذه حليته لنقيصة فأباها ،
وبدت تعرف الأنفة في مناخيرها الشم ، وتعرض الجبال إذا أقبلت شواغها الصم .

ومن شقر قدح الفرق فيها فما أفاد ، وقَرَح الذهب عينه حين ليست منه حسداً من
حُسَاد ، واصطدمت جياذ الخيل فطار منها شرارة من زناد ، واقتحمت حلبة السباق
فجاءت سابقة عليها آثار الخلق ، دون بقية الجياذ ، ومنهن رافلة في أعلام الشيات ،
ومنها عاطلة من أعلامها هذه قد تحلت بالغرور والحجول ، وتلك جعلتها حلبة لأيامها .

ومن صفر هي في العصر الأصايل ، وفي الفجر آخر ما بقي من شعاعه السائل ،
شاخت اللهب وهو الطائر الطايل ، وفاقت الذهب وهي الحلبة والحايل ، وراقت فهي
الشمول ورقت فهي الشائل ، وثاقب إليها لمع البرق فحال دونها حايل ، وضاعت بها
الحزم فانشقت مُصَبَّغَاتُ الغلايل ، وسافت إليها الشمس ، وأوقفتها من خيط سوادها
المتد في الحبايل ، ونوّهت بالحيش لما قيل إنها حيشية ، وأفاضت عليهم النابل من
فواضل حللها الموشية ، وسعد بها هذا الجنس لما نسبت إليه . وحمد لما كان المنسب
يصح أن يطلق عليها وعليه ، وفخر كل حبشي بكونها تُعدُّ منه وهو من أعدادها ،
وتطاول حتى موه عليها بالنسبة — وأخذ في وجهه محاسن التخطيط من خط سوادها ،
فكأنها نار ترفع في الليلة الظلماء لها لب ، فتوقدت شعلتها إلا ما اعتلق به الليل من
العرف والناصية والذنب .

ومن خضير (؟) ما منها إلا من بيت العرب ، وما فيها إلا ما يهتدي إلا إلى الحرب ،
كأنها عليه ظلٌ دائب ، أو علاها رحيق سحائب ، أو ألقي إليها زبرجد ، أو أبقي بها أثر
شعاعه مهتد ، قد أفادتها الحياة نضرتها ، والشفاء من كثرة التقييل خضرتها ، وبدت
ولا هي بيض ولا جُون ، وغدت تنشي وما قطعت بها عنقايد النواصي ولا عصرت من
أعطافها ابنة الرزجون .

ومن يلق كرام ما قعدت بها هجنة ، ولا بعدت عن شهبين أخذت من كل منها

حسنه ، لا كما يقال : إن الطبيعة قصرت في إنضاجها ، ولا أن حسنها كله ذهب في ديباجها ، بل كل منها علّم على صاحبه يعرف به إذا ركبته ، ويحلف أنه اقتاد الروض وتوقّل منكبه . منها ما يقابل بين صباح وظلام ، ومنها ما يماثل بين البياض والحمرة خدّ غلام ، فأما الأول فقد طلع منظراً حسناً ، وجمع بين ضيدين لما اجتماعاً حسناً ، كأنه توليع السحب ، وترصيع السحب ، أو قطع ليل بهي بالشهب ، أو نفع حرب ظهر في وجوه لمعان القُصْب ، في كل منا ما أظلم وما أثار ، وما أطل جانبي الأرض ، ففي وقت واحد ، في هذا ليل ، وفي هذا نهار ، وأما الثاني فكانه اختلاط ماء وراح ، واختلاف مجاري شفق على صباح ، لا يقاس بها البرق وهو أخضر ، ولا يشبه به إلا كان هو بالثشيبه بها أفقر ، ولا يبالغ واصفه إذا قال : كظهر الحصان الأنبط البطن يكشف الحل واللون أشقر .

ومما سوى ذلك جميعه من ألوان الخيل مما يمزج من أحمر يقي ، وأصفر أصيل ، وأخضر شجر ، وأشهب نهار ، وأدهم ليل ، ومنه كل ديزج ذلك بغير وزج ، كأنما لون من ماء يتموج ، أو ككون من سماء بصدار على نساء يُنسج ، واصدء لا بقدر جون الغام لمعارضته يتصدى ، وأنكب لاهو كالأحمر ولا كالأشهب .

وهي فتية وما فيها إلا عتيق ، وكثيرة وما فيها إلا ما هو قليل كالصديق ، وما استكرها إلا من تحرب ، ولا استكرها إلا من جاء بنقعهما في وجوه السماء يُترَب ، وكأنما عنيتها في قصيدة كنت في وصف الخيل بنيتها ، وهي :

أقبلت في ميدانها تتجارى هي والريح في المدى تتبارى
ودعت سابق الغمام للسبق ، فأضحى بذيلها يتوارى
سابقات ما قصر البرق لما أدرك البرق بعدها الآثارا
سابقات ما فاتت الطرف حتى حلت الشهب في الظلام حيارى
وأرتنا يوم الرهان أناسي سكارى ، وما همُ بسكارى
من جياذٍ منسوبة في بيوتٍ ليس ترضى من غيرها الإضهارا
كل حجر كأنها الحجر الصلد ، لهذا تفسجّر الأنهارا
وحصان كأنه شعب رضوا رابط الجأش ، لا يخاف وقارا

رددت في اختيارها الاختيارا
 واستجادت منها الخيارَ خيارا
 في مجالٍ ليلَ موتٍ إلا الفرارا
 ن، بل الحزم أينعتُ إزهارا
 قد تغالى ضياؤه، واستنارا
 مثله قد بدت نهاراً جهارا
 ليس مثل الشهباء مما يبارى
 أشبه المُرْد سالفاً وعذارا
 مُذ تَبَدَّى إساءةٌ واعتذارا
 حيث يجري زُمُرداً منهارا
 ما بدا بين مقلتيه نهارا
 منه مارقٌ في الدجا أسحارا
 سهماً لا يخاف الفقارا
 شربنا مما كساها العقارا
 قد قطعنا من غصنه أنوارا
 عليها يَبْدُو حياة العذارى
 جاء كالبرق يستطير شرارا
 بهواها ومات يشكو النارا
 سار نجمٌ منه، وسال نضارا
 خَمَرُها الحلُّ ثم خاف الخُمَارا
 د. يضم الظلام والأقارا
 فوق ثوب الدجا عليها الإزارا
 فبعض دجا وبعض أنارا
 فك عمدا عن جيبه الأزارا
 بياضاً من لونها واحمرارا
 أفرعوا فوقها الحبوب نثارا

نغمة الخيل من خيول كرام
 وأتت بالجياذ من كل فج
 علمتها في جريها كل شيء
 مشرفات كأنها روضة الحز
 أبيض جاء مثل يوم وصال
 مُتلعاً جيدَه إلى ذات حسن
 لا يباري الشهباء شيء سواها
 وكذا أخضر هو الآسُ غصنا
 وأتانا ما بين لونه يحكي
 معه من شرواه خضراء تجري
 وأغر كأنه الليل إلا
 أدهم رقّ جلده فخشينا
 وشبهه يحسه بنت دهما
 وكميت لو قابل في الكاس
 ثم ورد يطيب منه شميم
 بهما من لونيها كل عذرا
 وكذا أشقر كريم مفدا
 ثم شقراء كم تولع صب
 وكذا اصفر تنراه أصيلا
 ثم صفراء ما تشرب طرف
 ثم وافى عقيها الأبلق الفر
 معه مثله من البلق لاثت
 فهي تحكي بيضاء مظلومة الجسم،
 وكذا أبلق بأحمر قان
 ثم بلقاء أقبلت تخجل الحد
 تهادى في مشيها كعروس

ما كفاهم أن نقطوه إلى أن
 ثم في الخيل ديزج ما
 ثم حَجَرُ تلزَه فرأينا
 ثم من سائر الجياد كرام
 وتذكر مع السوابق أصدا
 ثم صدياء لا يُضاهي غمام
 بعدها أكهب، يُحَيِّرُ لونا
 لا ولكن يحكيها في امتزاج
 ثم ينلوه في المحاسن حَجَرُ
 صافنات زادت على الحد حسناً
 وأنت في أفعالها وجلاها
 ملكك حكم مالكيها الأمانى
 سبقُ تجعل الأنام جميعاً
 من رعاياه، والبسيطة دارا

فأما هاؤلاء العرب إذا ركبوا للهياج ، أو وثبوا إلى معاركة الفجاج ، سدّت الأفق
 قتاماً ، والطرف إبلاً كراماً ، قد تقلدوا سيوفاً تفرق الأرواح في لججها ، وتقصر
 مناظراتُ الرقاب لحججها ، وكأنما طبع في حمر المنايا ، أو أطبقت عليها سود
 الرزايا ، ترصعت بالنجوم وانتعلت بالهلال ، وتقطعت من الغيوم وضربت مرهفات
 النصال ، لا ينجشى ورق حديدها الأخضر ، ولا يُجتنكى وجد فرندها الصقيل ولا ينظر ،
 قيل لها صوارم لأنها صرمت الأعمار ، وقواضب لأنها تقضب الأجل وتعجل الدمار ،
 ومشرقيات لأنها أشرقت على الرؤوس ، ومهندات لأنها ترى رأي الهند في إحراق
 النفوس ، ومناصل لأنها تتنصل لا مما جنت ، وقواطع لأنها تقطع بالأمر أساءت أو
 أحسنت ، كأنما تأكلت فيها النار ، أو تشكلت فيها الأنهار ، ما على ضجيعها أين
 مات ، ولا قريمها عار لعدم الثبات ، ولا يمل حاملها الحازر ، إن كثرت لديه التحاير ،
 أو كثرت عليه من جثث الأعداء الجرار ، كأنما رصعت زرق اليواقيت ، أو علت قُرى
 نمل أو قرى رمل لها فيها آثار مخافيت .

وقد اعتقلوا من عوالي الرماح كل رُدَيْيَّة سمرأ ، ما ماسَ مثلها قَدْ ، ولا مالَ أَهَيْفُ ، ولعب مثلها (دَسْتُ بَنَد) عواسلُ قُضْبُها المَرَّان ، عوامل شهبها تعمل في أطرافها النيران ، تطاولت لثقب دُرِّ الكواكب ، أو لشعب سدِّ السحاب ، ثُمَّ رَأَتْ أَنَّهُ لَا تَرَوِي بغير الدماء حوائِثُ أَسِنَّها العطاش ، ولا يقوم بكفائتها إلا ورود الوريد ، لا من المطر الرشاش ، فرمتْ على لَبَّات الرجال عنقها وبَلَّت صداها ونقعت عَظْلُها ، وما رَوِيَتْ من دماء أَعْدائِها ما دارت دوائرها على عدوِّها إلا وخاف أن يصعد على أسوارها أو يتسور ، ولا صبحت مصاعها ذا عُنْتِي إلا تطاير بها وتشام بكعها المُدَوَّر .

ورأيت من الرجال في تلك اليد صقوراَ تحمي صقوراَ تحمي محارمها وسيولاَ تَطْمُ فجاجها ، ليوثاَ ضراغم ، وعقاباً كواسر ، وأبطالاً لا تبعاً بمن لاقت ، ورجالاً لا تسأل أين نزلت ، تدخل على عرين قوم بلاده ، وتحمي أرضه ، وترددونه ماءه ، وتمنعه شربه ، وتردد عليه قوله ، وتصدُّ عنه قومه ، وتأخذ ماله إذا شاءتْ غصبا ، وتقسمه اقتساماً لا نهباَ لا تحرس في ليل ، ولا تجتمع في نهار ، كفتها المهابة أن تخاف ، والمنعة أن تتوقى ، فإذا سارت قلت الشهب سارت ، والسحب سالت ، والجبال مادتْ ، والرمال مالتْ ، تركب النَجَبَ وتجنبُ الجياد ، فتختال الأرض في حَبَّة السماء بيدور أخفاف المطي ، وأهْلَةٌ حوافر الخيل ، ونجوم أسنة الخرصان ، تُوطأ لهم الرواحل ، وتطوى بهم المراحل ، وتبدو ركائبهم كأنها قُلل جبال ، أو حُلل نزال ، يتسع مجال الرياح بين فروجها ، وترتفع طوال الرماح فوق بروجها ، تمتدُّ أعناقها طلباً لقرب المنزل ، وتجد أسواقها إلى أرض وتصبح بمعزل ، كأنها التمام الخلق بنيان ، لا يقرُّ بعينها الزئبق المتدرج ، ولا في بيتها سيرها المتجلج ، يشي راكمها كأنه شارب ثمل ، ولا يستقر كأنه باق عجل ، ركب من الابل السحاب وهو محتفل ، ووثب وكأنه لتأيلها يتخط تحبُّط الظي في أشراك محبَل ، من امتطأها وركبها أضرم نشاطه ، ومن استبطأها وضربها ظلمها وظلم بالضرب لها سياطه ، والأكوار تَرَأَى عليها كأنها أهلة على غمام ، والمجرة البطان ، والجوزاء الزمام ، وأمامهم الظعائن ، تجري بها في الآلِ السفائن ، وقد شدَّ كل هودج على كور راحلته الثرياء ، وسعد بسعدى وطاب برياً ، فسايرتها نظائر الأحداق وعادت ولم تحدد ، وعاجت وما وقف لها سائق الركب ولا عاجت ربَّة الهودج ، فما

فازت إلا من بعيد بنظرة ، ولا فاءت إلا وبين الجوانح خسرة ، وتعرض لها فلم تفعل ولم تخرج ، وتعرف بها فما زاد على أن فقد قلبه وعاد وهو مُحْرَج ، حتى إذا نزلوا بلبل ، ونزحوا غدير النهار وجاء الظلام بسيل ، أوقدوا ناراً يُشَبُّ بالمندل الرطب وقودها ، ويسند بعنان السماء عمودها ، رقص بها الليل في قبص أَرْجوان ، وتنقص ظلامه بأدنى ضوءها وهو واني ، فشعشت كالسُلاَف ، وتورعت إلا عما هو إرث الآباء والأسلاف ، نار ترمي بكل شرارة كطراف ، ضرمته تشب بالعراق ، وضوؤها يعشي بابل ، ولسان يهتدي الضيفان بها لا بصوت النايح ، ويرتدي بشعاع دماء للغزي من كل بازل كوماه وطِرف سابح .

(للبحث صلة)



مركز تحقيق وتحقيق

الحواشي :

- (١) أنظر «صبح الأعشى» ج ٤ ص (٤١١) و«نهاية الأرب» .
- (٢) في «المخطوطة» خزيمه ، والتصحيح من «صبح الأعشى» و«نهاية الأرب» .
- (٣) في (ب) : «بنو نمير بن قيس» .
- (٤) في (ب) : «بنو وهران يجبل عوف» .
- (٥) في (صبح) : الترات .
- (٦) برد ورواف قرب تيماء — أنظر عنهما كتاب «شمال المملكة» من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وبنو عقبة هاؤلاء ضعموا ولم يبق سوى بطون قليلة قرب ساحل البحر شمال ظبا ، حول المويلح ومقتنا .
- (٧) كذا (الحريدا) بدون نقط .
- (٨) غصية) و«عقبة» و«غصية» وفي الأصل «غصة» بدون إعجام .
- (٩) كذا ولعل الصواب (في زمن الدولة الأشرقية) .
- (١٠) «خريندا» ورد هذا الاسم مصحفاً في كثير من المؤلفات إلى «خدابندا» كما في «صبح الأعشى» واسم «خريندا» معناه (عبد الحمار) وكان من عادة التتار عند ولادة المولود التفاضل بأول حيوان يروونه عند ولادته . فكان (الحمار) واسمه (ختر) ومن هنا كان اسم خريندا) ملك التتار ، على ما أوضح ذلك ابن بطوطة في رحلته .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ١١ —

١٧٥ — بابُ جُدَيْدٍ، وَجُدَيْدٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، ثُمَّ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نَقَطَتَانِ ، وَآخِرُهُ دَالٌّ أُخْرَى —: خُطَّةُ بَنِي جُدَيْدٍ بِالْبَصْرَةِ فِي الْجَانِبِ الرَّبْعِيِّ مِنْهَا .

وَبَنُو جُدَيْدٍ مِنَ الْيَمَنِ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي — بَفَتْحِ الْجِيمِ ، وَذَالَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ الْأُولَى مِنْهُمَا مَكْسُورَةٌ —: مَوْضِعٌ قُرْبَ مَكَّةَ^(٣) .

١٧٦ — بابُ جَدُودٍ وَجَرُودٍ^(٤)

أَمَّا الْأَوَّلُ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَبِدَالَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي تَيْمٍ قَرِيبٌ مِنْ حَزَنَ بَنِي يَرْبُوعَ بْنِ حَظَلَةَ عَلَى طَرِيقِ الْبَسَامَةِ ، فِيهِ مَاءٌ يُسَمَّى الْكَلَّابَ ، كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَتَسَى بَنُو سَعْدٍ جَدُودَ الْتِي بِهَا خُدَلْتُمْ بَنِي سَعْدٍ عَلَى شَرِّ مَحْذَلٍ^(٥)

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ جِيمٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَضْمُومَةٌ ، وَآخِرُهُ دَالٌّ —: نَاحِيَةٌ بِالشَّامِ^(٦)

الحواشي :

- (١) في كتاب نصر : (بابُ جَلْدَيْدٍ وَجُدَيْدٍ وَالْجُلْدَيْدِ) .
 (٢) لم يَزِدِ الحازمي على ما في كتاب نصّر في تعريف جُدَيْدٍ . وكذا ياقوت في «معجم البلدان» إلا أن كلمة (الرَّبِيْعِي) عنده : (رَبِيْعَةٌ) وقال : جُدَيْدٌ : — نصّغر جُدْ —
 (٣) عرّف نصّر جُلْدَيْدَ (الْجُلْدَيْدِ) وما أوردته الحازمي هو نصّ كلام نصّر . ولم يخرج ياقوت عن قولها : جُلْدَيْدٌ — كأنه فعيلٌ من الجِدْ وهو القطع بمعنى مفعول : — موضع قرب مكة .
 أما جُلْدَيْدٌ — الوارد في كتاب نصر فقد عرّفه بقوله : يفتح الجيم : — جبل من جبال أجنا ، وجبل أيضاً في ديار الأزْد وقيل بالحاء انتهى . وفي «معجم البلدان» : الجُدَيْد — ضدّ العتيق : — اسم نهر أحدثه مروان بن أبي حفصة الشاعر بالجمامة ، وكان قد سُمِّي قديماً ربي . وجُدَيْدٌ أيضاً : جبل من جبال أجنا ، وجُدَيْدٌ أيضاً : جبل في ديار الأزْد . انتهى . ولست على يقين من صحة كلمة (ربي) فلم يذكر ياقوت الاسم في موضعه من «المعجم» ولم يزد صاحب «تاج العروس» على أن الجُدَيْد نهر أحدثه مروان بن أبي الجنوب — فهو عند ليس مروان الأول ، وابن أبي الجنوب هو ابن مروان بن أبي حفصة — وانظر عن آل حفصة مجلة «العرب» في سنتها الأولى .

- (٤) عند نصر : (باب جرود . وجُدود . والخُدود) .
 (٥) عند نصر : (عل سَمَتِ الْجَمَامَةِ) و : (كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ مَرَّتَيْنِ) .

وقال ياقوت : جدود — بالفتح — والجودود في اللغة : النجعة التي قلّ لبثها من غير بأس ، ولا يقال للعرز ، وهو اسم موضع في أرض بني تميم ، قريبٌ من حَرْنَ بني يربوع ، على سمتِ الجمامة ، فيه الماء الذي يقال له الكلاب ، وكانت فيه وقتتان مشهورتان عظيمتان ، من أعرف أيام العرب ، وكان اليوم الأول منها غَلَبَ عليه يومُ جَدُود ، وكان تغلب على بكر بن وائل — إلى أن قال — : وقال الحفصي جَدُود : هُوَّةٌ في الأرض تدعى الغبطة . ثم أورد شعراً للفَرَزْدَق — وذكر البكري أن جدود ماء في ديار بني سعد من تميم .
 يتّضح من كلام المتقدمين على جدود : أنه يقع شرق الجزيرة ، على مقربة من العراق حيث بلاد بكر وتغلب ، بعد حَرْنَ بني يربوع ، والقول بأنه هُوَّةٌ في الأرض تُدعى الغبطة ، يفهم منه أنه في المكان الذي كان يعرف باسم الغَبِيْط ، وأراى الغبيط ما يعرف الآن باسم البَطْن ، الأرض المنخفضة الواسعة الواقعة بين الحزن والحجرة .

والقول بأنه (كانت فيه وقتتان) يؤخذ عليه أن وقعة الكلاب المشهورة حدثت في عالية نجد ، بقرب مُجَبَّرَاتٍ وَحُدْنَةٍ ، حيث يقع وادي الكلاب المنحدر من جبل شعلان .
 وأذن : وقعت الكلاب المشهورتان حدثتا في جدود الواقع في شرق الجزيرة يعارضه أن الوقعة المشهورة حدثت في الوادي الواقع في عالية نجد ، وقول أحد المعاصرين — وهو الشيخ سعد بن جُبَيْلٍ ، في كتاب «عالية نجد» ص ٧٦٥ — : عن وادي الكلاب : (وفهم مما ذكره المؤرخون أنه هو وادي الشعراء ، وأنه هو الوادي الذي وقع فيه اليومان المشهوران من أيام العرب الحربية ، يوم الكلاب الأول ، ويوم الكلاب الثاني) ثم كرر هذا القول — ص ٧٦٩ — بعد أن أورد عن «الأغاني» خبر يوم الكلاب الثاني — قال : وفي هذا الخبر ما يثبت أن وادي الكلاب الذي وقع فيه اليومان المشهوران من أيام العرب هو الكلاب الواقع بين ظهري تَهْلَان ، وهو وادي الشعراء . قول الشيخ سعد لا يتفق مع ما ذكره المتقدمون من أن يوم الكلاب الأول وقع في جدود ، قريب من حَرْنَ بني يربوع ، بين بكر وتغلب ، فبلاد القبيلتين — بعد انتقالها من نجد — في حدود

جمهرة

أنساب بعض الأسر المتحضرة في نجد

[هذا الكتاب : هو القسم الثاني مما جمعته عن الأنساب ، فقد تقدّمت كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» عن أنساب القبائل التي لم تتحضر جميع فروعها .

وهذا عن أنساب الفروع المتحضرة في نجد خاصة ، إذ الفروع الحضرة في جميع أنحاء المملكة من الكثرة بحيث يحتاج إلى سعة من العلم ، وطول مدة في البحث ، وجهد عدد من الباحثين ، ممّا هو فوق طاقة الفرد ، مها تَلَقَّتْ .

وسيقب هذا القسم دراسة عامّة عن أنساب بعض القبائل الحديثة ، والأسر ، لمحاولة إرجاع بعضها إلى أصول القبائل الأولى ، ولإثبات أنساب أسر قد تُعتبر مجهولة النسب . أو لبيان أصول أنساب بعض الأسر المغمورة .

ولقد تكون هذه الدراسة أهمّ من سابقتها .

ولقد يكون الإقدام عليها بما يتهيّبه الباحث ، ومن ينري فقد يهيّ قُح هذا الباب من وسائل الترجيح من ملاحظات بعض القراء ما قد يوضّح من معالم الطريق ما يمكن من السير فيه على هُدًى وبصيرة لمن أراد ذلك .

وما هي مقدمة كتاب «جمهرة أنساب بعض الأسر المتحضرة» .

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد : فهذا هو القسم الثاني مما جمعته عن أنساب سكان هذه المملكة الكريمة ، رأيتُ نشره — بعد نشر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي خصّصته للقبائل

العراق . وحزن بني يربوع شرق الجزيرة . مما يلي العراق .

(٦) قول الحازمي ونصر في تعريف جرد متفقان . وأوضح ياقوت الموضع فيما نقل عن كتاب «تاريخ دمشق» لابن عساكر بما ملّخصه : جرد : من إقليم معلولا ، من أعمال غوطة دمشق .

وعرفَ نصرُ الخُدود — بضم الحاء المعجمة ودالّين : صُغْعُ تَجْدِيٍّ قُرْبَ الطائف قال : وَأَطْنَهُ الخُدَدُ ،

وقيل : خداد انتهى . وعدّ ياقوت الخُدود : من مخاليف الطائف . وتحدّد — بفتح الحاء وضمها يطلق على

مواضع في اليمن وفي بلاد بني سليم ، وفي مَجَر (الأحساء) عَيْنُ خُدَد ، وتعرف الآن باسم الحدود .

وخُدَدٌ — بالكسر أو الفتح — موضع ورد في شعر أبي ذؤاد :

تَرَقَى وَسِرْقَمَهَا السَّرَابُ كَانَهَا مِنْ عَمِّ مَوْثِبٍ ، أَوْضَاكَ خِدَادُ

وقال البكري في «معجم ما استعجم» عن مؤثب : — موضع كثير النخل ، أحسبه بالهامة ، وحدّد

المجري مؤثب بأنه جزءٌ من بيزين ، وهو الجزء الذي يلي الفلج — أي هو في أعلى بيزين ، وكانت بيزين

قدماً عامرة بالنخل ، ولهذا مثّل أبو داود الرواحل بنخلها ، وبنخل خداد ، الذي ليس من المستبعد أن يكون

(خدد) عين هجر المعروفة الكثيرة النخل .

التي لم تنحصر كل فروعها ، ولم أذكر فيه أحداً من القبائل التي انحصرت كلها بقبيلة بني
نمير ، وفروع قبيلة طيء كالفضول وبني لأم .

وسيرت في هذا الكتاب على الطريقة التي سيرت عليها في القسم الأول ، فلم أتعرض
لذكر ما قد يثير التساؤل ، أو يؤثر في بعض النفوس .

وأتخذت قاعدة (الناس مأمونون على أنسابهم) أساساً ، فتلقيت كثيراً مما فيه عن
أفواه من ذكرتهم ، ورجعت إلى ما استطعت الرجوع إليه من المؤلفات التاريخية ،
والمذكرات الخاصة ، فلخصت منها كل ما يتعلق بالموضوع ، وذكرت في آخر
الكتاب ، فانا في عملي لا أعذو الجمع والترتيب ، فلا ترتيب علي إذا ما وقع في هذا
العمل قصور أو خطأ ، يحسن بمن أدركه البحث عن مصدره أولاً .

وهنا جايان مهمان في الموضوع :

الأول : أنني عثيت بالأسر المنحصرة من كانت مستوطنة في الحضر قبل القرن الرابع
عشر الهجري ، إذ في الثالث منه حدثت موجة التحضر العظيمة بتوجه الإمام عبد
العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، حيث أمر بإنشاء الهجر للبادية ، فشمّل
التحضر جميع قبائل المملكة ، وأصبح من العسير الإحاطة بكل الأسر المنحصرة ، منذ
ذلك العهد .

ثم لما أنعم الله على هذه البلاد بنعم الرخاء والثروة والأمن أصبح الاستقرار شاملاً ،
وعم التحضر .

الأمر الثاني : أنني خصصت هذا القسم من الكتاب للأسر التي لا تزال تحفظ
أنسابها ، وليس معنى هذا أن من لم أذكره من الأسر لا أنساب لها .

إنني أعتقد جازماً أن كل أسرة نجدية ، كانت تقيم في هذه البلاد قبل أن يتم
الاتصال بالعالم الخارجي بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، كل أسرة ذات أصل
عربي صحيح ، إما بصلته نسب أو بجلف أو ولاء ، وكل هذه الأمور تبني عليها صحة
النسب منذ أقدم العصور ، ولكن كثيراً من تلك الأسر جهلت أصولها لأسباب كثيرة :

منها النسيان والجهل، متى ما أوغل المرء في التحضر، وارتبط بالأرض، وانزّل عن القبيلة التي تقوم حياتها على العصبة التي تستلزم حفظ النسب، لتتخذ من القرابة وسيلة لحمايتها وبقائها.

ومنها: الخوف مما قد يجره الانتساب إلى قبيلة ما من الضرر، كأن يجني أحد أفرادها جناية، أو يرتكب جريمة، فيأتي إلى إحدى القرى ليعيش فيها مخفياً، فلا يخبر بنسبه، فيجهل أصله حتى بين ذريته.

ومنها الفقر الذي يلجئ المرء إلى كثير من الأمور المذمومة، فقد يدفع الإنسان إلى ممارسة مهنة يرفع عنها ذوو النسب فيضطرون إلى إخفاء نسبه، أو تضطره الحاجة إلى مصاهرة من هو أقل منه حسبا، فيخفي أصله، خوفاً من أن يلام، أو يؤدي من القبيلة التي هو منها.

ومنها الهجرة إلى خارج الجزيرة لسبب من الأسباب فيضطر المرء للاندماج في المجتمع الذي انتقل إليه.

إلى غير ذلك من الأسباب التي دفعت بكثير من الأسر القديمة في هذه البلاد إلى نسيان أصولها، وهو نسيان ينبغي أن لا يكون ذا أثر في حياتنا الاجتماعية، وهذا ما أشرت إليه فيما كتبت حول الأنساب^(١).

وهذا الموضوع أفردته بدراسة خاصة، أثبت فيها عرافة أصول كثير من الأسر التي تجهل أصولها، ولم أر ذكرها في هذا القسم من الكتاب، لا خشية أن تلقى من اللوم والتفريع مثل ما تلقته حين ذكرت ما أعرف من نسب بعض القبائل المجهولة النسب، بينما، ومن يتخذ من الجهل علماً!! وما كان الجهل — في يوم من الأيام — وسيلة لإدراك شيء من الحقائق. ولن يكون الخوف ممن يتصف به حائلاً بيني وبين نشر تلك الدراسة بعد تكاملها، فهي توضح جوانب من حياتنا الاجتماعية، جدية بالدراسة التي تزيل بعض الفوارق التي لا يفرها ديننا الحنيف، ولا أخلاقنا العربية الكريمة.

(١) أنظر «العرب» ص ١٥ من ١٧١ وص ٤٨٣.

وَلَسْتُ — فَمَا تَقْدَمُ مِنَ الْقَوْلِ — أَتَكْثِرُ وَجُودَ أَسْرٍ تُنَمِّي إِلَى عَنَاصِرٍ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ ،
مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ فِي عَصُورٍ مُتَقَدِّمَةٍ ، أَوْ مِمَّنْ جَرَى عَلَيْهِ الرُّقُ فَصَارَ فِي عِدَادِ
الْمَوَالِي ، إِلَى مُتَنَصِفِ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، حَيْثُ أَبْطَلَ الْإِسْتِرْقَاقُ ، وَلَكِنْ تِلْكَ الْأَسْرُ
انْصَهَرَتْ فِي الْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ فَأَصْبَحَتْ عَرَبِيَّةَ اللَّفْظِ وَالْخُلُقِ وَالْوَطَنِ ، فَأَصْبَحَ لَهَا مِنَ
الْحَقُوقِ مَا لِبَغِيهَا مِنْ سُكَّانِ هَذَا الْوَطَنِ الْكَرِيمِ .

وَكَذَا الْمَوْلَى ، فَالْعَرَبُ مِنْذُ أَقْدَمِ الْعَصُورِ يَعُدُّونَ (مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ) .

ولهذا تزوج زيد بن حارثة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — زَيْنَبُ بِنْتُ
جَحْشٍ ، وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي أَسَدَ ، صَلْبَةٍ ، وَزَيْدٌ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قَبِيلَةِ كَلْبٍ
إِلَّا أَنَّهُ اشْتَرَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — مِنْ سُوقِ حَبَاشَةَ الْحَدِيثَةِ — أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ — رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا — فَوَهَبَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْتَقَهُ .

وَزَوْجُ أَحَدِ سَادَةِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ زَوْجُ ابْنَتِهِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، وَأَبُو حَفْصَةَ
مِنْ مَوَالِي عُثْمَانَ ، وَكَانَ مَرْوَانُ مُجْهُولَ النَّسَبِ .

وَهَذَا أَمْرٌ لَا أُرِيدُ التَّوَسُّعَ فِيهِ وَلَكِنِّي أَرَدْتُ الْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّ الْعَرَبَ يَنْظُرُونَ إِلَى
الْمَوْلَى نَظْرَةً تَغَايُرَ نَظَرَتَنَا الْآنَ .

وَلَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أَقْدِمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا اسْتَطَعْتُ جَمْعَهُ مِمَّا عَرَفْتُ مِنَ الْأَسْرِ
الْمَحَافِظَةِ عَلَى أَصُولِهَا الْقَدِيمَةِ ، وَعَمَّنْ عَرَفْتُ ، إِذْ هُنَاكَ أَسْرُ كَثِيرَةٌ لَمْ أَذْكُرْهَا لِأَنِّي لَمْ
أَجِدْ بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ مَا أَرْجِعُ إِلَيْهِ بِشَأْنِهَا ، فَأَنَا وَالْحَالَةَ هَذِهِ غَيْرُ مُلَوِّمٍ .

وهذا ما دفعني إلى أن أختار لهذا الكتاب اسماً قد يكون مطابقاً هو «جمهرة أنساب
الأسر المتحضرة في نجد» إذ جمهور كل شيء معظمه ، وليس كله .

ولم أقف عند ذكر النسب وحده ، بَلْ أَضَفْتُ بَعْضَ مَا وَجَدْتُهُ مِنْ أَخْبَارٍ تَعَلَّقُ
بِالْأَسْرَةِ ، وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ مَا ذَكَرْتُ مَا لَا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ إِلَّا أَنْ الْإِعْتِبَارَ بِالتَّارِيخِ ،
وَمَعْرِفَةَ جَوَانِبِ مِنَ الْمَاضِي مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَرْءَ عَلَى إِدْرَاكِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ
وَاسْتِقْرَارٍ وَأَمْنٍ ، فَيَرْغَى هَذِهِ النِّعَمَ ، حَقَّ رِعَابَتِهَا .

ولم أتوسّع في هذا الجواب ، إذ التوسّع فيه يُخرِجه عن موضوعه إلى مؤلف في حوادث التاريخ .

كما لم أذكر من ذلك ما يتعلق بالأسرة السعودية الكريمة التي بها اتّقدّ هذه البلاد في أول نشأتها من حياة الجهل والبؤس والشقاء ، ثم أنعم بها على هذه الأمة في عهد استقرار حكمها ، فأزال بها بواعث الفرقة والاختلاف ، ووحد بها الكلمة ، ثم أفاض الله عليها يمينها وعدّها من ضروب الخير وصنوف النعم ما أصبحت تُقبضُ به بين أمم العالم .

إذ تاريخُ هذه الدّوحة الراسخة الأصول ، السامقة الفروع هو تاريخ كل أقطار هذه المملكة ، وقد ألّف في المؤلفات الكثيرة .

وقد حرصت على إيراد من عرفت من المشايخ والأمراء عند ذكر الأسر التي يتسبون إليها ، للاستعانة بسرد أنسابهم لمعرفة فروع تلك الأسرة ، باستثناء أسرة الأمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — قدس الله روحه — فقد ألّف الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبد الله آل الشيخ عنها مؤلفاً شاملاً لتراجم علّماء تلك الأسرة وكذلك الأسرة الرشيدية الكريمة ، اكتفيت بما ألّف عنها ككتاب « القول السديد » وغيره .

وقد حاولت أن أذكر الموطن الأول للأسرة التي أتحدّث عنها بأن أقول : (في بلدة كذا) وهذا لا يعني بقاء تلك الأسرة في تلك البلدة ، بل المقصود أنّها كانت أول ما عرفت فيها ، ثم أذكر أسماء القرى التي انتقلت إليها ، وقد يكون منها ما هو خارج المملكة .

وقد أذكر بعض الأسر التي ارتحلت عن نجد ، إلى الأحساء ، أو الكويت ، أو الزبير ، إذ هجرة الأسر النجدية إلى تلك البلاد لم تقف إلا بعد أن أنعم الله على هذه البلاد بنعمة الاستقرار والأمن ، في عهد الإمام عبد العزيز آل سعود — رحمه الله تعالى —

ثم لما أفاض الله على هذه البلاد نعمة الثراء ، بعد نعمة الأمن والاستقرار عادت

مع القراء في أسلتهم وتعليقاتهم

الضلفة

... اطلعت في جزء محرم ، صفر ١٤٠١ هـ من مجلة « العرب » على بحث للشيخ محمد العبودي عن (الضلفة) وقد قرأت البحث ثم ذهبت إلى الضلفة فزرتها ، وقد لاحظت أن الشيخ فاته بعض الأشياء وقد أكون مخطئاً لأنني لست من ذوي الاختصاص في هذا الشأن إنما أحببت التصحيح أو التوضيح ومن هذه الملاحظات :

بعض الأسر إلى موطنها الأول ، فكان لا بُدَّ من ذكرها ، وذكر من بقي منها في البلاد التي انتقلت إليها .

إني — حين أقدم للقراء — هذا الكتاب أدركت أنني طرقت موضوعاً له من العمى في الثؤوس ما يدفع كثيراً منها إلى التأثر ، وعدم الارتياح ، (من ألف فقد استهدف) ولكنني في عملي هذا يتطبق عليّ ما وُصف به السيوطي — رحمه الله — : لو قيل لكل كلمة في مؤلفاته عودي إلى مكانك فمادت لم يبق له شيء .

ثم إني — بعلمي هذا — بدأت بأمر أنا مُعترف بعجزتي عن أدائه كاملاً على خير الوجوه ، ويكني أنني مهدت السبيل لمن أراد أن يسير فيه .

وأنا — من قبل ومن بعد — إلى كلمة نقد وتوجيه وإصلاح وتصحيح خطأ ، أشدُّ تطلُّعاً ، وأقوى رغبة من أن يوجه إليّ من الثناء ما لا أستحقه ومن إطرأ عملي بما لا أرتاح إليه ، فقد بلغت من نفسي منزلة قنعت فيها بما أنا فيه ، وعرفت منها ما لا احتياج معه إلى أن أعرف بها .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معانيه والحمد لله أولاً وآخراً ،

الرياض : غرة شعبان ١٤٠١ هـ (٣ حزيران — يونيو ١٩٨١ م) .

محمد الجاسر

١ — قوله عن الضلفعة : إنها قرية زراعية واقعة إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة على بعد ٣٨ كيلاً .

أقول إنها إلى الجنوب الغربي أقرب فيما يبدو لي ، ولعل عبارة (الخواجة) في آخر البحث أصوب .

٢ — المسافة بين الضلفعة وخط الاسفلت قد تكون أكثر من أربعة أكيال ويمكن أن تصل إلى سبعة .

٣ — عبارة الهمداني وقوله : فن عن بسار ضربة مما يلي الشمال من المناهل والموارد والمراعي ضلفع : هضاب وصحراء ترعاها الابل .

أقول إن هذه العبارة تحتاج إلى توضيح من الشيخ جزاء الله خيراً فهو يعرف ما بين ضربة والضلفعة ، ثم إن هذا الوصف الذي ذكر الهمداني لا ينطبق تماماً على الضلفعة ، ولعله بعد التدقيق في الموضوع يزول عنه اللبس الذي ورد في بيت الراجز من تسمية ضلفع بضلفعان ولعل هذا الأخير غير الأول وهو ما قصده الهمداني .

٤ — قول أحد الأوربيين في آخر البحث أن الضلفعة تبعد عن بريدة ١٦٠ ميلاً . يحتاج إلى تعليق من الشيخ ، حتى لا يتنافى مع ما ذكره من أن المسافة ٣٨ كيلاً .

٥ — وفي النهاية كنت أود من الشيخ أن يعطينا نبذة عن الضلفعة في الوقت الحاضر وأن لا يكتفي بزيارته منذ عشر سنوات .

٦ — وكنت أنسى هذه الملاحظة لعدم أهميتها وهي أنه وقع تصحيف لاسم الضلفعة فرسم هكذا أو تبين : (ضلفع) .. وهذا قد يوهم القارئ وإن كان من فعل المطبعة .

أقول جزى الله القائمين على مجلة «العرب» خير الجزاء بما يقومون به من خدمة للعلم وسدد على الدرب خطاهم ، وجعل عملهم خالصاً لوجه الكريم .
وإني أعتذر مرة أخرى لإفحامني نفسي في هذا الموضوع .

عبدالله بن محمد السويلمي

الرياض — كلية الشريعة

« العرب » : الشيخ محمد العبودي قدّم ما في وسعه أن يقدمه من المعلومات المتعلقة بأي موضع من المواضع التي تحدث عنها في كتابه القريد في موضوعه ، ومن جاد لك بما يستطيع ، فقد بلغ الغاية في الكرم .

وما على الإخوة من القراء الذين يعرفون عن أي موضع — مدينة أو قرية أو وادي أو جبل أو منهل — يعرفون أكثر أو أصح مما يقال عنه في أي جزء من أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » الذي صبر منه نحو عشرين مجلداً — ما على هاؤلاء القراء إلا أن يتفضلوا بإبداء جميع ملاحظاتهم ، ليتسنى الإطلاع عليها ، والاستفادة مما يستفاد منها . وتدارك الأخطاء في الطبعة الثانية — إن شاء الله .
ولالأخ الكاتب الشكر ، والدعاء بالتوفيق .

الجلالعيد من عنزة

... قرأت في كتابكم « شمال المملكة » أحد أقسام « المعجم الجغرافي » قولكم — ص ٦٩٥ — عن سميراء : (وأكثر سكانها من بني نعيم ، منهم الشبارمة من الحممران ، والجلالعيد ، وغلط ابن دُخيلٍ قعدّها من ديار الأسلم) انتهى . وهذا القول يدل على أنّ الجلالعيد من بني نعيم .

والمعروف أنّهم من عنزة ، إلا إذا كان لديكم من الأدلة ما يحقق قولكم ، فالمرجو إيضاحه .

سليمان الجلهود

الرياض

« العرب » : شكراً لك أيّها الأخ ، فالجلالعيد كما ذكرت أنت ، لا كما جاء في ذلك الكتاب .

والمرجو من كل قارئ تقع يده على إحدى نسخته أن يصحح ذلك الخطأ .

الشبارمة ليسوا من الحممران

وكذا الخطأ الثاني عن الشبارمة ، فليسوا من الحممران بل من الوهبة — كما هو

مكتبة الحرب

□ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية :

وصدر من هذا المعجم :

١ — الجزء الثالث من القسم المتعلق بـ (المنطقة الشرقية — البحرين قديماً) تأليف صاحب هذه المجلة ، ويقع في (٤١٠) من الصفحات ، ويحوي من المواد من حرف الصاد إلى نهاية حرف الفاء ، وفيه سبع مصورات جغرافية (خرائط) وقد طبع بمطبعة (نهضة مصر) في القاهرة .

٢ — الجزء السادس من كتاب « بلاد القصيم » تأليف الشيخ محمد العبودي ، وفيه آخر مواد هذا القسم (م — ي) الذي تمّ بتمامه ، كما يضمّ بيان أسماء المواضع الذي تضمنها الكتاب في أقسامه الستة التي تقع في (٢٦٣٢) من الصفحات .

والكتاب من منشورات (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) .

وطباعته جيّدة وقد صدر عام (١٤٠١ هـ) ولم يذكر تاريخ الطبع .

وبصدور الأجزاء المذكورة يكون قد صدر من كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ١٩ جزءاً هي : —

١ — بلاد جازان — تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي جزء واحد .

معروف ، وكما أوضح ذلك الشيخ إبراهيم بن عيسى في آخر تأريخه المختصر الذي نشرته (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) في الكلام على الوهبة .

وجلّ المتفرّد بالكمال ، القائل في محكم كتابه : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوُجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) .

٢ — بلاد غامد وزهران — تأليف الأستاذ علي بن صالح الزهراني جزء واحد .

٣ — عالية نجد — تأليف الأستاذ سعد بن جندل ٣ أجزاء .

٤ — بلاد القصيم — تأليف الأستاذ محمد العبودي ٦ أجزاء .

٥ — شمال المملكة — تأليف حمد الجاسر ٣ أجزاء .

٦ — المنطقة الشرقية — تأليف حمد الجاسر ٣ أجزاء .

٧ — معجم البجامة — تأليف الأستاذ عبدالله بن خمس جزءان .

وهذه الأجزاء تشمل تحديد مواضع المناطق الشمالية والوسطى والشرقية في المملكة ، ومواضع في جنوبها ، بحيث لم يبق سوى المنطقة الجنوبية (بلاد عسير) والمنطقة الغربية منطقة مكة المكرمة ، ومنطقة المدينة المنورة .

وقد تمَّ حصرُ المواضع المأهولة في تلك المناطق ، وتسجيلها ، وبقيت الدراسة الميدانية ، لتحقيق المواضع التاريخية ، وتحديدتها .

□ — بلاد الجوف — أو دومة الجندل :

وصدر عن (دار البجامة للبحث والترجمة والنشر) كتاب «بلاد الجوف أو — دومة الجندل» تأليف الأستاذ سعد بن عبدالله بن جندل ، وهو يتحدث عن هذا الجزء من بلادنا حديث الباحث المؤرخ ، من جميع النواحي .

ويقع في ٢١٤ صفحة ، ويضم عدداً من الصور والرسوم في طباعة حسنة (المطابع الأهلية) في الرياض — سنة ١٤٠١ (١٩٨١م) .

□ فهرس ابن عطية :

وابن عطية هو عبد الحق بن عطية المَحَاربي الأندلسي (٤٨١ حول سنة ٥٤١ هـ) ومن أشهر مؤلفاته كتاب «المحرر الوجيز» في تفسير القرآن الكريم الذي وصفه ابن خلدون في «المقدمة» بقوله : (فلهخص تلك التفسير ، وتحرى ما هو أقرب إلى الصَّحَّة

منها من الأخبار الواردة عن أهل الكتاب).

أما الفهرس فقد قام الأخوان الكرمان الأستاذان محمد أبو الأضفان ومحمد الزاهي — من علماء تونس — بتحقيقه ونشره وكلمة (الفهرس) يعني بها : (الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأساتذته ، وما يتعلق بذلك) . فهو يحوي تراجم شيوخ المؤلف وذكر الكتب التي تلقاها عنهم ، وإيراد أسانديها إلى مؤلفيها .

وتحقيق الأستاذين الفاضلين لهذا الكتاب يُهَّجُ الغُيرُ على التراث الإسلامي ، ويملاً النفس اطمئناناً بأنه لا يزال (في الروايات خبايا) .

وجاء الكتاب — بمقدمته الوافية وفهارسه المفصلة في (١٤٢) صفحة ، مطبوعاً في بيروت سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) وتولى نشره (دار الغرب الإسلامي) .

□ وسائل ابن كمال باشا :

وابن كمال باشا — أحمد بن سليمان من علماء الأتراك المشهورين ، توفي سنة ٩٤٠ هـ — وقد اشتهر بكثرة تأليفه ورسائله ، ومنها كتاب «رجوع الشيخ إلى صباه» .
وقد عثر الدكتور ناصر الرشيد رئيس مركز البحث العلمي في (جامعة الملك عبد العزيز) عثر في مكتبة الحرم المكي على مجموعة مخطوطة من رسائله ، فاختار منها خمساً هي :

١ — رسالة في تحقيق معنى (كاد) .

٢ — رسالة في تحقيق التغليب .

٣ — رسالة في التوسُّع .

٤ — رسالة المشاكلة .

٥ — رسالة في رفع ما يتعلق بالضمائر من الأوهام .

وقام الدكتور ناصر بتحقيقها ، وتولى النشر (النادي الأدبي في الرياض) في كتيب من القطع الصغير ، بلغت صفحاته (١١٢) وصدر عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .